

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل

تأليف : زهايم البرازي



مكتبة مدبولي
القاهرة

MAN
2033

255.310
4
C
7

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل

حقوق الطبع محفوظة لمكتبة مندوبوي

طبعة أولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

الناشر

مكتبة مندوبوي

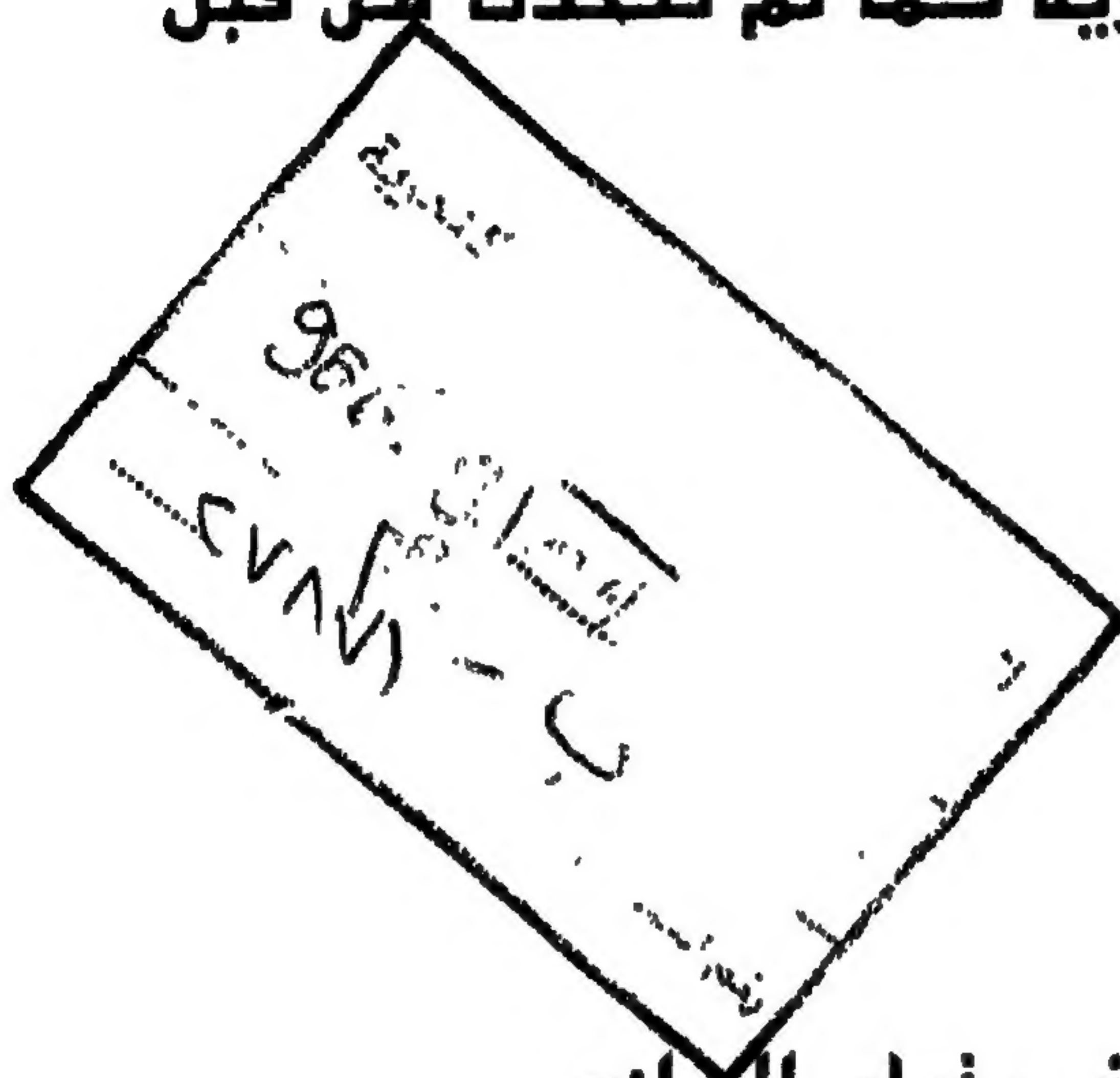
ميدان طلعت حرب بالقاهرة - ج م ع

تليفون ٥٧٥٦٤٢١

٢٠٨٨

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل



تأليف : زهراء البرازي



Mem of the Alexandria Library

مكتبة مدبولي
القاهرة

الفصل الأول

المعارضة السورية

الفصل الأول

ملفات المعارضة السورية

المعارضة السورية كما لم تتحدث من قبل،

بقيت المعارضة السورية صامتة مدة ١٨ سنة، منذ عام ١٩٧٠، مع مجيء حافظ الأسد إلى السلطة وإلى أيام قليلة خلت...

في هذا التعبير شيء من عدم الدقة،

أولاً، لأن المعارضة السورية لم تكن واحدة، بل كانت واقع معارضات متباينة، وأحياناً مختلفة مع بعضها بعضاً، وأن كانت تشترك بهدف واحد هو العمل على إسقاط النظام القائم، وأقامة نظام بديل له.

ثانياً، لأنه كان هناك بعض الفدائيين من المعارضة السورية لم يصمتوا، واستمروا في الجهر لمعارضتهم وتعرية النظام، وقد دفع هؤلاء ثمناً غالياً لتعلقهم بالمبادئ والحرية، هو حياتهم. وكان من بين هؤلاء صلاح الدين البيطار الذي اغتيل على يد مخابرات النظام السوري في باريس.

وأخيراً قررت المعارضة السورية الكلام، وعلي صفحات "الوطن العربي" تحديداً... لماذا؟

ربما لأنها لم تعد معارضات متنازعة كما في السابق، بل أخذت تشكل معارضة موحدة بدأت نواتها تتكون تحت مطارق النظام في مدينة حماة. ولأول مرة يحدث أن تنظيمات المعارضة السورية أجرت نقداً ذاتياً، وقررت

الانتقال من العمل المنفرد ضد النظام، إلى العمل الجماعي الموحد ليكون نواة ديمقراطية جديدة قائمة على التعدد الحزبي بعد سقوط النظام الحالي.

والسبب الأهم أن المعارضة السورية لديها اليوم من المعلومات ما يفيد بأن الأجل قد اقترب، وينبغي أن تكون مستعدة للعمل السريع حتي لا تؤخذ علي حين غرة.

«الوطن العربي» حاورت عشرة من كبار شخصيات المعارضة السورية، من مختلف الاتجاهات، في ثلاث عواصر. واستغرق مجموع هذه الحوارات حوالي ٣٠ ساعة تسجيل علي الأشرطة وستنشرها تباعاً في حلقات.

وقد تكلمت المعارضة السورية كما لم تتكلم من قبل قط... والحوار مع حمود الشوفي ليس إلا البداية.

حمود الشوفي / حافظ الأسد رجل أمن لا رجل دولة،

هذا الملف الكبير يطرح في الصحافة العربية لأول مرة. المعارضة السورية في الداخل والخارج لم تعد وهماً أو سراباً وهي معارضة وطنية تضم مختلف الاتجاهات والطوائف، وقد أقامت بينها تحالفاً أطلقت عليه اسم «التحالف الوطني لتحرير سوريا». ويقوم هذا التحالف على دعائمين: إسقاط النظام القائم وإحلال نظام ديمقراطي محله يعتمد التعددية الحزبية.

أمضت عدة أسابيع في إعداد هذا الملف، أجرت حوارات ساخنة مع أقطاب هذه المعارضة السورية من مختلف الاتجاهات: البعث والاشتراكيين والقوميين العرب والناصرين والشيوعيين والأخوان المسلمين.

حوار مع حمود الشوفى:

كان سفير سوريا السابق فى الأمم المتحدة وأحد قدماء زملاء حافظ الأسد، وأحد أقطاب المعارضة السورية اليوم فى الخارج.

وحمود الشوفى : عازل نفسه من واشنطن عزلة قاتلة ويتنقده البعض لمواقفه الماركسية السابقة...

أقطاب المعارضة العربية ليس لها عنوان حتى يتم الاتصال بهم. ولكن عندما يأتى الأمر إلى المعارضة السورية فإنها من أصعب المعارضات العربية، وكذلك الوصول إليها. وحتى إذا وصل المرء إليها فإن أفرادها يترددون فى إعطاء الأحاديث الصحفية. وكما فتحت «الوطن العربى» ملفات المعارضة الليبية، فهى تفتح الآن ملف المعارضة السورية. ونبدأ هذه الخطوة المحفوفة بالمصاعب والمحاذير بلقاء مطول مع حمود الشوفى ممثل سوريا الدائم فى الأمم المتحدة سابقاً والذي استقال من منصبه فى ٢٧ كانون الأول من عام ١٩٧٩. وحمود الشوفى ولد فى عام ١٩٣٥ فى مدينة محافظة السويداء السورية، ودرسى فى هذه المحافظة وعاش أجواء النضال السورى فى الخمسينات فى جبل العرب الشامخ. ثم انتقل إلى دمشق ليتخرج من جامعتها باجازه فى الآداب. ومارس العمل الحزبى فى حزب البعث العربى الاشتراكى فى الجامعة وخارجها. وبعد أن تخرج ليمارس مهنة التدريس فى محافظة السويداء لم يسمح له بذلك إلا لثلاثة أشهر لأن القانون آنذاك كان يحرم على الموظف الحكومى ممارسة النشاط الحزبى، وأدى ذلك إلى اعتقاله.

وفى فرصة نادرة وأثناء أسفاره العديدة وتنقلاته فى الأقطار العربية والدول الغربية التقت «الوطن العربى» فى واشنطن حمود الشوفى الذى أصدر نظام حافظ الأسد حكماً بالأعدام عليه فى عام ١٩٧٩، وصادر أملاك زوجته فى سورية، لأن الشوفى ليست لديه ممتلكات سوى عمقه الفكرى والسياسى، وتفانيه فى خوض غمار التنظيم الدؤوب للتوصل

إلى قيام نظام سورى ديموقراطى حقيقى فى سوريا. وفيما يلى الحوار الذى أمتد أربع ساعات وتصف.

– الوطن العربى: من هو حمود الشوفى؟

* حمود الشوفى: بدأت حياتى العامة فى حزب البعث منذ أن كنت طالباً فى الثانوية العامة. وبعد التخرج أنصرفت كلياً للعمل الحزبى، وتخرجت بيكالوريوس لغة عربية. ولما قامت ثورة ٨ آذار (مارس) انتخبت أميناً قطرياً للحزب فى سوريا وعضواً فى القيادة القومية. وبقيت كذلك حتى شباط (فبراير) ١٩٦٤. وحدث وقتها خلاف داخل الحزب واستقلت من عضوية المجلس الوطنى لقيادة الثورة ومن الحزب. طبعاً فى بلادنا كما تعرف، الإنسان له طريق واحد مع أننى تركت تنظيم الحزب إلا أننى أعتبر نفسى بعثياً، وهذا وسطى ومجال نشاطى بمعنى قومى عربى مؤمن بالديموقراطية. وحزب البعث بالأساس هو حزب ديموقراطى وقومى عربى قبل أى شىء آخر. فى أواخر ١٩٦٥ طلب منى الذهاب إلى أندونيسيا كسفير، وبقيت خمس سنوات هناك ثم سنتين فى الهند. وآخر منصب شغلته فى وزارة الخارجية السورية هو أننى كنت المندوب الدائم لسوريا فى الأمم المتحدة، حتى أستقلت فى أواخر سنة ١٩٧٩، وأنضمت للمعارضة السورية. وكنت أعمل مع المرحوم الأستاذ صلاح الدين البيطار حتى اغتيال فى باريس عام ١٩٨٠ ولا نزال نسعى لتغيير النظام وإقامة نظام ديموقراطى فى سوريا.

– بعد عودبك كسفير من الهند إلى دمشق ماذا حدث، ولماذا عدت مع أن السياسى الذى كان يمثل خطراً يبعث سفيراً؟

* لقد طلب منى حافظ الأسد أن أعود، لأنه فى عام ١٩٧٠ تفرد الأسد بالسلطة فى سوريا. والخصومة القديمة فى حزب البعث كانت بيننا وبين مجموعة صلاح

جديد. وعندما استلم حافظ الأسد السلطة كانت عنده رغبة فى أن أتعاون معه. لكن لم يكن ذلك وارداً بعد أن تبين لى وله أننا على طرفى نقيض فى نظرتنا لنظام الحكم والسياسة العربية والسياسة الخارجية وكل نواحي الحياة السياسية، ولم يكن ممكناً أن نتفق على أى شئ. ولذلك بقيت فى الخارجية السورية منذ ١٩٧٢ وحتى ١٩٧٨ كمدير إدارة أميركا.

— هل أاجتمعت مع الأسد؟

* أاجتمعت معه فى عام ١٩٧١ قبل نقلى من الهند لدمشق.

— كم أاستمر الحوار بينكما وما تتذكر منه؟

* الحوار كان طويلاً وأاستمر أكثر من أربع ساعات وكان شاملاً. أن نظرة الأسد للأمر لم تكن نظرة رجل دولة بل كانت نظرة رجل أمن. أن الأسد يفتخر بأنه الناس بأكثريتها الساحقة تؤيده كما لم تؤيد زعيماً من قبل. وهو يعتبر أن التأيد الشعبى الذى قوبل به عندما قام بإنقلابه أو بحركته التصحيحية ضد صلاح جديد ومجموعته، أعطاه شرعية مطلقة ليحكم البلد كما يريد وبشكل فردى. كنت أرى شخصياً أنه يجب أن يستثمر هذا التأيد الذى قوبل به لبناء مؤسسات دستورية ليعود بالنظام إلى الديمقراطية. وحجتى الرئيسية التى طرحتها عليه هى أن الناس أيدته ليس محبة بشخصه بقدر ما كانت الناس تكره النظام الفردى الذى سبقه، فإذا أراد أن يكرر الصيغة ذاتها فيسكون مصيره نفس مصير من سبقه.

— ماذا كان رد فعل الأسد على هذه المقولة؟

* قال بصراحة لى أن قضية الحكم فى بلادنا هى قضية سهلة للغاية. وتعليه أنا يجب أن نأخذ الناس كأفراد ونتساءل عندئذ ما هى مطالب الناس. ويرأى الأسد أن

الناس لهم مطالب اقتصادية بالدرجة الأولى. فمن لا يملك بيتاً يريد أن يملك واحداً، والذي لا يملك سيارة يريد سيارة، والذي لديه سيارة يريد سيارتين وهكذا. وهو يعتقد أن هذا النوع من المطالب يستطيع أن يحققها بشكل أو بآخر، وبعد تحقيق هذه المطالب ماذا يظل لدينا؟ على حد تعبيره يبقى مائة أو مائتين بالكثير، وهؤلاء برأيه يشتغلون جدياً بالسياسة وهم كما قال سيكونون ضده مهما فعل، وسجن المزة أصلاً مبنى من أجل هؤلاء. إذن فلسفة الأسد للأمور أو نظريته إلى الحكم أنه قسم مجموع الشعب إلى قسمين: المعنيون بالسياسة والعاجدون من الناس وهؤلاء مصيرهم السجن، والأكثرية المطلقة برأيه ليست لهم إلا المطالب الاقتصادية ومتطلبات العيش.

- بماذا جابهت الأسد إزاء هذا الطرح؟

* قلت له أنه إذا كنت تعتبر نفسك جدياً فإن مصيرك هو نفس مصير المائة أو المائتين الذين تتكلم عنهم، لأنه لا يمكن إقامة نوعين من النظام في بلد واحد، جزيرة صغيرة فيها كل الحرية دون أى مسؤولية أى حكمك أنت وجزيرتك أنت، والناس كلها موضوعة في سجن كبير، وهذا السجن في الأخير سيلف الجميع. وفي واقع الحال لو نظرت لحافظ الأسد أو لأى حاكم فردى من هذا النوع فإنه في سجن، مثل باقى الأفراد، ولكنه لا يتعذب مثل باقى الناس.

- كيف تقبل الأسد كلامك القوي؟

* كانت العلاقة الشخصية بيننا تسمح بحوار صريح لهذه الدرجة وهى علاقة قديمة من أيام الحزب.

- بعد هذه المجابهة، لماذا قرر إبقاءك في الخارجية السورية؟

* ربما كان يعتقد أن وجودى فى دمشق من وجهة نظره الأمنية أخف أذى من وجودى فى الخارج.

- إذن لماذا أوفدك إلى الأمر المتحدة؟

* لأنه اطمئنان أثر ست سنوات من بقائى فى دمشق.

الفصل الثاني

اغتيال البيطار

الفصل الثانى

لهذه الأسباب وقع الاختيار على
صلاح الدين البيطار لاغتياله

النظام نصب فخاً فى حماه لفرز الناس طائفاً،

- ما هو العامل الحاسم فى استئالتك كممثل دائر لسوريا فى الأمر
المتحدة؟

* فى الحقيقة لم يكن قرارى بمفردى، بل كان قرار المجموعة التى كنت أعمل
معها وعلى رأسها الأستاذ صلاح الدين البيطار رحمه الله. فى عام ١٩٧٩ حصل
مد شعبى فى سوريا وخيل لنا أن الوقت مناسب لإبراز معارضة وطنية قومية
تستجيب فعلاً لمطالب أكثرية الناس، وخاصة بعد أن بدأت عمليات قام بها
الأخوان المسلمون وكانت تهدد بفتنة طائفية داخل البلد، ولأثر السياسى لهذه
الفتنة أن كل طائفة تتخندق فى موقعها الخاص. أما بروز معارضة وطنية رأسها
المرحوم صلاح الدين البيطار فقد كان كفيلاً فى اعتقادنا أن يجمع فعلاً كل
القوى الفاعلة فى ساحة العمل العام. ولسنا نحن الذين قدرنا ذلك فحسب ولكن
النظام نفسه توقع مثل هذه النتيجة، وهذا ما يفسر اغتيال صلاح الدين البيطار.

- لكن بالإضافة إلى هذا العامل هل كانت هناك عوامل فلسطينية أيضاً؟

* العامل المباشر هو تقديرنا أنه آن الأوان لتبرز معارضة وطنية علنية على السطح وتعبّر
عن رأى الناس فى الداخل والخارج، ضمن الاتجاه القومى العربى الديموقراطى
الوطنى وأفضل رمز لهذا التوجه كان شخص صلاح الدين البيطار الذى كان يصدر
مجلة «الاحياء العربى» فى باريس، وأخذ يعمق ويشتر فى هذا الخط الديموقراطى

الوطنى فى سوريا.

- ما هو السبب الرئيسى لأغتيال صلاح الدين البيطار، ولماذا أغتيل هو وليس غيره من الزعماء فى المعارضة السورية مع العلم أن الوصول إليهم لم يكن أمراً صعباً؟

* حافظ الأسد بنى قوته الداخلية على تمزيق الناس إلى طوائف، ولجعل كل أبناء الطائفة العلوية مضطرين للتمسك بهذا النظام، وهذا ممكن أن نشرحه فى أحداث حماه. ولكن أخشى ما يخشاه حافظ الأسد هو أن يستجيب قسم كبير من أبناء الطائفة العلوية لداعى الحق والواجب الوطنى، وينضموا للمعارضة الوطنية. هذا الأمر بالنسبة له يشكل خطراً قاتلاً.

أما لماذا تم اختيار صلاح الدين البيطار دون سواه من المعارضة السورية لأغتياله، فلإنه صاحب تاريخ وطنى معروف وهو ثانى مؤسس لحزب البعث بعد الأستاذ ميشال عفلق. وفى المقابل كان حافظ الأسد مضطراً للتستر بأسم البعث لأنه لا يستطيع القول أنه يحكم بأسم عائلة الأسد أو بأسم الطائفة. وحتى داخل الحزب فى سوريا لم يكن الجميع كأفراد وكأعضاء راضين عن النظام، ومع ذلك لا يستطيعون التخلي عنه للأخوان المسلمين أو الناصريين أو لأى تيار آخر. ثم أن وجود شخصية مثل البيطار كان كفيلاً بأقتطاع قسم كبير من الحزب ومن الطائفة العلوية إلى صفوف المعارضة الوطنية.

لهذا السبب كان اغتيال صلاح الدين البيطار من وجهة نظر النظام ضرورة أمنية. وأريد أن أذكرك بأن البيطار لم يكن هو الشخص الوحيد الذى أغتيل لهذا السبب فقد سبقه محمد عمران وحمه الله، ومحمد الفاضل، وكلا الرجلين مثل صلاح الدين البيطار كان الواحد منهم يشكل تهديداً يندرج فى إطار القاعدة الصلبة التى يستند إليها النظام داخل سوريا وهى الطائفة العلوية.

– لكن عندما أعتيل عمران فى ١٩٧١ فى طرابلس لم يكن الأسد قد كشف عن نواياه.

* محمد عمران كان من الجيش ومن الحزب، والرجل الأول فى حركة ٨ آذار، وفى التنظيم العسكرى. وكان رئيساً لحافظ الأسد، وهو الذى أسس التنظيم العسكرى الذى قام بحركة ٨ آذار. وصحيح أن محمد عمران كان فى لبنان، ولكن كان له نفوذ على القاعدة العسكرية الطائفية التى يستند إليها حافظ الأسد، لذلك سارع بأغتياله قبل أن يتمكن محمد عمران من ترتيب شىء.

– لقد عشت حتى عام ١٩٧٨ فى سوريا، أذن قضيت ١٥ سنة فى ظل النظام. هل يمكن أن تشرح لنا كيف يتم التخطيط للأغتيالات؟

* مع الأسف أصبح النظام بارعاً فى هذا التكتيك لدرجة مخيفة. ولم يتم اغتيال هؤلاء فقط. ففى لبنان أعتيل من الصحافيين سليم اللوزى ورياض طه ومن السياسيين الزعيم كمال جنبلاط. وفى تقديرى أن قرار الاغتيال لا يجرؤ أحد فى سوريا أدنى من حافظ الأسد على اتخاذه. يعنى أن اغتيال شخصية مثل صلاح الدين البيطار لم يمكن أن يتم على مستوى رئيس المخابرات أو مستوى شرطى، هذا غير ممكن. الشخصيات من هذا الوزن فإن اغتيالها أو محاولة اغتيال ريموان اده مرتين أو ثلاثة فى بيروت تحتاج إلى قرار من المسؤول الأول.

– لماذا لم نر نتيجة محاكمة قتلة صلاح البيطار فى فرنسا. ولماذا لم يتم كشف المسؤول الأول عن الاغتيالات؟ ولماذا يكتنف الغموض هذه القضايا؟

* كان الفرنسيون دائماً حريصين على أن تكون علاقتهم مع النظام السورى جيدة. وقد حافظوا على هذه العلاقة الجيدة حتى بعد أن قطعت بريطانيا علاقاتها مع دمشق وأتهمتها علناً بأنها تقف وراء بعض العمليات الإرهابية. والمانيا الغربية وجهت التهمة نفسها إلى دمشق. أن فرنسا دولة لها دائماً خصوصيتها. ورأى توجيه هذا السؤال إلى المسؤولين الفرنسيين: لماذا لم يجر تحقيق أو محاكمة المسؤولين عن عملية الاغتيال وهم معروفون لديهم، خصوصاً وأن العملية تمت فى قلب باريس، ولدى مسؤولى الأمن الفرنسيين- فى تقديرى- معلومات تفصيلية ودقيقة، وقد سمعنا بعضها منهم.

- المريكن يدرك صلاح البيطار أن حياته فى خطر؟

* أنا وأخوانى كنا نخاف عليه أكثر من خشيته على نفسه. كان متأثراً جداً بما يحدث فى سوريا، وآخر مقال كتبه كان عنوانه «عفوك شعب سوريا العظيم». لقد طلب العفو من الشعب لأنه كان يعتبر أن كل السياسيين السوريين قصرُوا فى أداء الواجب المطلوب إزاء التضحيات التى بذلها الشعب السورى. ورغم أحساسه بالمأزق السورى أحساساً طاعياً، فإنه حاول بعد ضغط منا بالدرجة الأولى أن يأخذ بعض الاحتياطات الأمنية لم تكن بحجم الخطر الذى يتهدده.

المعارضة السورية،

- هل أنت مهدد أيضاً؟ أرى أنك لم تأخذ احتياطات أمنية..

* قد أكون مهدداً (يضحك)، ولكن ماذا أستطيع أن أفعل؟

- هناك ملاحظة خطيرة وهي أن السياسيين السوريين لم يتركوا مذكراتهم وراءهم. فكيف يكتب تاريخ سوريا الحديث؟

* هذا التقصير ليس له أى مبرر. وكان الأستاذ البيطار قد بدأ يكتب مذكراته عندما كان يقيم فى لبنان حتى دخول قوات الردع السورية إليه. فغادر على ظهر قارب شحن إلى قبرص ولم يتمكن من أخذ أوراقه معه. أستقر فى فرنسا وبدأ يكتب من جديد. وأعتقد أن قسماً كبيراً من مذكراته لم ينشر، ولعله ينشر فى وقت قريب.

- المعارضة السورية منقسمة، منها فريق تحول إلى جمع المال، وفريق أختار العزلة لأن الواقع صدم مثالياته، وفريق الرعيل التقدمى من بعثيين واشتراكيين وناصرين، لم يقم بحركة جدية منذ عام ١٩٧٠ وإلى عام ١٩٨٢. وخلال ١٢ سنة لم تفر جبهة موحدة واحدة للمعارضة السورية. لماذا؟

* الجبهة شئ ومعارضة النظام شئ آخر. ولم يمض يوم طوال هذه السنين دون أن يدخل إلى سجون سوريا أناس اضطهدوا وعذبوا. والأكثرية الساحقة من هؤلاء ليست من السياسيين القدامى وإنما من الطلاب الثانويين أو الجامعيين أو من الفلاحين. السجون السورية هى القطاع الوحيد الذى شهد «حركة أزدهار» فى ظل النظام الحالى. وعندما ضاقت السجون القديمة بسكانها، وقبل بناء ستة سجون جديدة، حولوا العديد من المدارس إلى سجون كما يحدث فى حلب.

أكثرية الناس فى سوريا ضد النظام من مختلف الطوائف بما فى ذلك العلوية. ولم يكن من السهل بروز معارضة من الداخل. ورغم القتل والبطش والتنكيل والأرهاب الشديد المفروض على الناس، فقد قامت سنة ١٩٨١ نقابات الأطباء والمحامين والمهندسين بحركة احتجاج عنيفة، ونفذ اضطراب ومقاطعة، وقُدمت مطالب مهنية وسياسية بينها المطالبة

بالديمقراطية، ورد النظام بحل النقابات وأعتقال أعضائها، وعدد كبير منهم لا يزال معتقلاً إلى اليوم. المعارضة فى الداخل ليست بالمسألة السهلة. ومن يريد أن يعارض يجب أن يعرف أن الموت هو الثمن الطبيعى للمعارضة. ومع هذا أقول أن الشعب فى سوريا لم يتردد، ولكن لكى نسمع صوت المعارضة لابد من وجود تنظيمات وأفراد فى الخارج حتى يمكن الحديث عن المستقبل والنظام السياسى البديل. ومثل هذا لا يمكن أن يحدث من الداخل.

- لماذا تصدر تجاه الإسلامى المعارضة العنيفة ضد النظام ولم تفعل ذلك احزاب المعارضة الأخرى؟

* طوال عهد حافظ الأسد، وقبله صلاح جديد، كان الضغط منصباً على المعارضة العلمانية من البعث والناصرين والاشتراكيين العرب منذ عام ١٩٦٦ وإلى عام ١٩٧٩ على الأقل. والتيار الإسلامى فى تلك الفترة لم يتعرض للأرهاب والضغط، وكان أمامه مجال التحرك مفتوحاً. وفى أواخر السبعينيات، ولأن التيار الإسلامى هو جزء من مشاعر الشعب السورى نشأت حركة داخل تنظيم الإخوان المسلمين أتت بقيادة جديدة غير القيادة التاريخية وغير قيادة عصام العطار الذى لا تزال شقيقته وزيرة حكومة حافظ الأسد.

- هل تعنى القيادة الجديدة التى قادها مروان حديد؟

* نعم، أعنى ذلك، وقد تكون هذه القيادة قد اندفعت بتأثير الحماسة أو نتيجة قصر نظر سياسى، ولجأت إلى أسلوب الاغتيال الذى اعتبره مرفوضاً، ونرفضه بالتخصيص لأنه أستهدف أبناء الطائفة العلوية. وكثير من الناس المسحوقين ظنوا لفترة أن الفرج قد يأتى عن طريق هذه الحركة حتى لو كان الطريق خاطئاً. وانتشرت لهذا التيار شعبية فى سوريا التى نعرفها بسوريا الوطنية التى تلتحم وطنيتها بعروبتها، ولا يمكن أن تسير فى طريق يؤدى إلى تمزيق الوحدة الوطنية، لذلك

كانت تلك الحركة فورة وأنتهت فى وقتها.

– لماذا تركز الضغط السياسى على حماة؟

* قبل مجزرة حماه جرت عمليات تمشيط عديدة قام بها النظام بحجة التفتيش عن العناصر المطلوبة من الإخوان المسلمين. وفى كل عملية تمشيط كان النظام يستبيح المدينة ورجال النظام كانوا يدخلون البيوت ويتلفون أثاثها، وحدثت اعتداءات على النسوة. ومرة جرّوا النساء إلى المحافظة تحت السياط علناً وأمام الناس. وفى تقديرى أن النظام نصب فخاً لمدينة حماه وأراد أن يضربها ضربة تحقيق هدفين: الأول أن تكون هذه المدينة درساً لبقية المدن السورية بشكل عام، ولدמשق بصفة خاصة. والثانى أن يضع فى رقبة كل علوى ثاراً دمويّاً، فيشعر بأنه إذا تغير النظام فإن الأذى سيطله شخصياً، وأنت تعرف تقاليد الثأر فى حماه.

النظام نصب هذا الفخ فى حماه وساعده على ذلك وجود اشخاص من جماعة مروان حديد، وهم متحمسون كثيراً ولا يخافون الموت، وقاموا بعمليات ضد النظام فى حماه. وأستغل النظام الفرصة وضرب المدينة كلها. وكان فى أستطاعة النظام المحافظة على الأمن دون تخريب المدينة.

– لماذا لم تتجاوب دمشق وحلب مع أنتفاضة حماة؟

* لأن أى عمل أو أنتفاضة أو ثورة أو تحرك واسع يحتاج إلى التنظيم فى الدرجة الأولى.

– أين أذن قواعد كمر الشعبية فى المحافظات السورية؟

* هذه القواعد مثل غالبية الناس لا يمكن أن تمشى وراء عمليات اغتيال فردية.

- بعض أبناء حماه الذين فروا إلى الخارج يتهمون الآخرين بخيانتهم.

* هذا مفهوم ومشروع، لكن لا تتوقع حدوث حركة على أكبر مستوى سوريا دون أن يكون تنظيم أو تنظيمات متفاهمة على قيام هذه الحركة فى الداخل. كيف تتحرك الناس العزلاء وتواجه الدبابات إذا لم تكن هناك ضمانات بأن هذه الحركة قد تؤدي إلى نتيجة، وليس التضحية لمجرد التضحية، وإلا سيكون ذلك عملاً غير مسؤول إذا لم يكن مرتبطاً بعملية سياسية متكاملة.

- وبعض المؤرخين يقول أن حماه شهدت سبع انتفاضات وليس أنتفاضة عام ١٩٨٢ فقط. لماذا تتفرد حماه بذلك؟

* حماه لها تاريخ عريق من أيام الثورة الفرنسية، وهى معروفة بالنخوة والاندفاع فى القضايا الوطنية. ثم أن البنية الاجتماعية فى حماه لا تزال بنية تقليدية بحيث أن الناس تمون على بعضها بعضاً. وهم مرتبطون بزعامات معروفة ويمكن أن يتحركوا إذا تحركت هذه الزعامات. والعنصر الدينى يلعب دوره نسبياً كذلك فى حماه. ولعل هذا يفسر لماذا طلع مروان حديد من حماه وليس من مدينة أخرى. وقد يكون لقرب المدينة من منطقة العلويين هو عنصر آخر للتحريض، خصوصاً وأن عمليات العمران والتطوير تجاوزت حماه إلى غيرها من المناطق. وهذه العوامل تفسر لماذا تحملت حماه نسبياً جزءاً كبيراً من أثقال مقاومة هذا النظام أكثر من سواها.

جبهة المعارضة،

- تسلم الأسد السلطة عام ١٩٧٠، وأنتفاضة حماه حدثت عام ١٩٨٢، وفى هذه السنة أعلن أيضاً تحالف المعارضة السورية. ولماذا انتظرت

المعارضة ١٢ سنة حتى تتحرك؟

* كل الأحزاب المعروفة في سوريا كان لها تاريخ من الصراعات مع بعضها بعضاً، من البعث إلى الناصريين إلى الاشتراكيين إلى الإخوان المسلمين إلى آخره... وجرّت محاولات كثيرة لإقامة جبهة وطنية، وكانت تصطدم دوماً بعقبة أساسية وهي أن طرفاً أو أكثر كان يرفض التعاون مع طرف آخر. الإخوان المسلمون مثلاً، عندما برزوا على الساحة كانوا يرفضون التعاون مع أى حزب آخر. وكانت نظرتهم في ذلك الوقت تتجه نحو إقامة جمهورية إسلامية في سوريا. وكانوا يرفضون اللقاء مع من يعتبرونهم خارج هذا التوجه، من البعث أو الشيوعيين أو الناصريين أو الاشتراكيين.

أما الأطراف الأخرى، ولنسمها اصطلاحاً الأطراف العلمانية، فقد أدركت في وقت مبكر أن أى جبهة وطنية جدية بهذا الاسم يجب أن تحتوى التيار الإسلامى لأنه موجود ويمثل جزءاً أساسياً من الناس، وقد حمل وحده عبء مواجهة النظام. وقبل قيام التحالف جرت حوارات طويلة مع التيار الإسلامى، ووافق بعضه على الانضمام للتحالف الوطنى لتحرير سوريا، ورفض بعضه الآخر الفكرة من أساسها ولا يزال. عدنان عقله مثلاً رفض التحالف وأحتّمى بإيران التى صالحته مع النظام السورى وه الآن موجود فى سوريا، وهو من قادة «الأخوان» فى الداخل.

وأما الذين وافقوا على الانضمام للتحالف من «الأخوان» فقد كانوا يدركون أن هذا القرار سيوجد أنشقاقاً داخل الجماعة، الأمر الذى حدث فعلاً. إذن فالتوصل إلى إقامة تحالف وطنى يضم التيارين الوطنى والإسلامى لم يكن عملية سهلة. منطقياً قد يكون أمراً بديهياً، لكن فى الممارسة العملية يختلف الوضع تماماً.

— ما هى العوامل التى دفعت بكل فصيل إلى الانضمام للتحالف؟

* الحوارات التى نتج عنها التحالف جرت فى أثناء أحداث حماه، فى شباط وآذار (فبراير ومارس) من عام ١٩٨٢. وطبعاً كان لوجوده حدث حى، والأخبار التى تصل كل الأطراف من أن حماه تدمر والنساء تنتهك أعراضها، تأثيره فى كسر الحواجز العاطفية بين مختلف فصائل المعارضة، وفى تشكيل عامل ضغط معنوياً على كل الأطراف من أنه آن الأوان للتطلع إلى المستقبل بنظرة جديدة وعقل مفتوح وأمل.

— من كان البادئ فى الدعوة إلى الجبهة تحديداً؟

* كل الأطراف التى قبلت بالتحالف كانت تدعوا إليه، ولا أريد المبالغة بتفضيل فريق على فريق. كان هذا الشعار يتردد على ألسنة العاملين فى الحقل الوطنى السورى، بشكل منفرد. وجرت حتى محاولات لإقامة تحالف بين الأحزاب داخل سوريا يضم الإتحاد الاشتراكى وحزب العمال الثورى والاشتراكيين العرب (أكرم الحوراني) وجماعة صلاح جديد والحزب الشيوعى المكتب السياسى (الترك).

بعض الأطراف طرح الفكرة عندما كنت فى سوريا وقام أعترض على وجود جماعة صلاح جديد على أساس أن هذا الغيم جلب هذا المطر، وأن عقد حافظ الأسد هو امتداد لعهد صلاح جديد. هذا فى الداخل.

أما فى الخارج، فكان الجميع ينادى بالفكرة. وفى أواخر السبعينيات (٧٧ و٧٨) برز الأخوان المسلمون بعد أن قاموا بعمليات الأعتيال فى الداخل فتحول ضمهم إلى أى تحالف قضية أساسية من أجل عقلنة سياستهم وتجنبيهم الانجرار إلى لعبة النظام بتقسيم البلد على أساس طائفى.

وفى الأساس كان وجودهم مطلوباً نظرياً، وبعد عملياتهم صار وجودهم مطلوباً أكثر لعقلنة نضالهم. وعندما نضجت العملية بعد أحداث حماه ووافقت القيادات الرئيسية للأخوان على الانضمام للتحالف عن أقتناع، فى حين رفض متطرفوهم الفكرة ولا يزالون.

- من هى الشخصيات التى وقعت على التحالف فى باريس عام ١٩٨٢؟

* حزب البعث ومثله شبلى العسيمي، والاشتراكيون العرب (أكرم الحوارنى)، والإتحاد الاشتراكي (محمد الجراح وجاسم علوان) والأخوان المسلمون (عدنان سعد الدين) والجبهة الإسلامية (الشيخ عبد الفتاح أبو غده) والمستقلون من أمثال خالد الحكيم ونسيم سفر جلاتى، وآخرون فى الداخل والخارج.

- بصرف النظر عن الحساسيات من كان العنصر الفعال فى إقامة التحالف؟

* أجيب عن نفسى وأقول أننى كنت من أشد المتحمسين لقيام التحالف وكنت أدرك أنا وغيرى أنه لا تحالف دون وجود طرفين رئيسيين... فهناك الأحزاب القومية الثلاثة (البعث والاشتراكي العربى والناصريون). وهناك الطرف الإسلامى المتمثل فى الإخوان المسلمين والجبهة الإسلامية. وفى تقديرى وتقدير الآخرين أنه حتى نستطيع القول أنه قامت جبهة وطنية، كان لابد للحزبين الرئيسيين من أن يتحاوروا ويقبلوا بمبدأ التحالف وهما: حزب البعث والأخوان المسلمون. فى التيار الإسلامى فإن الإخوان هم الحزب المنظم، وفى التيار القومى فإن حزب البعث هو القوة الرئيسية. وبدون هاتين القوتين الرئيسيتين لا تحالف ولا قدرة على التفرد فى سوريا. وبصراحة إذا كان هناك ميل للتفرد فإن هذا لن يكون عند المجموعات

الصغيرة بل عند المجموعات الكبيرة، وهم على الساحة السورية واقعياً، حزب البعث من جهة والأخوان المسلمون من جهة أخرى. وبدون أن يلتزما علناً ويتفقا على أساس أن طموحهم لمستقبل سورية هو نظام متعدد الأحزاب، لم يكن بالإمكان قيام التحالف. ولا يكفي أن يأتي ولو مائة مستقل وخلقوا تحالفاً لأن القوة الرئيسية هي التي يجب أن تقبل مبدأ التعدد.

الفصل الثالث

اسرار الصراع

الفصل الثالث

اسرار الصراع بين حافظ الأسد وصلاح جديد

اغتصبوا اسر البعث واستبدلوا الجيش بآخر

— الآن وبعد ست سنوات على قيام التحالف، لماذا لم تنضج الأحزاب والفئات الأخرى؟

* هناك فئات أخرى ممكن أن تدخل. في الفترة الأولى كان من الصعب مثلاً دعوة الحزب الشيوعي (المكتب السياسي) ويجب تفهم الصعوبة، فمثلاً، لعضو من الإخوان يمكن أن يقبل بصعوبة بحزب البعث، ولكن أن يقبل الشيوعيين فهذا كان صعباً جداً. والآن وبعد مضي هذه السنوات فإن دخول الشيوعيين أصبح مقبولاً من حيث المبدأ. والأمر نفسه ينطبق على الشيوعيين لأنه لم يكن بالأمر السهل تجاوز تاريخ عمر الحزب الشيوعي لنصف قرن. والمشكل أن الأحزاب العقائدية، التزامها العقائدي يحاصرها أحياناً لمواقع يصعب عليها تجاوزها، على الأقل إلى أن تتمكن القيادات من تثقيف قواعدها على قبول هذه الضرورة. وليس هذا بالمسألة السهلة أن تجمع حزباً إسلامياً وحزباً شيوعياً.

— لكن قيادة الحزب الشيوعي التاريخية بزعامة خالد بكداش متواطئة مع النظام...

* أن الحزب الشيوعي الذي آمل أن ينضم للتحالف هو الحزب الشيوعي (المكتب السياسي)، وهو أيضاً قيادة تاريخية مثل رياض الترك وأحمد محفل. ومنذ تكوين الحزب الشيوعي هما بقيادته. ولما حدث الانشقاق داخل الحزب الشيوعي فإن الأكثرية في الحقيقة هي المكتب السياسي وليس خالد بكداش.

- هل حاولت المعارضة إقناع خالد بكداش بالتخلي عن دعم نظام الأسد؟

* أن خالد بكداش كل تاريخه السياسى فى سوريا هو من نوع القادة الشيوعيين الذين صاروا قطاعاً نادرة هذه الأيام من الستالينيين القدامى الذين يعتبرون أن سياسة الإتحاد السوفياتى مقدسة، بمعنى كيف يتجه الإتحاد السوفياتى فإنهم بدون تردد يتجهون. للإتحاد السوفياتى اعتبارات دولية تتجاوز سوريا ونظامها، ولكن خالد بكداش إذا كان عنده أولويات فى عقله فالأولوية الأولى هى أن يكون صدى لسياسة موسكو أكثر من أن يكون صدى لرأى قواعد حزبه وجماهير الحزب. بدليل أن الانقسام الذى حدث ضد خالد بكداش لم يتوقف عند خروج أكثرية المكتب السياسى من الحزب وتكوينهم لحزب جديد، بل بعد ذلك حدث انشقاقان آخران داخل حزب خالد بكداش وكل هذه الانشقاقات اعترض على تعاون خالد بكداش مع النظام السورى.

التعدد.. والوحدة:

- الآن هل سينضم الحزب الشيوعى (المكتب السياسى) إلى التحالف؟

* نعم هناك محاولات تجرى لتوسيع التحالف حتى يضم شخصيات تمثل قوى حية فى داخل سوريا ولكننى ليس بوضع يسمح لى بذكر الأسماء فى هذه الفترة.

- ولكن هل هى تمثل اتجاهات أم احزاباً أم ماذا؟

* لنقل تمثل اتجاهات... مثلاً الأحزاب القديمة مثل حزب الشعب وبقايا الحزب الوطنى، فإن التحالف الوطنى لتحرير سوريا أجرى معها حوارات، ولم يبق منهم عناصر فاعلة ومعنية فى السياسة السورية كما يجب. هناك اتجاهات لنسُميها

اتجاهات ديموقراطية داخل سوريا وهي موجودة ولا حاجز بينها وبين المعارضة. بمعنى أن المعارضة الوطنية مثل ما أفهمها، وكما هي حالياً في واقع الحال، لا تتوقف إطلاقاً عند أى حدود عقائدية للدعوة التي أطلقها التحالف، والتي لا تزال قائمة إلى الآن، وهي أن أى حزب أو تنظيم شعبى أو نقابى أو سياسى أو أى شخص مستقل مطلوب منه الموافقة على أمرين: إسقاط هذا النظام وإقامة نظام ديموقراطى متعدد الأحزاب، وأى حزب أو شخص يلتزم علناً بهذين المبدئين له مكان فى التحالف.

- هناك من يفكر بأن تعدد الأحزاب قاد إلى المزيد من المشاكل فى سوريا، وأن تجربة تعدد الأحزاب مع محدوديتها لم تساعد على إيجاد حزبين أو ثلاثة ليسيطروا على الساحة السورية، بل قادت إلى التشرذم الأكبر. فلماذا تعتقد الآن بتعددية الأحزاب، خصوصاً وأن البعث هو الذى طرح فكرة الحزب القائد فى العالم العربى؟ وهل العودة إلى الكلام عن الحكومات الائتلافية هي عودة إلى الوراء أمر تطور فى الفكر السياسى للمعارضة السورية؟

* دعنا نأخذ تاريخ سوريا الحديث. أعتقد أن أهم المكتسبات الوطنية التي تمت فى سوريا تحققت فى ظل تعدد الأحزاب وليس فى ظل الحزب الواحد ونظام الفرد لا فى عهد عبد الناصر ولا فى عهد ٨ آذار وما عقبه. أن سوريا قاومت الأحلاف العسكرية فى الخمسينيات وتغلبت عليها.

- لقد تغلبت على الأحلاف بالوحدة العربية ...

* أن الوحدة مع مصر فى أهم إنجاز تاريخى فى هذا العصر. أن الثورة الحقيقية هى تجاوز هذه الكيانات والتطلع إلى إقامة الوحدة العربية التى بدونها أصلاً فإن العرب ليس لهم مكان تحت الشمس كما يقال. سوريا ينظامها الديموقراطى وصلت بالإجماع تقريباً (ولم يشذ إلا خالد بكداش والحزب الشيوعى وقتئذ) وقبلت بالوحدة مع مصر. ويتقديرى أن هذه الوحدة بالرغم من أنها فشلت وجرى التآمر عليها، إلا أنه من الناحية التاريخية هى أكبر إنجاز تحقق ليس على صعيد سوريا بل على صعيد الوطن العربى كله، وهذه الوحدة تحققت فى ظل نظام ديموقراطى متعدد الأحزاب فى سوريا.

أن الحياة الديموقراطية لم تستقر فترة كافية فى سوريا حتى يصبح هناك تقاليد ديموقراطية عميقة. لكن الفترات الديموقراطية على قصرها، إذا نظرنا إليها الآن فإننا نشاهد أنها، بأى مقياس، أنظف من فترات الديكتاتورية. فمثلاً، الفساد متواجد كأى بلد نام أو متقدم، ولكن فى النظام الديموقراطى كان الفساد يُكتب عنه وتتم محاسبة المسؤولين. أما الفساد الآن الذى يحدث فى سوريا بالمقارنة مع ما كان يتم فى الخمسينيات - لا يمكن مقارنته، وهو شعرة من جمل كما يقال. وحول اختيار البعث فكرة الحزب القائد، فإن هذا الطرح لم يحدث عندما كان حزب البعث هو حزب البعث عندما كانت القيادة التاريخية موجودة فى السلطة فى سوريا. لقد حدث هذا بعد عام ١٩٦٦ وبعد أنقلاب عسكري شباط (فبراير) ٦٦ ضد القيادة التاريخية لحزب البعث. والآن ممثل القيادة التاريخية ميشال عفلق محكوم عليه بالإعدام من قبل النظام الذى يقول أنه حزب البعث، وصلاح البيطار أغتيل من قبل النظام الذى يقول أنه حزب البعث. أن كل جيلنا نحن من البعثيين لا أحد منهم داخل الحزب الحاكم فى سوريا الآن، وكلهم أما تركوا الحزب أو أعدموا أو سجنوا. وهناك من سجن منذ عام ١٩٦٩ حتى الآن أعترضاً على هذه الفكرة أى أن يتحول حزب البعث من حزب ديموقراطى إلى حزب ديكتاتورى يحتكر السلطة. وأنتى لا

أعتبر أبدأ أن الحزب القائم الآن في سوريا هو حزب البعث. أن هذا الحزب لا أعرفه وحزب البعث يحكم على ميشال عفلق بالإعدام ما هي علاقته بحزب البعث؟

- ما أسأل عنه لماذا تخلت القاعدة الشعبية لحزب البعث عن واجبها تجاه الحزب كفكرة وتركته فريسة العسكر من أمثال حافظ الأسد؟

* الآن حزب البعث لديه طبعاً تنظيم في سوريا وهو من أكبر التنظيمات الموجودة في الداخل، لكنه تحت الأرض وليس علنياً ولا يمكن أن يكون علنياً. ما حدث أن حركة ٨ آذار قامت بها مجموعة من الضباط الذين كانوا موجودين أيام الوحدة في القاهرة وعلى رأسهم محمد عمران وصلاح جديد وحافظ الأسد وسليم حاطوم وبدر جمعة، وهؤلاء من البارزين. وفي عهد الانفصال سنة ١٩٦٢ وبداية ١٩٦٣ كان الوضع مهلهلاً كثيراً. وحتى الميزة الرئيسية التي طرحها، وهي الديمقراطية الغاها التدخل العسكري في أواخر عام ٦٢ عندما حل الجيش البرلمان وأستلم إدارة الحكم (حيدر الكزبري كان المسؤول الرئيسى في هذه الفترة).

وحدثت ثورة ٨ شباط في العراق في عام ١٩٦٣ والتي قلبت حكم عبد الكريم قاسم وحملت حزب البعث للحكم. وهذا تاريخ آخر منفصل. ولكن نجاح البعث في العراق أعطى حزب البعث في سوريا دفعة معنوية كبيرة جداً. ومجموعة العسكريين الذين قاموا بانقلاب ٨ آذار وأرادوا أن يعطوا صورة لحكمهم فوجدوا من الطبيعي أن يلجأوا لحزب البعث من جديد وللناصرين من جهة أخرى.. لكن البعث لم يأت على أساس أنه هو الذى قام بـ ٨ آذار وهو الذى يحكم بالتالى، بل جاء كشريك في الحكم الجديد على أمل أن الضباط الرئيسيين فيه لهم أصول بعثية، لأن أى ضابط عندما يدخل الكلية الحربية تنقطع صلته التنظيمية مع الحزب، ولكن قسم منهم كانوا بعثيين عندما كانوا طلاباً في الثانوية. وفي عام ٦٣ حتى ٦٦ حاول حزب البعث عملياً، بالتفاهم والإقناع وكل

الوسائل الممكنة أن يدفع الأمور ويحول النظام إلى نظام ديمقراطي. وفي هذه السنوات الثلاث كان هناك أناس مستعجلين أكثر من سواهم وكنت أنا من أول من أستعجل. وفي عملية التحويل هذه، وتركنا الحزب في وقت مبكر.

وسنة ١٩٦٦ فإن العسكر بزعامة صلاح جديد قاموا بإنقلاب ضد حزب البعث باسم الحزب. وكان في هذه السنة حزب البعث في العراق قد سقط من الحكم فخسر الحزب هذه الهالة المعنوية التي كانت تشكل مثل حماية له في سوريا، وبالتالي تمكنت مجموعة ٢٣ شباط أن تسيطر. ولا يعنى أنه لم يحدث احتجاج من حزب البعث ضدهم، فحزب البعث أعلنت قيادته التاريخية فوراً أن هؤلاء ليس لهم علاقة بحزب البعث، وجمهورهم داخل سوريا هو الذى تحمل اضطهاد عبد الكريم الجندى الذى كان رئيس المخابرات العسكرية، وعملياً فإنه وضع كل البعثيين فى السجن وقالوا أننا حزب البعث، أى أنه سجن البعثيين وأدعى أنه هو حزب البعث (اقصد صلاح جديد). هذه العملية حتى بين العسكريين أنفسهم لم تمر بدون اعتراض عليها. وأول من أعترض عليها محمد عمران وأمين الحافظ فسجنا ثم أطلق سراحهما أثناء حرب ١٩٦٧، وسليم حاطوم وبعد جمعة تم إعدامهما.

أحداث ١٩٦٦:

١- ماهى الملابسات التاريخية لقصة سليم حاطوم وهروبه إلى الأردن وعودته؟

* أن سليم الحاطوم قام بمحاولة بالتفاهم مع القيادة القومية، وأحب أن يعود للبعث وكان للقيادة القومية تنظيم عسكري وحاولوا إعادة الأمور إلى نصابها ففشلت المحاولة وهرب إلى الأردن. ولما وقعت حرب ٦٧ عاد هو مع الكثير من السوريين الذين كانوا فى الخارج من أجل أن يقوموا بواجبهم بالدفاع عن البلد. وهؤلاء

كان حظهم سيئاً خاصة بدر جمعة وسليم حاطوم اللذين قتلوهما تحت التعذيب.

- لنستمر في التحليل الهادئ لأحداث عام ١٩٦٦؟

* داخل الجيش السوري كان هناك عدد كبير من الضباط ذوى الأصول البعثية من أمثال بدر جمعة وسليم حاطوم. وعندما أعلنت القيادة القومية أنها بريئة من حكم ٢٣ شباط وليس لها علاقة بحكام سوريا الجدد، توجه الضباط الذين عندهم حنين للبعث إلى القيادة القومية ووضعوا أنفسهم بتصرفها من أجل التخلص من عهد ٢٣ شباط. وكان سليم حاطوم هو رأس الحربة في إنقلاب ٢٣ شباط. لكن يبدو أنه من الأشخاص الذين أعادوا النظر بما قام به وأنشأ تعاوناً مع القيادة القومية ولم ينجح هذا المشروع للأسف وسجن قسم كبير من الضباط وأعدموا.

- ولكن لماذا خلت الساحة السورية ما بين أعوام ٦٦ - ١٩٧٠ من القواعد البعثية وأصبح ثنائى الأسد- جديد يسيطر على الساحة؟

* حدثت عمليات تصفيات واسعة داخل الجيش وسرح مئات من الضباط الكبار والصغار. والتسريحات تناولت البعثيين ومن يمكن أن يقف على رجله... أى أفرغ الجيش تماماً وبدأت منذ ذلك الوقت المبكر مع الأسف عملية التمييز الطائفي داخل البلاد، واتجه بالدرجة الأولى للجيش. الآن ترى التمييز الطائفي موجوداً في كل ناحية من نواحي الحياة في سوريا، لكن في بدايته كان مقتصرأ على الجيش الذى أستبدلوه عملياً بجيش آخر. الأكثرية الساحقة فى الجيش كانت من المجندين وتشكيلاته الرئيسية من العناصر المحترفة، وقد جرى أستبدال هؤلاء بالكامل. لقد كان الصراع بين حافظ الأسد وصلاح جديد صراعاً داخل المؤسسة العسكرية.

– كيف تحلل هذا الصراع؟

* أراد صلاح جديد أن يعطى تبريراً لتفردّه في الحكم فأتجه نحو اليسار المتطرف جداً مما أكسبه دعم الإتحاد السوفياتي والأعتراف به كنظام بعثي اشتراكي تقدمي... لكن المبالغة اليسارية أوجدت في الداخل أزمة اقتصادية طالت جميع الناس وخصوصاً طبقة البرجوازية الوطنية، وحدثت تجاوزات كثيرة في عمليات التأميم والمصادرات والاعتداء على الناس. أي أن صلاح جديد جعل من المزايدة اليسارية التي بدأها بدافع أنتهازى خيوطاً وقع هو في حبالها أخيراً بمبالغاته اليسارية الطفولية المتطرفة وشعاراته وخطبه.

وفي هذه الأثناء وقعت حرب ١٩٦٧ وكان النظام السوري هو العنصر الأساسي في جر العرب إلى معركة معروفة سلفاً أنها خاسرة، وخلافاً للخطة العربية المتفق عليها في قمة ١٩٦٤. ساد التدمير في الداخل ولم تكن الناس قد اعتادت الصبر طويلاً على الظلم والقهر، فوجد حافظ الأسد الفرصة سانحة له ليتفرد شخصياً بالنظام. وكل ما فعله أنه غير هذه المبالغة اليسارية المتطرفة ونشط التجارة الداخلية، وسمح للمقاولين والتجار بأن ينشطوا.

خليفاي والمدني والشهابي وطلاس ليسوا ضباط ميدان:

– ماذا عن مساهمة الضباط الستة مثل عبد الرحمن خليفاي وعلى المدني وحكمت الشهابي ومصطفى طلاس في إيصال الأسد إلى السلطة؟

* كان حافظ الأسد وزيراً للدفاع، وكان الجيش معه وهؤلاء الذين ذكرتهم هم جنرالات بلا جنود وليسوا مبرزين عسكرياً في أي ميدان وليس له نشاط معروف

سابقاً، وليسوا ضباط ميدان. أنهم موظفون وبعضهم خدم.

لأسد لم يقتل عبد الكريم الجندى وإنما حاصره ودفعه إلى الانتحار.

- ما الذى ساعد الأسد على ضرب صلاح جديد الذى كان متمكناً أكثر من أجهزة المخابرات؟

* أول عمل قام به حافظ الأسد أنه حاصر مسؤول المخابرات عبد الكريم الجندى الذى كان رمزاً للأرهاب فى عهد صلاح جديد، وحمله على الانتحار.

- ليس هو الذى قتله كما قيل؟

* لا لم يقتله بل دفعه إلى الانتحار... فقد حاصره فى مكتبه، وكان الجندى عضواً فى القيادة، وكان يعرف أنه إذا استسلم فإنه سيقتل. وبسقوط الجندى اكمل الأسد سيطرته على الجيش والمخابرات. وبقي صلاح جديد مسيطراً على الحزب فقط الذى لم يعد هو حزب البعث المناضل، بل حزب صلاح جديد ولذلك انتقل ببساطة إلى قيادة حافظ الأسد.

- هل كان اعتماد الحزب على العسكر خطأ تاريخياً؟

* عندما وافق حزب البعث على التعاون مع جماعة ٨ آذار كانت هناك قضايا كثيرة مطروحة ومنها إعادة الوحدة. ليس الوحدة بين سوريا ومصر فقط، بل الوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق ومصر. وهذا الهدف الكبير لحزب البعث كان دافعه الرئيسى أن البعث حزب وحدوى ومن أجل هذا وافق على حل نفسه عام ١٩٥٨ لتسهيل قيام الوحدة السورية-المصرية. وحركة ٨ آذار أعطت حزب البعث فى ذلك الوقت فرصة تاريخية لإعادة الوحدة على أساس أنه استلم الحكم فى العراق. ومصر لا تزال ناصرية. وفى داخل سوريا لم يتعاون حزب البعث فقط مع حركة ٨ آذار. بل تعاون مع الناصريين أيضاً للهدف نفسه. وكان

الناصريون متعجلين وطرحوا شعار الوحدة الفورية، والعودة إلى إطار وحدة ١٩٥٨. بينما كان يرى البعث آنذاك، كما كتب الأستاذ ميشال عفلق عام ١٩٦٢، إن أخطاء الوحدة لا تبرر الانفصال، ولا بد من بحث هذه الأخطاء وتجاوزها وإعادة النظر والتدقيق فيها، حتى لا يظهر حكم فردى يعتمد على المخبرات والأرهاب كما حدث في وحدة ١٩٥٨، ولذلك يجب أن تكون الوحدة ثلاثية.

وفعلًا جرت مباحثات بين البلدان الثلاثة وأتفق على قيام وحدة ثلاثية في نيسان (إبريل) ١٩٦٣، لكن تأزم الخلاف في سوريا بين البعث والناصرين الذين يريدون الوحدة الفورية، أدى إلى تركهم الحكم، ولم يقالوا، وكانوا برئاسة لؤى الأتاسى وجاسم علوان من العسكريين وعبد الكريم زهور وجمال الأتاسى ومحمد الجراح وغيرهم من المدنيين، وتخلوا عن حركة ٨ آذار في وقت مبكر، أي في تموز (يوليو) ١٩٦٣ بعد فشل محاولة ١٨ تموز التي قام بها جاسم علوان. وبقي حزب البعث وحده في الحكم ولكن لم يكن هناك اندماج بين تنظيم حزب البعث والتنظيم العسكري الذي قام بالانقلاب، بل كان هناك التقاء في المجلس الوطني على أساس أن للحزب ممثلين محدودين، وللعسكر عدد محدود أيضاً.

الشيشكلي اضطهد البعث بقيادات عفلق والحوراني والبيطار؛

وكان الحزب يسعى إلى تطوير الأمور في اتجاه ديمقراطي. وآخر وزارة شكلها صلاح الدين البيطار عاشت مائة يوم، دعا فيها كل الأحزاب في سوريا للمجيء إلى مجلس نواب متفق عليه ووضع قانون انتخاب جديد ولكن حدث الانقلاب بعد مائة يوم من بيان صلاح الدين البيطار. لماذا شكل البيطار الوزارة ثلاث مرات؟ لأنه كان من الصعب حسم الخلاف بين المجموعة العسكرية التي تريد ترسيخ الحكم العسكري، وبين حزب البعث

بتقاليده المناوئة للنظام العسكرى.

وتاريخياً فإن الانقلابين الكبيرين فى سوريا قام بهما حسنى الزعيم وأديب الشيشكلى، وقد حمل البعث راية الكفاح ضدهما. لهذا فإن القول بأن حزب البعث هو الذى أتى بالعسكر فيه ظلم. أما عن مسؤولية الاشتراكيين والأستاذ أكرم الحوارنى فى تشجيع حسنى الزعيم والشيشكلى، فقد سمعت بهذه الأقوال، ولكن الحوارنى منذ ١٩٥٢ كان عضواً فى قيادة حزب البعث المعارض للأنقلابات العسكرية. ولما أضطهد الشيشكلى حزب البعث كان عفلق والحوارنى والبيطار هم قادة الحزب وعاشوا السنة الأخيرة من حكم الشيشكلى فى الخارج كلاجئين سياسيين، ولم يكن للحوارنى موقف مختلف داخل الحزب.

الوطن العربى؛ لكن من يتحمل المسؤولية عن فشل قيام الوحدة الثلاثية؟

حمود الشوفى؛ نظام الحكم العسكرى فى سوريا ومصر يومذاك كان هو المسؤول. النظام العسكرى الناصرى اعتمد المخابرات والقمع والأرهاب دون مبرر، النظام السورى أيام الوحدة أضطهد كل الوجدويين وخصوصاً حزب البعث.

- الميرتكب حزب البعث خطأ تاريخياً عندما وافق على حل نفسه؟

* البعث فى عقيدته هو حزب الوحدة العربية، وهو فى الدرجة الأولى حزب وحدوى وديمقراطى واشتراكى. وعندما وجد لأول مرة فى التاريخ الحديث، وحدة تتحقق بين قطرين عربيين لم يتردد فى قبول شروط عبد الناصر، وكان شرطه الأساسى ألا تقوم الوحدة بوجود أحزاب فى سوريا لعدم وجود الأحزاب فى مصر. ووجد حزب البعث نفسه أمام هذه المعادلة: أما الوحدة وأما الحزب. واختار

البعث أن يحل نفسه في سوريا لأنه حزب قومي وله تنظيمات قائمة في أقطار عربية أخرى. ولا أقول أن هذه الخطوة كانت صواباً أو خطأ لأن المسألة كانت نظري: أن تقوم الوحدة أولاً لا تقوم. وإذا أراد المرء أن يفكر الآن بمنظور تاريخي فإن السؤال هو: هل كان من الأفضل أن تتحقق الوحدة أو لا تتحقق؟ وليس السؤال أن يحل الحزب نفسه أو لا يحل نفسه.

البعث هو الذي خطط للوحدة الثلاثية بين سوريا والعراق ومصر:

- بالعودة إلى محاضر مفاوضات الوحدة التي بثها "صوت العرب" ونشرت عام ١٩٦٣ في مجلدات، يتبين أن السوريين لم يكونوا جديين في طلب الوحدة.

* ربما كان بين العسكر السوريين الذين فاضوا من لم يكن جدياً مثل صلاح جديد. أما ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار، فأعتقد أن أحداً في الوطن العربي لا ينكر وحدويتهمما وجديتهما، وكذلك الحزب في العراق الذي كان مرتبطاً بالقيادة القومية برئاسة ميشال عفلق. ربما كان هناك أفراد ضمن الوفد السوري لم تكن لديهم الرغبة الصادقة، ولكنها لم تكن ظاهرة قبل عام ١٩٦٦. وربما كان هذا الأمر من أسباب الصعوبات التي واجهت التوصل إلى اتفاق مع عبد الناصر.

- لماذا؟ هل كان عبد الناصر خائفاً من تجارب الماضي؟

* تماماً، فهو كان يتخذ موقفاً معادياً للأحزاب، ووجد نفسه يتفاوض مع حكومتين حزبيتين. وكان عبد الناصر يعرف أن الرأي العام في سوريا والعراق يطالب بالوحدة. وحتى نشر محاضر الوحدة يمكن تفسيره بأنه كان بدافع نيات مبيتة إذ لم يكن هناك اتفاق على تسجيل الحوار، لأنه كان حواراً نظرياً في معظمه.

كان عبد الناصر يقول في ذلك الحين أنه لا يوجد خلاف نظري بينه وبين حزب البعث، والحرية كانت من مبادئ الثورة المصرية عام ١٩٥٢ وكذلك الاشتراكية والوحدة وكان لابد من نقاش نظري وعتاب لإزالة ما قد يكون عالقاً في الأذهان والقلوب. لكن نشر المباحثات أكد الظنون من أن عبد الناصر لم يكن جاداً وأنه أوعز بتسجيل المحاضر ونشر ما لم يكن معداً للنشر.

- أين سوريا الوحدوية في عهد حافظ الأسد؟ أعتقد أن الأجيال الجديدة في سوريا لم تعد مؤمنة بها.

* لنكن دقيقين. وليس لدى الأنطباع بأن النشء الجديد في سوريا تحول من العقيدة القومية إلى الماركستيلية. وشعبنا مثل غيره يجد فيه قلة تنساق مع التيار وتفتش عن مصالحها قبل المصلحة العامة. وحتى النشء الجديد لا يمكنك أن تفصله عن تاريخه. وسوريا مرتبطة بالفكرة العربية في تاريخها الحديث.

في الثلاثينيات، عندما حاول الفرنسيون تقسيم سوريا إلى دويلات طائفية، اصطدمت بمطالب كل الأحزاب ورجال السياسة الذين قدموا مطلب الوحدة الوطنية حتى على مطلب الاستقلال، وفضلوا البقاء شعباً واحداً ولو تحت الاستعمار، على الاستقلال مع التجزئة إلى خمس دويلات طائفية. الخوف من التشتت والتقسيم الطائفي واضح في سوريا منذ أواخر القرن الماضي، والنضال ضد الأتراك كان على أساس قومي عربي، وقد حافظت سوريا على هذا التقليد. وحتى الجيل الذي يذهب إلى مدارس حافظ الأسد ويرى أهله في طوابير الخبز والخضار يعايشون الذل، قد يخرج منه أفراد - كما خرج من جيلنا - يهتمون أولاً بمصالحهم الخاصة. لا أقول أن شعبنا أحسن من غيره، لكنه ليس اسوأ. وعندما تتوافر الظروف والقيادة الملائمة والوضوح الفكري، أعتقد أن الأكثرية تختار الطريق القويم والقومي، وليس القطري، والوحدة الوطنية لا الطائفية.

- التحالف الوطنى لتحرير سوريا، هل سينتقل إلى الكفاح المسلح ضد النظام السورى، بعد انتهاء مرحلة التجميع والتنظيم الفكرى؟

* لن يكون للتحالف معنى دون ذلك. وفى كل ما ينشره التحالف على السنة المسؤولين فيه يدعو إلى إسقاط هذا النظام حفاظاً على الوحدة الوطنية فى سوريا، والتي لا يمكن الحفاظ عليها إلا بالديمقراطية.

- وما هى السبل التى سينتهجها التحالف لإسقاط النظام؟ وهل سيقصر على توزيع المنشورات؟

* أن اصدار نشرة وتوزيعها داخل سوريا هو اليوم خطوة كبيرة ومهمة. التحالف أختار عبارة «تحرير سوريا» بما يوحي أنها تحت حكم أجنبى. وواقع الحال دون المبالغة أن هذا النظام أجنبى عن سوريا، ويجب أن نفعل ذلك حتى لا يكون مستقبل سوريا مثل حاضر لبنان. وللنضال أساليب، ولا أستبعد أى أسلوب بشرط أن يكون منسجماً مع الهدف الذى يتوخاه هذا النضال. وإذا كنا نسعى - ونحن كذلك - إلى إقامة نظام ديمقراطى متعدد الأحزاب، فإن عبء النضال لا يقتصر على تنظيم واحد وحزب واحد لئلا يكون ذلك بداية للتفرد فى المستقبل. يجب أن يساهم فى النضال كل الأحزاب والشخصيات والقوى.

من الناحية العملية، إذا تأخرت عملية التحرير شهراً مقابل انضمام قوة جديدة للنضال فأتنى أقول: لنؤخر التحرير شهراً لنضمن أوسع قاعدة مشاركة للقوى المختلفة، ويكون من حقها مستقبلاً المشاركة فى نظام متعدد الأحزاب من الوسط واليمين واليسار.

الصيغة العملية فى اعتقادى هى إن أى جهد يجب أن تسبقه مرحلة لا أسميها الصحو، بل الاستعداد للتحرك بالتظاهر والاضراب. وقبل الكلام عن النضال المسلح والمواجهات العسكرية، لابد أن يكون المناخ الشعبى وصل إلى حد المشاركة الجماهيرية فى

الداخل ضد النظام. وما تحاول المعارضة السورية تحقيقه الآن هو شيء مختلف تماماً عما كان يجرى فى السابق.

فى الماضى كان يقود عملية النضال حزب واحد، أو ضابط أو مجموعة ضباط، أى قوة سياسية متجانسة عقائدياً وتكتيكياً. ما يجرى الآن جديد فى العمل السياسى العربى... فهذا النضال لاسقاط النظام هو من نوعية النضال لاسقاط المستعمر الأجنبى. وهذا يقتضى انخراط الأحزاب والقوى السياسية من اتجاهات متعددة فى عملية النضال. عملية الانضاج هذه لا أقول إنها طالت، ولكن أقول إنها لا بد أن تحدث، ولا يمكن افتعالها قسراً. لا يسقط النظام من الخارج بل من الداخل... أى أن يكون هناك استعداد لدى العمال والطلاب والمثقفين والتجار وكل قطاعات الشعب للاستجابة لعملية التغيير، اقتناعاً بأن القائمين على التغيير فعلاً يريدون تغيير النظام، وليس تغيير الشخص، أى تغيير الصيغة السياسية القائمة وهى صيغة الحكم الدكتاتورى الفردى والأرهابى، وإقامة صيغة ديمقراطية متعددة الأحزاب يوافق عليها الجميع.

المشكلة فى سوريا، أنه حتى يتم التوصل إلى مثل هذا الاقتناع على مستوى الشعب بشكل عام، لا بد من جهود فائقة، لأن كل أطراف التحالف الرئيسية فيه لها تجربة معروفة لدى الناس بشكلها السلبى. وحتى نبنى تواصل هذه القوى بقناعاتها الجديدة لا بد من وقت، وعملية تثقيف واسعة وتعاون بين الإخوان المسلمين والبعثيين والناصريين، وأن يتم هذا التعاون فى الداخل، وأن يقولوا للناس إنهم تحولوا من فكرة التفرد إلى فكرة التعدد، وهذا ما يحمل البعض منا على التأفف وقد ضاق صدره ويردد: إلى متى الانتظار؟

المعارضة العلوية:

- خلال ١٨ سنة من حكم الأسد لم نر أثراً لعملية النضوج هذه التى نتحدث عنها.

* صحيح، صحيح... لكن إذا توصلنا إلى هذه المرحلة نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً للبلد. والآن، كيف يتطور الوضع داخل سوريا؟ قلت أن الناس مهتمة بشؤونها الخاصة، ولكن التمييز الطائفي والشرخ الطائفي عميق إلى درجة يصعب تصورها لأنه مخيف. وأى تحرك ضد النظام شرطه الرئيسى ليكون تحركاً وطنياً لا طائفيّاً، أن تكون هناك مشاركة علوية أساسية، لتلافى اعطاء الانطباع للشعب السورى أنها قضية سنّية ضد العلويين، أو قضية درزية ضد السنة، أو قضية سنّية ضد النصارى... وفى ظروف سوريا القائمة حالياً، ومع التاريخ المعروف للأحزاب المشاركة فى التحالف، فإن التحالف وحده لا يكفى، ويجب أن تتوسع الصيغة لتضم قوى أساسية من الطائفة العلوية. والانتظار من أجل تحقيق غاية كهذه ليس أنظاراً دون جدوى، لأنه شرط أساسى للحفاظ على الوحدة الوطنية عندما تحين ساعة التغيير.

- هناك طبعاً البداية والطلّيعَة المعارضة من الشخصيات العلوية مثل الشاعر أحمد سليمان الأحمد. ولكن هل تعتقد أن ظروف العلويين فى ظل النظام الحالى تسمح لهم بالاستجابة إلى النداء؟

* عندما تقول «طائفة» هناك أمران إذا تداخلا فأنهما يضيعان البلد ونضيع معهما. الأمر الأول هو الطوائف كإرث دينى تاريخى، والثانى هو الطائفية السياسية التى تعنى استغلال هذا الإرث القديم لأغراض سياسية أنتهازية. أن وجود الطوائف فى سوريا هو أمر قديم ومعروف ومقبول ولا أعترض عليه. بعض المتطرفين من التيار الإسلامى قالوا أن حل هذه المشكلة يكون بأن نجعل الناس تتحول إلى السنة ولو قسراً وبالعنف، وهو أمر مشابه لما يقول الخمينى ويفعله اليوم.

النظام العسكرى فى سوريا ومصر هو المسؤول عن فشل قيام الوحدة
الثلاثية.

لا أقول أن الطائفة العلوية كلّ متجانس. تاريخياً وواقعياً هي ليست متجانسة شأنها في ذلك شأن السنة والدروز والإسماعيلية وغيرهم. ولكل واحد من الناشطين سياسياً عادة، توجهه الذهني، فقد يكون بعثياً أو شيوعياً أو غير ذلك. وطبعاً فإن إثارة النعرة الطائفية يكن أن تجتذ قوى جاهزة للسير في هذا الاتجاه. وهذه القوى هي عادة الأجهل والأقل ثقافة، وهي ليست الجسد الرئيسى فى المجموعة البشرية التى اسمها الطائفة. ومن خلال التجربة، وليس نظرياً، أعتقد أنه لا يوجد ضمن الطائفة العلوية قبول بهذا النظام. ولو أتيح لنا إجراء نوع من الأحصاء لتبين لنا أن نسبة السنة المتعاونين مع النظام أعلى من نسبة العلويين المتعاونين معه. والمثل يقول: إذا اردت أن تطاع فاطلب المستطاع. ولا نكون واقعيين على الإطلاق إذا قلنا أن هذه الأكثرية الوطنية بين العلويين المعادية للنظام والمرتبطة بوحدة الشعب والقضايا القومية، يمكن أن تنقاد للأخوان المسلمين مثلاً. ولا بد لها أن تكون ممثلة فى جبهة وطنية حتى يمكن أن تصل إلى جمهور العلويين مثل أى طائفة أخرى، وأن تشارك فى عملية التغيير.

نريد تغيير النظام لا تغيير الشخص بعمل يشترك فيه الجميع،

- من يراقب المحيط العربى يلاحظ أنحسار القومية العربية وظهور دول الطوائف والأقليات، ودول القبائل والتفوق القطرى. وهذه الأقليات حصلت على امتيازات من الصعب التخلّى عنها، فكيف يتخلون عنها؟
* كما تخلّى عنها أحمد سليمان الأحمد.

- هذا موقف شاعرى مرهف...

* سيأتى الوقت الذى نتكلم فيه بالأسماء، والأحمد ليس هو الوحيد، العلوى يعد إلى العشرة إذا كان غيره يعد إلى الخمسة، قبل أن يأخذ موقف المعارض، ولكنه

فى النهاية سىتخذ هذا الموقف.

– ماذا سىمنحه التحالف لىتخلى عن أمتىازات ثلاثة عقود؟

* من هم الذين حصلوا على أمتىازات من العلویین ؟ أنهم قلة، والأسماء التى نشرتها منظمة العفو الدولية تضم عشرات من العلویین ومنهم البعثى أو الشیوعى أو الناصرى، وهم فى السجون ولم یشفع لهم أنهم علویون.

– ربما لأنهم تطلعوا إلى السلطة؟

* لا، أبداً. هل الحزب الشیوعى (جماعة الترك) یتطلع إلى السلطة ؟ حزب البعث المضطهد يضم علویین كثیرین فى الداخل والخارج.

الفصل الرابع

لاخلافات بين الشقيقتين

الفصل الرابع

لاخلافات بين حافظ ورفعت الأسد

وهذه هي حقيقة الصراع بين رفعت والمجموعة العسكرية،

إذا أخذت عينة من الناس تجتد نسبة ٢٪ مثلاً من السيئيين في أى ظرف. وتجد النسبة نفسها في العينة نفسها من الفضلاء في أى ظروف. الغالبية الساحقة هي بين وبين أو «هيك وهيك»، وهذا حسب الظروف. ولا يوجد أى سبب تاريخي أو ثقافي أو اقتصادي يجعل من العلويين طبقة اجتماعية بهذا المعنى. من المستفيد من النظام؟ رفعت الأسد؟ ولكن هذا يقابله مصطفى طلاس مثلاً من الطائفة الأخرى.

خروج رفعت الأسد من سوريا

- لماذا خرج رفعت الأسد من سوريا؟ هل خروجه كذبة كبرى؟ أم أن ضميره بدا يعذبه؟

* الضمير لا علاقة له بهذه القضية. لقصة بسيطة. مرض حافظ الأسد عام ١٩٨٥ وشارف على الموت. وكانت هنالك خلافات بين المقربين، وخصوصاً بين رفعت وقادة المؤسسة العسكرية: على دوبا وعلى أصلان وعلى صالح وشفيق أصلان ومحمد الخولي. وهي خلافات على السلب والنهب وليست عقائدية أو سياسية، وكل واحد منهم يريد احتكار شئ لنفسه. رفعت يريد احتكار استيراد السجائر الأجنبية، وآخر هو محمد مخلوف شقيق زوجة حافظ الأسد عارضه ونافسه. وكان محمد مخلوف يحصل على ربح قدرة ثلاثون قرشاً عن كل علبة سجائر أجنبية تدخل سوريا. ضارب عليه رفعت الأسد وقبل بمبلغ ٢٥ قرشاً. وهذه قصة واقعية. اختلفوا على السجائر، ثم على التهريب ثم على السيارات. ولأنهم بلا

حسب ولا رقيب عليهم، أصبح كل واحد منهم يحاول احتكار مصادر ربح حرام على حساب الآخرين. وفي ما بعد حاول كل واحد منهم اعطاء هذا الخلاف على المغنم شكلاً سياسياً. مثلاً مجموعة الضباط تمثل اليسار، ورفعت يمثل اليمين.

عندما مرض حافظ الأسد وشارف على الموت، شعر كل طرف بأنه في سباق مع الطرف الآخر، وأن رفعت الأسد إذا سيطر على السلطة فإنه سيقص رقابهم. وكان هذا هو شعور رفعت أيضاً. وتسابق الجميع في حرب دعائية: المخابرات وجماعة على دوبا ومحمد الخولي من جهة، وسرايا الدفاع من جهة ثانية. فريق رفع صور حافظ الأسد وفريق صور رفعت الأسد. وعندما شفى رئيس الدولة، وهو ككل دكتاتور يعتقد أنه خالد لن يموت، ونقل إليه ما قام به رفعت، لم يعد من الممكن لفلفة الأمور بعد أن أصبح الأمر علنياً، ولأن حافظ الأسد لم يتمكن من التخلص من الجميع دفعة واحدة. ونظراً لتضامن خصوم رفعت، فقد وجد المخرج الطبيعي بالاتفاق معه. وهذه ليست رغبة حافظ الأسد، وإنما لإرضاء المجموعة العسكرية التي يخشى أن يفقد ولاءها فتتحرك ضده. والآن يتصارع الطرفان تحت مظلة حافظ الأسد.

— ماذا عن باسل نجل حافظ الأسد؟

* يمكن أنه يحاول، ولكن النظام هو نظام حافظ الأسد، وإذا مات بشكل طبيعي انتهى النظام.

— من سيرث النظام؟

* العسكر.

- وأهمهم؟

* محمد الخولي وعلى دوبا وعلى أصلان.

- هل هم قادرون على حفظ النظام؟

* هذا أمر آخر، لكنهم نظرياً إذا توفى الأسد فإنهم سيستلمون الإذاعة والجيش.

- أين أذن نفوذ رفعت؟

* المرتشون الذين جمعوا ثرواتهم من وراء استزلامهم لرفعت، هؤلاء ولاؤهم للثروة التي جمعوها. لا يمكن خلق قوة سياسة نتيجة الرشاوى والفساد. المسألة أعقد من ذلك. نجح حافظ الأسد في احتكار السلطة طوال ١٨ سنة ولكن ماذا حل بالبلد؟ وكيف أستخدم السلطة؟ وماذا سترك وراءه؟

- مع ذلك هل يمكن لرفعت أن يتخلى بهذه البساطة؟

* سيحاول، ولكن لو كان عنده النفوذ الكافي لما خرج من سوريا. وعندما خُير حافظ الأسد بين رفعت والمجموعة العسكرية، كان من الطبيعي أن يختار رفعت لأنه لا يشك بولائه له. ولكنه أختار الطرف الآخر، لأنه في الحسابات التي أجراها وجد أن القوة بيدهم، أي الجيش والمخابرات العسكرية.

- ماذا عن البارزين في الطائفة العلوية الآن؟

* البارزون أشخاص تافهون جداً وليس لهم جذور عشائرية أو ثقافية أو وضع اجتماعي أو أي شيء. وهم لا يمثلون زعامة دينية أو أي شئ من هذا القبيل.

— لماذا أستمروا إذن؟

* الأرهاب هو الذى مكنهم من الأستمرار. فرانكو حكم أسبانيا ٣٠ سنة. أن بيدهم السلاح وميزانية الدولة وكل التجارة والمساعدات العربية والسكوت العالمى عنهم.

— كيف تفسر إنحياز الأسد إلى إيران؟ المال؟ الكراهية؟ ماذا؟

* هذه قضية تتطلب محلاً نفسياً لا سياسياً. يبدو أن شهوة الحكم عند حافظ الأسد تطفئ على أى اعتبار آخر، حتى الاعتبار الوطنية والقومية والإنسانية. لقد جاءته فرصة لا تتوافر إلا للقلائل من دكتاتورى العالم، ذلك أنه عندما قام بأنقلابه على صلاح جديد فإن الناس أيدته.. لكنه عوضاً عن أن يبنى هذا التأيد اختاراً أن يكون رجل بوليس وليس قائداً سياسياً وذلك من الأيام الأولى. وكانت أمامه فرصة لتطوير النظام لأنه أتى فى أعقاب نظام دكتاتورى فردى طائفى بغيض، ولكنه أختار العكس. لم يمش فقط على خطى صلاح جديد بل وبالغ فيه بهذا الأسلوب الذى وصل إلى مجزره حماه. وقد تكون تدخلت عوامل خارجية للتلاعب بعقله، ولكن المسؤولية التاريخية تقع عليه فى النهاية.

— أليست هى مسؤولية الناس التى سكنت ١٨ سنة؟

* نحن الآن فى أميركا، وليس لنا الحق فى إصدار حكم على الناس الذين يكويهم الأرهاب والذل والقهر. لم يفعل أحد فى سوريا كما فعل هذا النظام، لا تيمورلنك ولا هولاكو ولا الأستعمار الفرنسى ولا الأتراك ولا اليهود فى فلسطين. مدى النظم والأرهاب المفروض على الناس فى سوريا يجعلنى أتردد كثيراً فى تحميل الناس المسؤولية. افتح الإذاعات الخارجية تجدد أن العالم نسى وجود الشعب السورى، وهذا يخلق حالة من القهر. الصمت العربى والعالمى على النظام السورى «يهد الحيل».

- إذا أردنا أن نحلل هذا الصمت نقول أن الصمت العربى سببه أنه يجد فى هذا النظام خصماً عنيداً لإسرائيل. ودولياً هناك نوع من التعلق للنظام لجلبه إلى حظيرة التسويات السلمية.

* النظام الوحيد الذى لديه توجه قومى وعربى هو نظام حزب البعث فى العراق الذى يخوض حرباً لأكثر من سبع سنوات دفاعاً عن الأرض، ومن التجنى مطالبته بأكثر من ذلك، فهو يقدم التضحيات والرجال والشهداء، وصموده هو صمود العرب. أما الأنظمة العربية الأخرى فكل واحد منها معنى بقضاياها. مصر بوزنها وثقلها ومركزها العربى كان يمكن أن تكون عنصر دعم وتشجيع، ولكنها بعد غياب عبد الناصر اختارت طريقاً آخر. مبارك يحاول بحذر أن يعيد مصر لتلعب دورها العربى ولكن ببطء. وليست لديه الرغبة بأن يقود مصر كما فى أيام عبد الناصر، ولديه اهتمامات اجتماعية واقتصادية، وهى قضايا مخيفة. ويمكننا أن نفهم ثقل القضايا الداخلية التى تقيد حرية مبارك لو أراد أن تستعيد مصر دورها العربى. النظام العربى الأخرى بشكل عام معنية بقضاياها الداخلية أكثر من اهتماماتها العربية، وليس فى هذا ظلم لأحد. إذن، عملياً، فإن العرب غائبون عما يجرى فى سوريا، وباستثناء العراق ومصر ليس من الممكن حضورهم.

أما الدول الأجنبية فليست دول عشائر وهى تفكر فى مصالحها. الولايات المتحدة والإتحاد السوفياتى مصلحتهما على امتداد التاريخ هى الحفاظ على الحالة الراهنة. وسوريا عنصر تغيير فاعل فى محيطه العربى. ووطنية سوريا هى أن تنشر القومية العربية وتذوب فيها وتحقق الوحدة العربية، أى تغيير الحالة الراهنة. والدول الكبرى لها مصالح فى المنطقة، ولا أقول مصالح استعمارية. ومهما كانت الشعارات فإن الدول الكبرى تسعى للحفاظ على الحالة الراهنة، وتعرف كيف تتعامل معها، والتغيير يقلقها. الدول الكبرى تحكمها البيروقراطية التى هى ضد التغيير. ومن المريح لأميركا وللإتحاد السوفياتى أن تغيب سوريا عن

لعب دورها العربى . ويخيل إليهم أنه فى غياب الدور السورى تغيب العروبة أصلاً ومعها وجع الرأس .

إن أى تحرك عربى يعنى تغيير الجغرافيا والحدود وخلق امكانات جديدة، ويعنى نقل العرب من أن يكونوا حصة الغالب إلى أن يصبحوا اطرافاً فى الصراع الدولى والمعادلة الدولية. إن العرب الآن مثل أفريقيا هم حصة الغالب. إذن فالمسألة مريحة جداً بالنسبة للدول الكبرى، ببقاء الحالة الراهنة، وهو الحل الأفضل والأمثل. إذا تغير النظام فهم يستطيعون التعامل مع النظام الجديد، لكنهم فى الوقت نفسه يمكنهم المساعدة على ابقاء النظام إذا شعروا بأنه مهدد.

- نسمع دائماً فى الغرب بأن الأسد نجح فى تحقيق الاستقرار فى سوريا.

* هناك حقيقة، وهى أن فرنسا وأوروبا لم تعودا من القوى الفاعلة. القوتان الفاعلتان هما الإتحاد السوفياتى وأميركا، ظاهرياً على الأقل. والإتحاد السوفياتى مثل كل القوى الكبرى حريص على استمرار الوضع الراهن خصوصاً إذا كان هذا النظام يقول، ولو ظاهرياً، أنه اشتراكى، وهو سوق جيد للسلاح ولأستيراد البضائع الرخيصة.

ومن وجهة نظر الإتحاد السوفياتى فإن سوريا لا تزعجه، إذا كان النظام غير ديمقراطى، فمن قال أن الإتحاد السوفياتى ديمقراطى؟ وما من سبب منطقى يحمل السوفيات على معاداة النظام، إلا إذا انحاز بشكل كامل سياسياً إلى أميركا. أما الولايات المتحدة، فتقدير أن سياستها فى الشرق الأوسط أسيرة للسياسة الإسرائيلية وليس العكس. وسياستها فى المنطقة هى بنسبة ٩٥٪ صورة طبق الأصل للمصلحة الإسرائيلية كما يراها يمين الصهيونية وليس كما يراها الصهاينة الليبراليون.

خذ مثلاً، منذ أيام كارتير وحتى الآن نرى أميركا تسعى في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية بشكل خاص لتشجيع التحول نحو الديمقراطية. أما في الشرق الأوسط فإن الديمقراطية وحقوق الإنسان لا تعنى لها شيئاً لأن مصلحة إسرائيل أن يتحول لبنان إلى حزام طائفي.

وإذا أردنا دراسة سياسية أميركا نحو نظام حافظ الأسد فإن العامل الحاسم في هذا الأمر هو: أين مصلحة إسرائيل؟ ومصلحتها أن تفتت سوريا ليس إلى أربع دول طائفية بل إلى عشرين دولة إذا أمكن لأن وجع الرأس يأتي من سوريا. والتجربة العملية تؤيد ما أقوله، فعندما وجدت إسرائيل من مصلحتها دخول بيروت لم تكن سوريا عقبة في وجه ذلك. ولما ضمت الجولان لم يكن حافظ الأسد عقبة في طريقها. وعندما أرادت إسرائيل أن مصلحتها أن تكون الحدود مع سوريا هادئة لم تجد كذلك عقبة. أن تفتت سوريا وانحيازها لإيران وضرب التضامن العربي في حدوده الدنيا يخدم مصلحة إسرائيل. موقف أميركا المتعاطف مع سوريا هو أمتداد لمصلحة إسرائيل الحريصة على ضرب سوريا وقهرها على يد واحد من أبنائها.

لوائح منظمة العفو الدولية تضر العشرات من العلويين في السجون

- إلا ترى ازدواجية في الموقف الأميركي بين استقبال شولتز بالأحضان في دمشق، وبين إعلان أميركا أن سوريا متورطة بالأرهاب، ومع ذلك يجري الحديث همساً عن محاولة لعقد قمة بين ريجان والأسد؟

* هناك نوع من العلاقة الجدلية بين صلة الحاكم بالداخل وصلته بالخارج. الحاكم يكون قوياً في وجه الخارج إذا كان شعبه معه في الداخل. عبد الناصر وقف في وجه بريطانيا وفرنسا وإسرائيل لأن الشعب كان معه. وصادم حسين يقف في وجه

إيران بحجمها الذي يساوي ثلاثة أضعاف حجم العراق وتحصل على السلاح والدعم من الصهيونية وأميركا، لأن الشعب العراقي مع صدام حسين. ولكن عندما يكون الحاكم مغزولاً في الداخل مثل حافظ الأسد فإن موقفه يكون صعباً جداً أمام الخارج. وكلما تقاوى على شعبه في الداخل كان أكثر ذلاً في التعامل مع الخارج.

وأريد أن أروى لك هذه القصة... في عام ١٩٨٣ دعيت إلى حلقة دراسية في جامعة كولومبيا، وكان الموضوع عن سوريا. وقدمت ورقة خلاصتها أن الفكرة الشائعة هي أن هناك حلفاً استراتيجياً بين أميركا وإسرائيل، يقابله حلف آخر بين سوريا والاتحاد السوفياتي. وما أراه أن الحلف الحقيقي قائم بين إسرائيل والنظام السوري، واستشهدت بغزو إسرائيل للبنان، والموقف من منظمة التحرير وكان النظام السوري أشد وطأة عليها من إسرائيل، والموقف من الحرب العراقية-الإيرانية، وهو يؤدي في النهاية إلى نتيجة واحدة. وكان الحضور من المعنيين بالشرق الأوسط من صحافيين وأكاديميين ودبلوماسيين. وتوقعت أن يستغربوا التحليل، وفوجئت بأن معظم الحضور آيدوا ما ذهبت إليه، وبعضهم أضاف إليه وعدله، باستثناء رجل واحد قام يدافع عن الأسد بشكل عقلاني، وبخاطب العقل الأميركي بصورة ذكية. وقال أن المحاضر (يقصدني) ربما كان متأثراً بوضعه الشخصي وبظلم النظام السوري له، والذي حقق الاستقرار لمدة ١٥ سنة (في ذلك التاريخ)، ودخل لبنان لمنع الراديكالية من الانتصار. وقد دافع هذا الرجل دفاعاً بليغاً عن النظام السوري بأسلوب يفهمه المواطن الأميركي. ولكنني لاحظت أن في لهجته لكنة المانية ثقيلة. وعندما أنتهي أردت أن أرد عليه وقلت له: معذرة، فاتني أن أتذكر اسمك. هل من الممكن أن تعيد التعريف بنفسك لي وللحاضرين؟ فقال أنا البروفسور ممثل الليكود في الولايات المتحدة. قلت له: شكراً لقد برهنا على صدق نظرتي!

- لكن الأسلوب الذى يتبعه النظام السورى يجلب له الدعم العربى، ومنها موقفه من كامب ديفيد...

* أريد أن أجيبك بحادث واقعى مع تجنب ذكر الأسماء لتلافى الأخراج. بعد أن أصبح مبارك رئيساً للجمهورية، كنت فى مصر مع بعض الإخوان من السياسيين السوريين. وكنا نتحدث مع مسؤول مصرى كبير جداً، وأبدى تعاطفه مع شعب سوريا دون تحفظ، وسألنا: ما هو المطلوب من مصر؟ واجبنا: أن تتوقف المساعدات العربية للنظام السورى. وأستمهل عدة أيام، وسافر هو إلى إحدى الدول العربية، وبقيت فى القاهرة أنتظر الجواب. وعندما عاد قال لى أن الأميركيين يصرون على أن تستمر المساعدات العربية لسوريا.

- المواطن السورى يتمتع بوعى سياسى، وهو لا شك يدرك مغزى هذا الموقف الأميركى.

* لا أشك لحظة واحدة بأن المواطن السورى يتمتع بوعى سياسى ممتاز، وهذا ما يقودنا إلى تقرير الحقيقة التاريخية وهى أن تغيير النظام هو مسؤولية الشعب السورى، وهو سينهض بهذه المسؤولية. أن «التحالف» لم يبدأ، من أجل أن ينتهى بإعلان بيان، ولن نتوقف إلى أن يسقط هذا النظام. وإذا كانت نسبة التأييد الشعبى للتحالف هى الآن ٢٠ بالمئة مثلاً، فأنها ستصبح ٢٥ بالمئة بعد سنة و ٦٠ بالمئة بعدها، إلى أن يأتى وقت يصبح فيه التغيير مسألة شهور أو أسابيع أو أيام، وهذه اللحظة آتية لا ريب فيها.

- المنتفعون بالنظام يتساءلون دائماً: ولكن من هو البديل عن حافظ

أسد؟

* صلاح الدين البيطار طرح هذا السؤال عام ١٩٨٠ وأجاب عنه. والسؤال يجب أن

يطرح هكذا: ما هو البديل وليس من هو البديل؟ وبديل النظام الدكتاتوري الفردي الطائفي العسكري، هو نظام ديمقراطي متعدد الأحزاب بغض النظر عن الأشخاص. وهذه هي قناعة غالبية الشعب السوري. ومع الجهد والتنظيم وأستمرار المحاولات، سيصبح هذا الكلام هو العقيدة الفاعلة لدى الناس، ولسنا بعيدين عن مثل هذا اليوم. يقول البعض: هناك أشخاص خسرناهم وأنا أقول أنها ليست خسارة، فالذي استسهل الاثراء وقبل الأذلال وباع شرفه. هو في حسابات الحركة الوطنية نوع من الربح لأنه أنكشف فعلاً الآن بدلاً من أن ينكشف بعد عشر سنوات مثلاً. ومن ماش النظام من أجل مكاسب أنية لا يعتمد عليها. والأفضل أن نعرفه من اليوم بدلاً من أن يمشى معنا ويغشنا، ونخدع به ونظنه مناضلاً ثم نكتشف حقيقته في ما بعد. وعملية الفرز التي قام بها الرئيس الأسد هي من منظور تاريخي كسب للمعارضة وليست خسارة. وعلى كل حال، فإن عدد هؤلاء قليل ولا يشكل أكثرية.

- السياسة السورية في لبنان جزء مكمل لملاحم النظام. ويقول البعض أن مخطط حافظ الأسد هو إنشاء سوريا الكبرى. ويقال أن أميركا أعطت الضوء الأحمر له اعترافاً بقوته الإقليمية.

* التدخل السوري في لبنان يحتاج إلى شرح طويل. وقد عشت معاناة شخصية منذ اللحظة الأولى لهذا التدخل، وعاشت بعض فصوله بشكل مباشر. الضوء الأخضر لم يأت من أميركا بل من إسرائيل، وطلب التدخل جاء من أميركا عن طريق مورفي عندما كان سفيراً في دمشق. وكان الهدف القضاء على الثورة الديمقراطية العلمانية في لبنان التي كان يقودها كمال جنبلاط، لتخليص لبنان من النظام الطائفي. وتدخل الأسد لإفشال هذا المشروع. ومما شجع الأسد للاستجابة إلى رغبة أميركا هو أن السادات كان قد أنهى اتفاقية فك الاشتباك الثاني في عام

١٩٧٥، وبرز اسمه في المنطقة، بينما غاب الأسد قليلاً عن الواجهة بعد أن تجاهله السادات في الاتفاقية الثانية لفك الاشتباك.

أراد الأسد أن يلعب دوراً كبيراً، وأحست أميركا بذلك والوضع الدولي سنة ١٩٧٥ لم يكن يسمح لإسرائيل بأن تتدخل عسكرياً ولا كذلك أميركا، وكان البديل السوري جاهزاً. وعندما طُلب منه ذلك فعل بشكل فردي ودون تحضير الحزب والشعب لهذه الخطوة، لهذا جاء التدخل مفاجأة للسوريين قبل غيرهم، وكنت أنا يومذاك في سوريا. صحيح أن سوريا علاقات تاريخية بلبنان، ولكنها علاقات مع الحركة الوطنية وليس مع الأنعزالية، ومع تحويل لبنان إلى الصف العربي وليس عزل لبنان عن الصف العربي، ومع أنصار العروبة وليس مع أنصار إسرائيل.

الشرح الطائفي عميق اليوم جداً إلى درجة مخيفة يصعب تصورها.

لقد تدخلت سوريا في الوقت الخطأ والمكان الخطأ للهدف الخطأ. والأعترض الوحيد على هذا جاء من صلاح الدين البيطار الذي نشره في جريدة «لوموند» الفرنسية. وللأسف فإن الدول العربية أعطت الأسد غطاء بطلب أميركي، وهذه معلومات وليست استنتاجات. وما يقال عن سوريا الكبرى هو مجرد كلام للأستهلاك. وقد يكون في حسابات الأسد أن لبنان هو مكان مناسب للمعارضة السورية ولذلك أراد قطع الطريق عليها سلفاً بسيطرته على لبنان.

- لماذا أذن تحصل المواجهات العسكرية بين سوريا وإسرائيل بين حين وآخر؟

* يحصل هذا كلما تكون هناك مصلحة للطرفين أو لإسرائيل وحدها. مثلاً، عندما تحصل الانتفاضة المشرفة في فلسطين، تبادر أميركا إلى أحياء مساعي التسوية

السلمى. ويكون من مصلحة إسرائيل أن تفشل المبادرة الأميركية دون أن يتحمل المسؤولية شامير أو شارون، ولذلك ينبغي أن يرفضها طرف عربى، وحافظ الأسد جاهز لهذا الرفض. المواجهة بين سوريا وإسرائيل هو كلام دعاية. أين المواجهة؟ حدود سوريا مع إسرائيل مقفلة منذ عام ١٩٧٣ ولم يقع فيها حادث واحد يعكر أمن «الدولة» اليهودية، ولم يقع حادث تسلل فدائى واحد. وعدد الفلسطينيين المعتقلين فى سوريا أكبر من عدد المعتقلين منهم فى إسرائيل.

— اليس هذا الطرح أى نوع من المغالاة والمبالغة؟

* حافظ الأسد فى السياسة والتاريخ مجهولاته واسعة. أنتقى فى الداخل والخارج الرجال الذين تلمقوا عنده هوس التفرد فى الحكم، ودفعوه فى هذا الاتجاه فاندفع إلى أقصى حد. أما ما يقال فى الصحافة الغربية عنه فهو من نوع التملق المدروس، كما ذكر مرة من أن كارتر جاء ليتعلم منه. ممثلو الدول الكبرى يتلاعبون كثيراً بمشاعر وعواطف وغرور الحكام فى العالم الثالث. وعندما يعرف المرء حافظ الأسد عن قرب يلمس مستواه المتواضع.

قلت له مره عندما كان وزيراً للدفاع وكان يهين نفسه لتسلم الحكم: هناك كاتب إسرائيلى اسمه يورى افيرى وضع كتاباً عنوانه «إسرائيل بدون الصهيونية»، وسألته هل قرأ هذا الكتاب فأجاب: لا والله. وبعد فترة من الحديث قلت له أن البيطار ينشر مقالات فى مجلة «الحوادث» خلاصتها أن القرار ٢٤٢ الذى وافقت عليه الدول الكبرى أتخذ من أجل أن ينفذ، ولا يجوز للعرب أن يزايدوا على الموقف من هذا القرار، فاما أن تقبله معاً ضمن استراتيجية. أو ترفضه معاً ضمن استراتيجية. وسألته هل قرأ هذه المقالات فأجاب: لا والله وسألته عن ثلاثة أو أربعة أمور أخرى وكان جوابه: لا والله. فقلت له «يا ابو سليمان، إذا كنت لا تقرأ مثل هذه الأمور وأنت تستعد لتسلم الحكم، فماذا تقرأ أذن؟ أجابنى: ليس

لدى الوقت لقراءة مثل هذه الأمور كيف تمضى وقتك إذن؟ أجاب: إذا كان أى رقيب فى الجيش يريد الانتقال من مكان إلى آخر فلا بد من أخذ رأى، فكيف يسمح لى الوقت بالقراءة؟ قلت: هذا شغل رجل الأمن وليس عمل الحاكم. علق قائلاً: والله هكذا هو الحكم فى بلادن.

كل رجال الرئيس

- نستنتج من كل هذا الحوار، أن الظروف الموضوعية هى التى أنت بحافظ الأسد، والظروف الموضوعية هى التى ستطيح به.

* عندما أظهر الخمينى، وجد بين المثقفين العرب من يقول أن عصر القومية العربية قد أنتهى، وبدأ عصر النهضة الدينية، وكان بين هؤلاء عدد من منظرى الماركسية. حزب «تودة» الشيوعى الإيرانى أيد الخمينى إلا أن الخمينى زج بأعضائه وقياداته فى السجون ولاحقهم وأضطهدهم. هناك محاولات بدأت فى أيام الأتراك ولم تنته حتى الآن لا قناع العرب بأن القومية العربية كما يقول الخمينى مساوية للصهيونية! هناك وعى أستعمارى لخطر القومية العربية والفكرة العربية، وأى شئ من شأنه تغييبهما لا يترددون فى عمله. وكثير من المثقفين العرب، بدلا من أن يهضموا الثقافة الغربية، فإن الثقافة الغربية هى التى هضمتهم، ولا يتركون فرصة إلا ويغتنموها لتحطيم فكرة القومية العربية، وإخواننا الماركسيون هم على رأس هذا التيار، ويحاولون الحط من شأن القومية العربية حتى ولو كان البديل هو التيار الإسلامى أو الخمينى.

حافظ الأسد جاء إلى الحكم فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٧٠. وعبد الناصر مات فى ايلول (سبتمبر) ١٩٦٩. عبد الناصر كان ممثل القومية العربية، وحافظ الأسد ممثل الردة على القومية العربية. وكان الخمينى أكثر حذقاً بالعودة إلى الأصول أما الأسد، فعبر

عن أبتجاهه بسرقة الشعارات القومية. وهو يتكلم عن الوحدة العربية لكنه يخرب أى مؤتمر قمة عربى. ويتحدث عن تحرير فلسطين ولكنه يشق منظمة التحرير ويزج بالفلسطينيين فى السجون. ويتكلم عن حرمة التراب العربى لكنه يحتل لبنان ويفرزه إلى «دول» طائفية.

التدخل السورى فى لبنان فربضوء اخضر إسرائيلى وبطلب من أميركا،

- ما مدى خبرتك برجال النظام السورى، مصطفى طلاس مثلاً.

* أعرف عنه الكثير، وكان عميلاً للمخابرات منذ كان ملازماً أول فى الجيش السورى. وهو لا بالعبر ولا بالتنفير كوزير للدفاع والكل يعرف ذلك.

- وعبد الحليم خدام؟

* رجل مطيع ويعرف أن يقول نعم.

- وفاروق الشرع؟

* آدمى وابن حلال ومسكين لا علاقة له بالسياسة.

- وكميت الشهابى؟

* لدى شكوك فى حكمت الشهابى وليست لدى براهين عليها.

- من أى ناحية؟

* من ناحية ولائه، ولا أستبعد أن يظهر فى المستقبل على حقيقته وربما تعاونه مع المخابرات الأمريكية.

- هل تقول ذلك لأنه قام بزيارات إلى الولايات المتحدة بصفة سرية أكثر من ست مرات؟

* كانوا يستقبلونه في أميركا استقبال رئيس الوزراء، ولم يكن يسمح لسفيرنا في واشنطن أن يرافقه، وعلاقاته مع أميركا لغز كبير.

- ومحمد الخولي؟

* هو من أفهم المحيطين بالأسد، ذكي ومثقف ولعله هو الشخص الذي دفع بحافظ الأسد نحو المنزلق الطائفي. وهو رجل ذو افق، وأعرفه شخصياً وأعرف أنه كذلك رجل معقد.

- مثلاً...

* عندما زار نيكسون دمشق كان محمد الخولي هو المسؤول عن أستقباله ورعايته وامنه. وكان هو الشخص الذي يستقبل كيسنجر في دمشق في المباحثات التمهيدية معه. وهو الدماغ المفكر في شلة الحكم، وليست له علاقة بحزب البعث على الإطلاق، وقد برز فجأة عند تسلم الأسد السلطة، ولا أعرف من جاء به ليكون صاحب التأثير على الأسد. فيه اعتداد بالنفس وأستعلاء وخيلاء. وهو الذي سعى عن وعى لترسيخ التمييز الطائفي في سوريا.

- ومحمد مخلوف؟

* تاجر وباحث عن الثراء مثل رفعت.

- وعلى أصلان؟

* لاعب كرة وصاحب عضلات قوية.

- وعلى دوبا؟

* ليس غيباً، لكن الخولى أذكى منه بكثير.

— وعلى صالح؟

* أدمى، وليس فاسداً أو مفسداً ولكنه طفل كبير.

مستشار شامير الرجل الوحيد الذى دافع عن الأسد فى ندوة أكاديمية،

— وناجى جميل الذى أفل نجمه أو اختفى اسمه؟

* هو مثل فاروق الشرع من حثالة السنّة، وهو ضابط فنى لا يحمل البكالوريا.

— وعبد الرحمن خليفوى أول رئيس للوزراء فى عهد الزسد؟

* رجل مغرور كثيراً. ومعتز بأنه جزائرى من نسل الأمير عبد القادر. ظن أنه يستطيع أن يشكل وزارة نظيفة، وهو عسكري حازم وكان بعثياً عندما كان طالباً فقط. وهو نظيف ونزيه لكنه ليس مثقفاً، ويجب القيام بعمليات بهلوانية. كان مثلاً يقود سيارته فى شوارع دمشق ويتعمد المخالفة أمام رجل الشرطة فإذا لم يحرر به مخالفة يترجل ويضرب الشرطى! وكان يرتدى الجلابية عندما كان رئيساً للوزارة. وأصيب بخيبة أمل كبيرة عندما علم أنه رئيس وزراء بالاسم فقط. وحاول أن يحاسب رفعت فخرج من الوزارة. وعندما أشتكى إلى حافظ الأسد من أن شقيقه يقوم بعمليات التهريب، وعزل.

— وعلى المدنى؟

* موظف كفؤ وليست لديه اهتمامات سياسية.

— من هو الشخص القوى الذى يستطيع أن يخلف الأسد؟

* محمد الخولي.

الزعامات التاريخية،

- لننتقل إلى الزعامات التاريخية. وأعرف أنه من الصعب تلخيص ذلك بكلمات عندما نتحدث عن ميشال عفلق مثلاً.

* الأستاذ ميشال عفلق رجل تاريخي. وهو ليس سوريا بل مفكر القومية العربية، وهو يهتم بسوريا من وجهة نظر قومية.

- أكرم الحوارني؟

* زعيم سوري (...) وشخصي جداً. الغلطة التاريخية التي ارتكبها، وخلافاً لكل تاريخه، هي العمل ضد الوحدة السورية- المصرية مدفوعاً بكرهه لشخص عبد الناصر. وقد تحمس للانفصال بما لا يليق بتاريخ أكرم الحوارني. عمله في السياسة السورية أوجد له عدوات كثيرة جعلته لا يكون مهياً كرمز للمعارضة الوطنية. البيطار عمل في السياسة وجاء وقت كان يحظى فيه بقبول غالبية الناس كرمز. الحوارني اندفع أكثر مما يجب وخلق حساسيات كثيرة.

التغيير مزعج للدول الكبرى والوضع الراهن هو الوضع المريح،

- هناك تساؤلات حول وجوده في "التحالف" أو خارجه.

* أنه رجل وطني لا شك في وطنيته، وهو معاد للنظام إلى النهاية، ولكن فردى إلى درجة حادة. وعندما يتحدث عن الديمقراطية كثيرون لا يصدقونه ويعتبرونه نقيضاً لها، لكنه مناضل شريف.

- ناظم القدسي؟

* لا أعرفه معرفة شخصية. وفي حزب الشعب يُذكر رشدي الكيخيا والقدسي ليس من وزنه.

- معروف الدواليبي؟

* رأي فيه ليس للنشر.

- خالد العظم ورئيس الوزراء السابق؟

* ديمقراطي مثقف، معتدل، وكان يلقب بـ «المليونير الأحمر». أنجته نحو الإتحاد السوفياتي المقاومة الهجمة الغربية. أنه رجل واقعي وليس اشتراكياً أو علمانياً.

فارس الخوري؟

* لا أعرفه شخصياً ولكن كان هناك أصدقاء مشتركون. وهو النموذج العصري للقومي العربي. وأيام الثورة العربية الكبرى التي قام بها الشريف حسين، كان هو الزعيم الذي أنتجته الثورة في سوريا. وكان من الممكن أن يكون عبد الرحمن شهبندر وهو عبد الناصر سوريا، وفارس الخوري من تلاميذه.

- وعبد الرحمن شهبندر؟

* كان زعيم القومية العربية عندما كانت القومية العربية لا تزال تحبو. وهو المثقف بين البدو الذين قاوموا العثمانيين. ولو لم يقاتلوه لكان هو عبد الناصر العرب في الثلاثينيات.

- شكري القوتلي؟

* ليس مثل الشهبندر. والده مناضل، وهو رجل وطني وعربي وليس مثقفاً، وهو

أبن التضال ضد الفرنسيين. وعندما وصل إلى الحكم وقع تحت تأثير الأوباش من جماعة الكتلة الوطنية وخصوصاً جميل مردم. وعندما جد الجد عام ١٩٥٨ وافق على الوحدة وتخلّى عن منصبه كرئيس للجمهورية بطيبة خاطر ودون تردد، ومات وكانت عليه ديون رغم أنه كان ثرياً، وأنفق ثروته على الحركة الوطنية. وهو طيب القلب وادمى.

- زكى الارسوزى؟

* لا أعرفه شخصياً لكنه عنصري، وهو أشبه بجابوتسكى الذى يمثل اليمين الصهيونى.

- شبلى العسىمى؟

* مناضل من عائلة مناضلة، ووالده من قادة الثورة السورية.

- صلاح الدين البيطار؟

* رجل دولة، والسياسة فى نظره علم، وهياً نفسه منذ المرحلة الجامعية للعمل السياسى. وهو أكثر واحد فى حزب البعث أهتم بالسياسة كعلم، وكل كتاباته ليست شاعرية. درس الدولة والاقتصاد وغيرهما، وكتب حول ذلك. وكان كثير الاستشهاد بابن خلدون الذى قال يوماً: «توصلت إلى علم جديد هو العمران وسأحاول تبسيطه حتى يفهمه العلماء». صلاح البيطار هو من هذه النوعية، يدرس المسائل المعقدة دراسة أكاديمية علمية ثم يحاول شرحها وتبسيطها. ولا أعرف بين المثقفين من كان أكثر جدية منه، وكان يعتبر نفسه التلميذ الدائم، وكانت المعرفة همه الرئيسى ويسعى للتعرف إليها من منابعها.

- أمين الحافظ؟

* فارس شجاع وعسكري شجاع.

- هذه اللائحة الطويلة من الساسة السوريين الباقين علي قيد الحياة، هل تعتقد أن لهم دور في إعادة الديمقراطية إلى سوريا؟

* في الإسلام قاعدة فقهية تقول: التكليف على قدر الأهلية. وكلما كان الإنسان مؤهلاً أكثر كانت مسؤوليته أكبر. ومسؤولية الذين ينهضون بالعمل، ويتواضع أقول أنني منهم، مسؤوليتهم أكبر من مسؤولية العامل والفلاح. من يتصدى للعمل العام لا أحد يجبره على ذلك، بل يندفع بتأثير إحساس ينبع من داخله. والزعامات السورية التي تصدت للعمل العام تتحمل بلا شك مسؤولية كبيرة في صعود النظام الدكتاتوري العسكري الطائفي وأستمراره. وأعتقد من خلال احتكاكي بعدد كبير من المسؤولين السوريين أن هذا الشعور أصبح لدى هؤلاء القادة وقد تكون الرغبة في التعويض عن خطأ أرتكبناه سابقاً، هو العمل حالياً ومستقبلاً على إعادة الديمقراطية إلى البلاد.

- عن رجال "التحالف" ما رأيك في عدنان سعد الدين؟

* لم يساهم في أية مسؤولية سياسية، ولذلك قد يكون أكثر ناصرية في الحديث عن الماضي. أنه رجل مسلم مؤمن ويقبل الحوار معي كرجل علماني، وهذا أمر جديد بالنسبة لي، وهو مثل الديمقراطيين المسيحيين في أوروبا.

- عصام العطا؟

* أنهى عملياً حياته السياسية في سوريا، وأنتى لا أقبل أن تكون أخته وزيرة عند حافظ الأسد.

- هو يقول أن ذلك مأساة عائلية.

* إذا كان لا يستطيع تغيير رأى اخته فكيف ينجح بتغيير آراء الناس؟

- جاسر علون؟

* لا تجد رجلاً أشرف وأطهر منه. مؤمن، تقى، محافظ، وعربي لا فرق في ذهنه بين العروبة والإسلام، وأشاركه في هذا الاعتقاد، وقوميته مثل إسلامه.

- إبراهيم ماخوس؟

* دجال يدعى العلمانية. وطائفي من عائلة علوية في لواء اسكندرون.

- الياس فرح؟

* أستاذ فلسفة.

الفصل الخامس

التسلسل إلى المعارضة

الفصل الخامس

الأخوان المسلمون جماعة الأسد يتسللون
إلى المعارضة ونعرف عشرين جاسوساً منهم

من هو عدنان سعد الدين؟

عدنان سعد الدين كريبها زعيم الإخوان المسلمين السوريين رجل كالزئبق ويسيطر على الإخوان سيطرة دكتاتورية ولهذا أطيح به.. ولكنه مازال في القيادة رغم ممارسته الكذب بدون أى حياء...

ولكن يبقى زعيماً أخوانياً ومن الواجب محارته.. وهذا الحوار جرى في بغداد وفي الفيلا التي كان يسكن فيها أكرم الحوارني سابقاً.

— من هو عدنان سعد الدين؟

* عدنان سعد الدين: أننى فى حياتى كلها لم أجب عن هذا السؤال.

— لماذا؟

* لا توجد حياة تعز الآن، ورجاء أن تقفل شريط التسجيل لأن الوقت لم يحن.

— إذن لنبدأ بالحديث عن الإخوان المسلمين فى سوريا.

* إننا مفصولون رسمياً من «الأخوان» وتبلغنا ٢٤ انذاراً أو قرار فصل. أن ما يحدث فى «الأخوان» يشبه ما يحدث فى أميركا الآن حيث منع جيمى سواجارت من أن يتكلم على التلفزيون لسنة كاملة (سواجارت واعظ دينى). الإخوان المسلمون مألوف عنهم، وعند شريحة كبيرة منهم أنهم قضية مشيخية مثل الدعوة والتبليغ،

أى جمعية خيرية دينية وتعمل فى السياسة مثل أيام الموجات السياسية التى تشمل كل المواطنين مثل أوروبا ومثل مكاريوس والقس چمىى سواجارت (...).

— ما وجه الشبه بين "الأخوان" وچمىى سواجارت الصهيونى الفاسد؟

* أقول أنه احياناً تأتى موجة سياسية تشمل الذى يشتغل بالسياسة والذى لا يشتغل، كالانتخابات كل واحد له الحق فى الادلاء بصوته مثلاً. أن جماعة أبو غدة كانت علاقتهم بالسياسة علاقة موجات وليست علاقة اصل ومنهج، وعندما صارت قضية الصدام المسلح والكفاح المسلح، وصارت الطروح السياسية فى ٧٩ وحتى ٨٢، وعندما حدثت الضربات الموجعة، كل واحد عاد إلى طبيعته وتكونه. وجماعة أبو غدة تكوينهم مشيخى، وعادوا إلى طبيعتهم وهناك مثلاً ال مراد فى حماه وهم طيبون، ولكن ليس له خط سياسى وهناك مواقف.

— كُتب الكثير عن الإخوان المسلمين فى سوريا، فما هى بدايات الإخوان هناك، وهل كان تأسيس "الأخوان" فى سوريا مجرد صدى وانعكاس لحركة "الأخوان" فى مصر؟

* هذا يحتاج إلى تحضير.

— اليس لديك جواب جاهز؟

* احتاج إلى قرار من مجلس الشورى للحديث معك، وإننى مرتبط بالقيادة.

— تحتاج إلى قرار من القيادة حتى تجيبنى عن التاريخ، فكيف عن

الحاضر؟

* إريد أن اراجع نفسى (...) وقيادتى، وغداً نجتمع معهم. وإن شاء الله نتخذ القرار.

- لنتكلم عن التاريخ إذا كان الحاضر يحررك...
- * لن أخوض في الحديث قبل استئذان «الأخوان». ولقد مزقت كل أوراق التاريخ.
- لماذا؟ هل التاريخ يُمزق أو يحرف؟
- * كل واحد له تاريخه وهناك لجنة لاستقصاء هذا الموضوع.
- أن اللجان وجدت لقبر وترتيب الحقائق التاريخية...
- * هذا مثل غير مطلق.
- مثلاً أحداث حماة، يرفض الأخوان الكلام وتحديد المسؤول الأكبر عن تدمير المدينة. البعض يقول إنكمر شخصياً مسؤولون عن القرار، ويجب مراجعة وتقد الذات كما حدث بعد نكسة ١٩٦٧... لماذا تريدون إقامة لجان إعادة كتابة التاريخ ونحن نعرف أن لجان إعادة كتابة التاريخ ستكون على مبدأ "كل أمة تلعن سالفاتها"، وتبرر الأمور والأخطاء.
- * لا أستطيع أن أجيبك دون إذن... وادعهم يوجهون اللوم لى.
- لماذا يخاف الأخوان المسلمون من المسجل؟
- * عندما يُسمح لى اتكلم، وسأصمت لأيام لأننا نمر بفترة صعبة فى التحالف الوطنى لتحرير سوريا.. ولندع الطبخة تستوى... ولا اعتقد إنكم قادرون على نشر مقابلة صريحة معى.

– اختبرنا... ولنبدأ من هو عدنان سعد الدين؟

* لا أهمية لهذا الجواب. وارجو أن تتجاوزه.

– ارجو أن تجيب وتنتقل إلى الأهم.

* ولدت في عام ١٩٢٩ في مدينة حماة ودرست في المدرسة الابتدائية وكان والدي يمتحن بيع الحبوب. ثم التحقت بعد انتهاء الدراسة الثانوية بكلية آداب القاهرة. وكنت قد تخرجت قبل ذلك في حلب عام ١٩٥٠ من دار المعلمين. وفزت ببعثة نظمها وزارة المعارف والتحقت بجامعة القاهرة في عام ١٩٥١ وكان اسمها جامعة فؤاد الأول، أي قبل ثورة عبد الناصر بعام واحد، وشاهدت حريق القاهرة (١٩٥٢/١/٢٦) الذي لا يزال غامضاً حتى الآن. وأمضيت أربع سنوات في مصر. وتعرفت على حركة الإخوان المسلمين في مصر عن قرب، من شخصيات وتنظيمات وإنتاج فكري... وبعد تخرجي عام ١٩٥٥ عدت إلى سوريا وعملت في التعليم الثانوي في سوريا في محافظة ادلب ثم محافظة حماة حيث بدأت في معرة نعمان. ومارست الكتابة في مجلة «الشهاب» وكانت تصدرها حركة «الأخوان» في سوريا، وكتبت فيها سلسلة من المقالات عن العالم الإسلامي. وتابعت الكتابة فيها حتى توقفت عن الصدور في عام ١٩٥٧. وطلب مني التنظيم أن اترشح عن المعرة فأبيت.

– متى انتسبت إلى التنظيم؟

* لقد التحقت بتنظيم الإخوان المسلمين في ١٩٤٥/٧/٥. وكان تحت قيادة مصطفى السباعي.

التأسيس:

- ولكن هل يمكن أن تحدد بالضبط تاريخ تأسيس حركة الإخوان المسلمين في سوريا، لأن هناك خلافاً حول ذلك.

* الحركة الإسلامية انتشرت في سوريا في الثلاثينيات، واتسعت في أوائل الأربعينيات، توحدت في وسط الأربعينيات.

- من كان القائد في الثلاثينيات؟

* كانت الحركة في الثلاثينيات منفصلة، وكل محافظة كان لها نشاط مستقل.

- يعنى مثل جمعية محمد وغيرها...

* اقدم هذه الفروع هي «دار الأم» في مدينة حلب.

- تحت زعامة من؟

* كانت هناك شخصيات مثل عبد الوهاب الطونجي.

- احد المصادر يقول أن حسن البنا التقى مع ممثلي الجمعيات الإسلامية السورية في مكة وهو الذي أمرهم بتشكيل جماعة الإخوان في سوريا.

* هذا الكلام ليس دقيقاً.

- ماهو الأدق؟

* حسن البنا قام بالحج في عام ١٩٦٤ لأول مرة، وكانت الحركة الإسلامية في سوريا موحدة آنذاك.

- إذن إشرح لى كيف تحقق انشاء حركة "الأخوان" بمعزل عن مصر؟

* فى حماة قامت فى أواخر الثلاثينيات، ويقول البعض فى عام ١٩٣٩ بقيادة من الشباب المثقف والتجار فى المدينة. وكانت تمثل كل القطاعات فى بورجوازيين ومن يسمون بالاقطاع والطلاب والعلماء والفقراء. ولم تكن تمثل شريحة اقتصادية. وهذه كانت من الحجج التى نواجه بها الشيوعيين لنسفه بها التحليل الماركسى للرأسمال والدياليكتيك والصراع الطبقي.

- منذ الثلاثينيات كنتم فى مواجهة مع الماركسيين؟

* منذ الأربعينيات اطلعت على الأفكار السائدة وخصوصاً الاتجاهات الثلاثة، ولا سيما الاتجاه الشيوعى، والقومى السورى، والقومى العربى.

أمين المحافظ رئيس الجمهورية ابلغنا بالمؤامرة لتدمير مدينة حماة.

- ولكننا نتكلم عن تطور حركة الإخوان من الثلاثينيات والأربعينيات...

* أول رئيس لحركة الإخوان فى حماة كان الأستاذ عبد الغنى الحامد.

- وماذا كان اسم الحركة آنذاك؟

* كان اسمها «جمعية الإخوان المسلمين» وحماة هى الوحيدة التى حملت الاسم الذى عمم.

- إذن فى حماة تأسست حركة الإخوان المسلمين ولكن متى بالضبط؟

* نعم، ولكن التاريخ بالضبط كان قبل عام ١٩٤١. ووجود الشيخ محمد الحامد كتلميذ في جامعة الأزهر وقربه من الإخوان المسلمين في مصر وعلاقته الشخصية بحسن البنا مؤسس الحركة الأم في القاهرة ربما هو الذي أدى إلى تسمية حركة الإخوان في حماه بالاسم الذي يحمله اتباع الأستاذ البنا في مصر.

— إذن تأسيس الإخوان في حماه لم يكن بناء لطلب شخص من البنا؟

* باليقين لا. والبنا التقى بعد ست أسبع سنوات مع «الأخوان» السوريين.

— كيف تطورت جماعة الإخوان في حماه؟

* الرئيس الثاني للإخوان كان الطبيب المرحوم نورس عبد الرازق. وحينما التحقت بالحركة في عام ١٩٤٥ كان نورس رئيساً للجمعية. وكنا كل سنة نجري انتخابات لانتخاب الرئيس.

— كم كان عدد الاتباع آنذاك؟

* كان يقدر بالمئات. وعندما التحقت في عام ١٩٤٥ كان العدد يتراوح ما بين ٥٠٠ و ٦٠٠ عضو.

— ولكن أهداف جمعية الإخوان المسلمين في تثقيف الشعب السوري بدينه، ولم تتدخل بالسياسة اليس كذلك؟

* أهدافها بشكل كلي لم تتضح أو تستكمل آنذاك، وكان يغلب عليها الطابع التربوي والروحي والتوجيهي وعمل الخير والعمل في الجانب الثقافي، وتأسيس مدارس للعمال في الليل...

– كيف انتشرت الفكرة في المحافظات السورية؟

* حصلت اتصالات بين هذه الجمعيات الإسلامية المنتشرة في المحافظات السورية وخصوصاً المنتشرة في المحافظات السورية وخصوصاً حماه وحمص وحلب ودرعا ودير الزور... وفي عام ١٩٤٤ جرى حوار ومباحثات مع ممثلى هذه الجمعيات المنتشرة في معظم المحافظات السورية، وانتهى الأمر إلى توحيدها تحت اسم الأخوان المسلمين.

– فى مؤتمر عام؟

* لا ادرى ما الصيغة.

– اين عقد المؤتمر؟

* فى حلب على الارجح. وهذه الدقائق الصغيرة يمكن الحصول عليها وسوف تكتب وتنشر.

– ما هى المرحلة الثانية بعد عام ١٩٤٥؟

* بعد عام ١٩٤٥ انتخب لحركة الأخوان المسلمين رئيس عام اطلقوا عليه اسم المراقب العام. وعبارة «مراقب عام» فيها اشارة ضمنية إلى أن سلطاته محدودة لأن هناك ممثلين للمراكز كان يسمى فى ذلك الوقت «الهيئة التأسيسية»، أى مجلس شورى، وكان بمثابة برلمان الجماعة. وكان التمثيل بقدر حجم المحافظة. وكانت الهيئة التأسيسية تقوم بالانتخاب وتضع النظم وتنتخب المسؤولين فى قيادة الجماعة. وكانت القيادة تسمى «المكتب التنفيذي»، وكانت اقامته تتراوح ما بين دمشق وحلب، وغالباً فى مدينة دمشق، وعلى هامش هذه المؤتمرات صدر النظم للجماعة والأهداف والمبادئ.

- ومن كتب ذلك؟

* الجماعة.

- ولكن انتخب أثرها مصطفى السباعي مراقباً عاماً، لماذا؟

* نعم، انتخب مصطفى السباعي في عام ١٩٤٤ - ١٩٤٥ مراقباً عاماً. أنه رجل موهوب وكاتب وخطيب مفوه وسياسي لامع أيضاً. وله اسهامات واسعة في الحركة الوطنية في سوريا، ومصر، لأنه كان ينتقل بين سوريا ومصر، ودخل السجون أكثر من مرة سواء كان المحتلون الانكليز أو من الفرنسيين.

- ما مدى صحة الاتهامات التي وجهت إلى مصطفى السباعي في ثلاثة كتب من أنه كان ماسونياً؟

* لم اسمع بذلك.

- المرتقاء هذه الكتب وهي كتب نشرت في بيروت؟

* لا، وسمعتك منك لأول مرة. أن مصطفى السباعي كان حقيقة أكبر من أي اتهام يوجه إليه يتلاشى تحت قدميه، لأنه كان من النزاهة والوضوح والصدق والشجاعة والكرم (...). على قدر كبير. أنه عملاق.

الزعامة،

- كتاب الماسونية الذي نشره عبد الحليم خوري في عام ١٩٥٤ في بيروت يقول أن كلا من فارس الخوري رئيس الوزراء السوري ومصطفى السباعي كانا في حفل ماسوني واحد في سوريا مع حسني الزعيم.

* ارجح أن هذا نوع من الدسائس الصهيونية الماسونية حتى يشوهوا الصفحات المشرقة في تاريخ الأمة. أن مصطفى السباعي كان حاد الطبع لحدة ذكائه، وكان ذو حيوية لا تجارى. وكان الجانب الحركي والفكري والسياسي المتعلق بالدعوة يغلب في حياته على الجانب التنظيمي.

- ماذا حقق على الصعيد السياسي مصطفى السباعي تاريخياً لحركة الإخوان المسلمين؟

* أن مصطفى السباعي أبرز الحركة في كل الساحات السياسية. وعندما نزل على رأس قائمة في دمشق في الانتخابات وهو من خارج دمشق فإنه اكتسحها. وكانت هذه الدورة في بداية الخمسينيات. والغريب أن يرشح شخص من مدينة حمص عن دمشق فيفوز بالدرجة الثانية وكان الفائز بالدرجة الأولى سامي كباره. نجحت قاعدته مثل محمد المبارك (من اصل جزائري) وعارف الطرقي (من مدينة حلب) وصبحي الفمري (كان مقيماً في العراق).

- لكن يبدو أن الإخوان المسلمين الذين كانوا من دمشق وحمص وحلب تقدموا سياسياً علي الإخوان الذين كانوا من حماه، والذين توقعوا علي أنفسهم؟

* بالعكس حماه كانت اسبق من المحافظات كلها، لأنه في عام ١٩٥٨ تبنت مرشحاً ودفعته إلى البرلمان وهو الشيخ محمود الشقفة، لكن إراد أهله إلا يندمج بالأخوان كثيراً.

- ولكن في عام ١٩٥١ مثلاً لم يدخل أي حموي من الإخوان البرلمان السوري اليس كذلك؟

* كان في عام ١٩٥١ ابرز الزعامات الحموية الأخوانية المرحوم الشيخ عبد الله الحلاق. وفعلاً لم يرشحوا احداً ولكن تبنا بعض المرشحين مثل رئيس الملقى وعبد الرحمن العظم.

- إذن إنجاز الأخوان المسلمين في حمص آنذاك إلى ما كان يسمى "التوجه الاقطاعي"؟

* لقد كانت المعركة في حمص حامية لا تحتل دخول التيار الإسلامي في الخضم... وكانت البلد منقسمة بشكل حاد بين تيارين: التيار الأول يترأسه رئيس الملقى واكم الحوارني. والتيار الثاني يرأسه عبد الرحمن العظم.

- إذن كنتم من تلك الفترة تتحالفون مع الرجعية العربية؟

* في الحقيقة لم نتبنى ذلك كلياً، بل اعطوا المجال لأي شخص في التنظيم لأن ينتخب على كيفه، ولم يصدرنا بياناً لتأييد جهة معينة. ورأوا أن الخوض في المعركة خاسراً. وحمص كانت نقطة تماس حادة أكثر من جميع المحافظات، وكان الخطر من المذابح قائماً. الأخوان كانت حركتهم حركة لينة.

- ماذا استفاد الأخوان من دخول البرلمان؟

* أول دخول للأخوان في البرلمان السوري كان سنة ١٩٤٧، ونجح ثلاثة نواب من حلب وحمص ودمشق، وهم: محمد المبارك والمعروف الدواليبي ومحمود الشفقة. وهذا البرلمان كان عمره قصيراً أي ما بين ١٩٤٧ و ١٩٤٩ الذي حله حسني الزعيم سنة ١٩٥١. عندما عادت الديمقراطية لسوريا في ظل سامي الحناوي ركز الأخوان المسلمون على مدينة دمشق. وكان حزب الشعب قد ظهر وتحول إليه معروف الدواليبي. وكان نجاح الأخوان المسلمين في انتخابات ١٩٥١ نجاحاً

يلفت النظر في دمشق، وكان له تأثير في الهيئة التأسيسية ووضع الدستور. وكان البرلمان السوري في عام ١٩٥١ يضم ١٤٢ نائباً. وانتخبوا ٣٣ عضواً للجنة الدستور، وانتخبوا تسعة أعضاء رئيسيين وكان مصطفى السباعي أحد أعضاء اللجنة الرئيسية التي أثرت تأثيراً كبيراً في وضع الدستور السوري الذي يعتبر من أفضل وأعظم دساتير سوريا. وسبق في تأصيل التأمين الاجتماعي والتعليم للشعب واستقلالية القضاء والحرية والديموقراطية.

— ما الذي تتميز به الإخوان في نضالهم السياسي في الخمسينيات بالمقارنة مع الفئات الأخرى؟

* كان الإخوان على طول الخط ودون استثناء ضد التدخل العسكري في السياسة. البعث ساهم في انقلاب حسني الزعيم ثم اختلف معه، ووصل إلى السلطة عن هذه الطريق.

— لا، ولكن الخلاف الخطير في عام ١٩٦٦ كان لابعاد العسكر. وتاريخياً فإن البعث كان ضد التدخل العسكري في السياسة.

* هذه قضية داخل الحزب بين العسكريين والمدنيين. ولكن حزب البعث دعم العسكر (...)

— لماذا انتهى مصطفى السباعي سياسياً قبل وفاته؟

* أن المرض اقعده وبدأ ذلك في عام ١٩٥٧.

— من الذي خلفه؟

* كان عصام العطار أحد الأشخاص البارزين.

— خالد العظم قال عنه في مذكراته أنه مرة يتواضع ومرة يهدد... هل هذا صحيح؟

* أن عصام العطار له أسلوب اختلفنا نحن معه فيه. ولم اقرأ ما كتبه خالد العظم بل سمعت بذلك. أن عصام له أسلوب في السياسة أحياناً ويحتاج إلى وضوح.

— ماذا تعنى؟

* كان للعطار أسلوب ميولي وأحياناً غامض (...).

— إذن من تولى الزعامة السياسية بعد عام ١٩٥٧؟

* لقد اصاب مرض الشلل الجزئي مصطفى السباعي في عام ١٩٥٧، ولما حل عام ١٩٦٠ كان عصام العطار وكلاً له.

— ماذا قدم العطار تاريخياً لحركة الإخوان في تلك الفترة السياسية؟

* كان ابرز ما قدمه عصام العطار الخطب الحماسية وحرك فيها نفوس الشباب، وبدأوا يتداولونها.

— هل أدى ذلك إلى زيادة اتباع الإخوان؟

* من الصعب تقدير العدد. ويمكن القول أنه في سوريا كان يقدر بعشرات الالوف. ومن الصعب تحديد من هو كامل العضوية ومن هو المؤيد فقط أن ابرز شيء بالنسبة لعصام، أنه لم يعتن بالجانب الإداري نهائياً، وكان يعتمد على الاثارة والحماس والخطب الرنانة وهي ابرز صفاته وسماته. وفعلاً استطاع أن يجمع الناس حوله في دمشق ويخلق تياراً...

الوحدة:

- وصلنا إلى مرحلة الوحدة الآن. أن الحقيقة أن الإخوان المسلمين هم من اعداء الوحدة العربية ويتكلمون عن الوحدة الإسلامية لذر الرماد من العيون.

* أن الإخوان المسلمين كانوا يؤيدون الوحدة لدرجة المبالغة، ومن حبه للوحدة...

- من شدة حبه لها حاولوا اغتيال عبد الناصر!

* أنت تتكلم عن دمشق وليس عن مصر، وكل قطر له ظروفه المنفصلة تماماً. وهناك قضايا كلية يتفق الناس عليها، وهناك تربية الشباب وأحياء التربية الإسلامية. ولكن عملياً فإن كل قطر مستقل تماماً. وفي عام ١٩٥٨ أيد الإخوان المسلمون الوحدة بقوة.

- تعنى الوحدة الإسلامية وليس الوحدة العربية؟

* لا اعنى الوحدة العربية، ومصطفى السباعي كان يعتبر الوحدة العربية الطريق لجمع المسلمين. أى أن قاعدة الوحدة لهذه الأمة هي توحد العرب.

- إذن تتفقون مع الفكر البعثي الوحدوي العربي؟

* نتفق مع كل أهل الأرض. وكل دعوة جادة للوحدة العربية نحن معها بقوة على أن تركز إلى العقيدة والشعور والفكر والاقناع والواقع.

- ماذا حل بالأخوان خلال الوحدة أي بين ١٩٥٨ - ١٩٦١؟

* لقد رضى الإخوان المسلمون بأن يحلوا أنفسهم لتيسير قيام الوحدة.

- حلت الحركة نفسها اسماً؟

* لا، حقيقة حلت نفسها ثم بعد ذلك كانت بعض الجيوب من الشباب المتحمس

تلتقى كامتداد للصيغة السابقة، إذ لا يمكن أن تنتهى العلاقة الإنسانية أو تشطب بجرة قلم. وكان الشباب على صلة مع بعضهم بعضاً. ولكن كتنظيم سياسى لم يعد للأخوان أى وجود. وبما أن «الأخوان» كانوا فى مصر محظورين ولم يكن لديهم ترخيص رسمى إلا فى الأردن وفى لبنان تحت اسم «الجماعة الإسلامية».

— إذن ما هى اسهاماتكم السياسية خلال الوحدة وبعدها؟

* عندما كان هناك تنظيم شعبى موحد لكل الأمة اسمه الإتحاد القومى، فإن الإخوان لمسلمين بصفة أفراد ترشحوا ونجحوا واكتسحوا كل المحافظات. ولكن نتيجة الممارسات التى تشير إلى عدم فهم نفسية الشعب السورى حدثت ممارسات ادت إلى الانفصال. وعندما اجتمع السياسيون فى نادى الضباط من مختلف الاتجاهات، فإن «الأخوان» توقفوا واحجموا عن توقيع وثيقة الانفصال.

— لماذا؟

* لم يجبدوا أن يسجلوا على أنفسهم تاريخياً، وحريصاً على فكرة الوحدة، من أنهم ضد فكرة الوحدة. مع أن الإخوان أنكروا بعض الممارسات كباقى الفئات السورية. ولكن حتى لا تمس قدسية الوحدة التى يؤمنون بها ايماناً عميقاً مدعوماً بايمانهم الدينى وبفكرهم السياسى ومشاعرهم. وهذا أدى إلى التريث وكان من الصعب عليهم أن يوقعوا على وثيقة الانفصال.

— لكن ساهمتم فى فترة الانفصال؟

* لم يستطيع «الأخوان» المساهمة مساهمة فعلية فى الحياة السياسية. ولو استطاعوا لكان لسوريا مستقبلاً آخر. ولقد خاض الإخوان المعركة الانتخابية وحرزوا أكبر

نجاح فى تاريخهم السياسى فى أيام الانفصال، ونجح للأخوان عشرة نواب فى البرلمان ما عدا المؤيدين من اصل ١٧٠ نائباً. ودخل عصام البطار البرلمان مع عمر عودة الخطيب وزهير الشاويش عن دمشق. وكان لنا جريدة اسمها «اللواء».

— اين كنت آنذاك وما هى نشاطاتك الأخوانية؟

* كنت خارج سوريا واعمل فى الخليج منذ عام ١٩٦٠ حتى ١٩٦٤ وفى قطر بالذات، حيث تعاقدت معها فى حقل التعليم، ثم انتدبت من قطر إلى دولة الامارات العربية التى كانت فقيرة آنذاك. ولم اكن امارس السياسة بالمعنى المنظم. ولكن اتيح لى الالتقاء مع اعداد كبيرة من الساسة العرب فى دولة الامارات وكانت فترة نضوج ودراسة واطلاع.

— هل كانت ثورة ٨ اذار (مارس) ١٩٦٣ مفاجأة للأخوان؟ ولماذا لم يكن لكم فى الجيش السورى اتباع؟

* من البداية كان الأخوان ينظرون إلى الجيش بأن يكون مؤسسة مستقلة وليست مسرحاً للنشاطات السياسية. بالإضافة إلى أن حياة الجيش لا تنسجم فى بعض جوانبها مع الحياة الفردية للفرد المسلم أو للعضو فى «الأخوان». وهذان الأمران أديا إلى عزوف التحاق الشباب فى اعداد كبيرة فى الجيش. والذى دخل منهم الجيش دخل بصفة مستقلة وشخصية. وفوجئنا بانقلاب ٨ اذار ولم نفاجأ فى نفس الوقت، لأن الحياة كانت مضطربة وغير مستقرة. حدوثه. وبعد انقلاب ٦٣ ازداد اضطراب الحياة السياسية وكان لدينا جريدة «اللواء» التى لم تغلق لأنها لم تخالف القانون.. وتوقفت بعد ذلك بقرار من قيادة الحركة.

- تتكلم عن القيادة للأخوان. كيف انتخب عصام العطار؟

* كان عصام العطار نائباً لمصطفى السباعي. ومعلوماتي قليلة عن انتخابات عصام العطار. ولكن ما علمته أن العطار لم ينتخب ولا مرة واحدة من قبل مجلس الشورى للأخوان المسلمين، وإنما استمر كنائب لمصطفى السباعي. وحدث الانقسام فانتخبته شريحة، وانتخب غيره كذلك. والأخوان لم يطاردوا في عام ٦٣ والانقلابيون شددوا قبضتهم على الحكم، وبدأت ظواهر المعارضة تنتشر في المحافظات. وفي عام ٦٤ حدثت اضطرابات في حماة للشباب المتحمس بقيادة مروان حديد وحدث الصدام وهدم جامع السلطان.

- ولكن فكرة استخدام السلاح ضد السلطة من قبل الإخوان بدأت منذ ذلك الحين اليس كذلك؟

* لقد كان الإخوان يدافعون عن النفس، وكان لديهم مسدسات، وكانوا محاصرين في مسجد. وحمل المسدس في حماة عادة اجتماعية مألوفة. لكن الجيش بدأ بضرب الشعب وبعض أفراد الجيش قتلوا زملاء لهم في الجيش عندما شاهدوهم يدكون جامع السلطان.

ثارات حماة،

- إذن هل بدأت ثارات مدينة حماة منذ عام ٦٤ ضد السلطة؟

* أن الممارسات والصدامات مفهومة في حماة ولا نسميها ثارات. وبعد ضرب حماة في عام ٦٤ حُلَّت المشكلة.

وهنا تدخل الأخ فاروق الطيفور موضحاً: أن أمين الحافظ كان رئيساً للجمهورية، وعندما جاء إلى حمّاه وكان عبد الحليم خدام محافظاً للمدينة أسراً للشيخ محمد الحامد شيخ حمّاه آنذاك وقال له: انقذوا البلد، أن هؤلاء متآمرون عليها ويستعدون لقصفها وهدمها. وكان يتكلم عن جماعة الرائد عزت الجديد وصلاح الجديد. وهذه الجماعة حاصرت المسجد وضربوه وهم اجبروا أهل حمّاه على المقاومة. وطلب أمين الحافظ حقن الدماء وانقاذ حمّاه لأنهم يحققون على المدينة. ونزل الشيخ رحمه الله محمد الحامد إلى الشوارع يطالب الناس بفتح الدكاكين والأسواق... ونجح في ما بعد باخراج من سجن متوسطاً بذلك أمين الحافظ.

– لنعد إلى زعامة الأخوان في سوريا.

* سافرت لتأدية فريضة الحج عام ٦٤ ولم أعد إلى سوريا وأقمت في لبنان. وتولى المسؤولية بالنيابة الدكتور فوزي حمد ومصطفى الصيرفي الذي غادر في ما بعد إلى قطر.

– إذن هكذا تشتت زعامات الأخوان وتوجهوا إلى الخليج للعمل، وانتقل عصام العطار إلى ألمانيا، لكن ماذا حل بهم في الداخل؟

* أخطر ما واجهه الأخوان هو الانقسام الداخلي الذي اشتد بين تيارين...

وهنا تدخل الأخ فاروق الطيفور مرة أخرى للايضاح، وقال: خرج الأستاذ عصام العطار عام ٦٤ من سوريا، وكذلك فعل فوزي حمد، وتولى أمين يكن قيادة الأخوان بالنيابة، وتلك السنة نزلت حركة الأخوان إلى تحت الأرض، وكان فوزي حمد قد دخل السجن معي بعد احداث جامع السلطان، وكنا في غرفة واحدة في حلب، ثم اخذوه إلى دمشق في سجن المزة، وخرج إلى ألمانيا ثم إلى العراق. واستلم أمين يكن أثر ذلك القيادة

يعاونه موفق دعبول ومحمد هوارى. أى يمكن القول أن هذه القيادة الثلاثية استلمت المسؤولية فى نهاية ١٩٦٥ . وحدث الانقسام فى نهاية ١٩٦٨ وبداية ٦٩ . عدنان سعد الدين : القصة آنذاك أن بعض الأخوان لم يعد مقتنعاً بقيادة عصام العطار وهو خارج سوريا، وآخرون كانوا متمسكون بقيادته.

– هل كانوا متمسكين به لأنه يمثل القيادة التاريخية للأخوان فى سوريا؟

* لا ، ليس كقيادة تاريخية وإنما لديهم اقتناع بأنه طالما هو على قيد الحياة وظروفه أجبرته على الخروج ، فيجب أن يبقى كمراقب عام للأخوان . ولهذا حدث الانقسام فى عامى ٦٨ و ٦٩ .

فاروق الطيفور : أن الانقسام حدث فى عام ١٩٧٠ وهناك عدة عوامل له منها أن قصة وجود عصام العطار خارج سوريا ولا يمكن للمراقب العام للأخوان أن يكون فى الخارج . والقصة الأخرى أن بعض الأخوان كانوا يدعون إلى وجود مجلس شورى موسع للمشاركة فى القرار حتى ولو وسط السرية . كما دعا آخرون إلى وجود نظام داخلى يتعايش مع المرحلة . وفريق آخر مثل مروان حديد وغيره كانوا يدعون للكفاح المسلح بعد ظهور «فتح» وإقامة معسكرات فى الأردن ومشاركة شباب الإخوان فى معسكرات فتح والعمليات داخل فلسطين واستشهد عدد من الشباب الإخوان ، مثل نصر عيسى . وحتى عبد الستار الزعيم الذى قاد الحركة الجهادية فيما بعد كان من الذين تدربوا فى معسكرات «فتح» فى الأردن . وأكثر الشباب من الإخوان الذين كانوا النواة الأولى للحركة المسلحة تدربوا مع فتح (...) .

– إذن استمر الانقسام بين الإخوان ، ولكن فى نفس الوقت فإن السلطة

لم تضربكم بل ضربت القوى التقدمية واستفدتم أنتم من ذلك؟

* ليس لدى أجوبة دقيقة عن هذه المرحلة.

فاروق الطيفور: أن الأخوان المسلمين ضربوا ولوحقوا ولم يكن الصدام إلا في حدود معينة، تم الاتفاق على انتخاب مجالس للأخوان سرية... وبما أن الانتخاب لم يكن شاملاً لكل المحافظات السورية فقد برز صراع بين تيارين:

التيار الأول: تزعمته مجموعة حلب بزعامة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة الذي كان يقيم في الدول الخليجية.

وكان التيار الثاني: بزعامة عصام العطار الذي يدعمه بعض أخوان دمشق وحمص. وكان عدنان سعد الدين بعيداً عن هذا الصراع، ولكن لم يكن هناك انسجام مع عصام العطار بسبب الغموض الذي يسيطر على افكاره.

— ماذا حدث بعد الانقسام بين أبو غدة والعطار؟

* فاروق الطيفور: تزعم أبو غدة جماعة حلب، وتزعم عصام العطار جماعة دمشق.

— ماذا حصل للقواعد الأخوانية؟

* فاروق الطيفور: حماة مثلاً انغلقت على نفسها بعد الانقسام، وبرزت فكرة الاعداد المسلح التي كان يتزعمها الأخ مروان حديد (...)

هذه هي أسباب الانشقاق بين سعد الدين والعطار وأبو غدة:

— وما حدث بعد الانشقاق؟

* فاروق الطيفور، تدخلت القيادة الدولية التي كانت معروفة بـ«المكتب التنفيذي للبلاد العربية» وأقر انتخاب عبد الفتاح أبو غدة في عام ١٩٧٣ وقرر أبو غدة أن يترك لأنه لم يقدر أن يمارس عمله وهو في الخارج واجتمع مجلس الشورى أثرها أى في عام ١٩٧٥ وانتخب عدنان سعد الدين كمراقب عام للأخوان. ولكن أبو غدة يعتبر واجهة مشيخية وهو عالم وله تلاميذ ومريدون، وهذا لا علاقة له بالأمور التنظيمية والسياسية (...).

وتدخل عدنان سعد الدين (ثائراً) وقال: أن عبد الفتاح أبو غدة هو الذى خرب سوريا ونعق عليها كالبوم من البداية والنهاية، وهو الآن يحاول أن يخرب «التحالف» ويريد أن يدخل إليه اعوان حافظ الأسد، ثم أن على دوبا هو الذى يدفعه. أن أبو غدة - استغفر الله العظيم - مثل «أبو موجود» فى حماه، وحسن الهويدي هو الآن دينامو الفتنة وهو متفاهم مع الأسد. وبدوننا لا يمكن أن يمشى التحالف.

- لكن الاتهام الكبير هو أنك بدأت الاتصالات مع النظام السورى فى عام ١٩٨٥.

* أن كل هذه الاتهامات تحت قدمي، أن هذا كلام رخيص.

- هل الخلاف حول من يمثل الأخوان المسلمين، أمر الخلاف حول التفاوض مع النظام السورى؟

* أننا نعتقد أن جماعة أبو غدة متفاهمة مع سوريا ولا يمكننى أن ادخل التحالف إذا دخلوه. ولقد اتهمونا بأننا عملاء للعراق وكتبوها ووزعوها وقالوا أننا خونة.

وهنا حضر أحد أعضاء التحالف الوطنى لتحرير سوريا وانقطع الحوار. وقال هذا العضو أن المشكلة أن الأحزاب السورية تنظر نظرة حزبية ضيقة جداً، أنه يجب الخروج من

الجمود....

وقال له عدنان سعد الدين: أن التحالف وصل إلى طريق مسدود الآن (...). وذهبنا في متاهات لا مجال لذكرها. واتهم أكرم الحوراني بأنه تصرف في بداية تأسيس التحالف وكأنه الأمين العام. وقال أن هناك عشرين جاسوساً داخل حركة المعارضة ونحن نعرفهم. وقام جهاز أمن «الأخوان» بالقاء القبض على عدة اشخاص ارسلهم اتباع أبو غدة لاغتيال عدنان سعد الدين.

- وقفنا عند تاريخ حركة الإخوان المسلمين والانشقاقات التي سادت بين ١٩٧٠ و ١٩٧٣ ماذا كان تأثيرها على الحركة ككل؟

* من تلك الفترة انقسمت حركة الإخوان المسلمين إلى ثلاثة اتجاهات: الاتجاه الرئيسي هو الإخوان حلب الذين اطلق عليهم تجاوزاً «جماعة حلب»، مع أن مراكز أخرى كانت تتبعهم، وتم انتخاب الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وفريق آخر كان من أبرزهم «جماعة دمشق» ويتبعهم أيضاً عدة محافظات وكان على رأسهم عصام العطار مع أنه كان في الخارج. وكان نائبه آنذاك حسن الهويدي. والفريق الثالث اطلق عليه «فريق الحياء» وكان مكوناً من ثلاث محافظات وهي دير الزور وحلب، وانضمت دير الزور إلى دمشق وبقيت ادلب على الحياء. واستمر الحال هكذا حتى عام ١٩٧٤. والمحاولات طيلة هذه السنوات لتحقيق الوفاق لم تتوقف وتدخلت فيها شخصيات إسلامية من خارج سوريا.

- مثل من؟

* مثل المرحوم أبو الأعلى المودودي والأستاذ الكبير أبو الحسن الهضيبي بعد خروجه من السجن، بالإضافة إلى تجمعات إسلامية من البلاد العربية. كلهم تدخلوا لاصلاح ذات البين، ولكن كلهم وصلوا إلى طريق مسدود. وفي عام ١٩٧٤

صدر قرار من التنظيم العام للأخوان المسلمين ويتكون من ثمانى نقاط أبرزها إعادة الانتخابات فى قواعد الإخوان بأشراف لجنة مؤلفة من عدة أقطار للأشراف على الانتخابات، ليشترك فيها أعضاء القوائم المعتمدة من قبل التنظيم وكل هذا تم فى نطاق السرية أو تحت الأرض. وبالفعل جرت انتخابات فى كل المحافظات داخل سوريا وقاطعت هذه الانتخابات مجموعة الأستاذ عصام العطار الذى ترأسها حسن الهويدى، وانضم إلى هذه الانتخابات مركز الحياء فى أدلب.

- كم عدد المنتخبين والناخبين؟

* كنت فى الخارج ولا يمكننى أن أحدد، وفى الوضع السرى يضيق عدد الناخبين. وانتخبت إدارات المراكز وانبثق عنها مجلس شورى عقد عدة جلسات فى بيروت. ونشأ عن هذه الاجتماعات انتخاب مراقب عام جديد، وتكليفى بأن أقوم بمهمة المراقب العام للأخوان المسلمين على أن يكون النشاط من داخل سوريا وتم هذا فى عام ١٩٧٥، فى شهر تموز (يوليو).

- كم كان عدد مجلس الشورى آنذاك؟

* حوالى ١٣ شخصاً يمثلون جميع المحافظات وكان محمد ديب الجاجه رئيساً لمجلس الشورى.

- لماذا نر اختيبارك كمراقب فى عام ١٩٧٥، مع إنك كنت فى الخليج وبعيداً عن الساحة السورية؟

* لقد كنت على صلة بهذه التنظيمات ولم أكن منقطعاً عنها وخاصة اللقاءات تتم بيننا وبينهم لاسيما أثناء الاجازات وخاصة اجازة الصيف فى لبنان.

- لكن آنذاك وجهت إليك اتهامات بأنك مرشح دول الخليج لزعامة

الأخوان؟

* إذا كان أهل الخليج لديهم الجرأة لأن يكون لهم مرشح في الإخوان المسلمين فمعنى ذلك اقتربت الساعة وانشق القمر واقترب يوم القيامة. أنهم حساسون تجاه أى تسمية حزبية أو سياسية. والحقيقة أنه لديهم أزمة كبيرة بعد أن اكتشفوا إننى كنت استلم مناصب حساسة في الخليج مثل مفتش لغة عربية ومشرف البعثات التعليمية وممثل لقطر في كل الخليج. وبعد ذلك كنت أحد رجلين يشرفان على صياغة المناهج الدراسية ووضع مفرداتها. ولكن نشاطى كان في بلدى سوريا فالخليج لا يحتمل مثل هذه الأنشطة.

— هل أنهيت عملك في عام ١٩٧٥ في المجال التربوي في الخليج؟

* استمر عملى في الخليج ولكن حولت نشاطى إلى سوريا، لأن العمل الذى أشرف عليه فنى ولا يحتاج إلى وقت طويل أو دوام.

— إذن بعد انتخابك كمراقب عام في عام ١٩٧٥، اعتبر عصام العطار أن الانتخاب غير دستوري، فماذا كان موقف أبو غدة؟

* أن عبد الفتاح أبو غدة كان أحد النخبين، وكان يؤيدنى في هذه الفترة، لأن جناح حلب أيدنى.

— لماذا لم تحاولوا جلب جماعة العطار إلى الإطار العام؟

* لا يصح لشخص قاعد في «آخن» (ألمانيا) وبعيد عن سوريا ١٥ سنة متصلة لا مقطوعة ولا ممنوعة أن يتحدث عن دستورية الانتخاب. ولا يصح ذلك أيضاً لمن ينتقلون إلى القبور أو إلى العالم الآخر. ومع ذلك فإننا حاولنا وبذلنا محاولات جادة للقاء. والتقيت مع الأستاذ عصام بعد تكليفى مباشرة، لايجاد جنو من الثقة

والتعاون والمودة والانتهاء من جو التوتر السائد، سواء تم الوفاق أو لم يتم.

— ماذا كان رد فعل عصام العطار على هذه المبادرة؟

* لقد كان لطيفاً جداً في لقاءاته، ولكن بطبيعته كما ذكرت من قبل فإن مواقفه ليست حاسمة ويكتنفها الغموض ويكتفى بالكلمات اللطيفة والناعمة، وكلماته منتقاة، وقلمها يزعج من يجلس معه.

— إذا استمر الانشقاق بينكم وبين عصام العطار؟

* الانشقاق استمر ولكن ضعف تأثيره أو كاد ينتهي، واصبح نشاطه محصوراً بينما نشاطنا اصبح في كل مكان. والعناصر الفاعلة والذكية تفاعلت والتفت وانضمت إلينا حتى في مدينة «آخن» نفسها. ولأول مرة فإن التيار التنظيمي الذي كلفت برؤاسته أخذ يوسع دائرة نشاطه لتشمل كل بقاع وجد عليها تجمع من أبناء التنظيم أو من أبناء التيار الإسلامي للأخوان المسلمين في سوريا او حتى لأنصارهم.

— إذن انت منذ عام ١٩٧٥ وأنت متمسك ومنفرد بمنصبك كمراقب عام للأخوان لماذا؟ ألم تنته من ولايتك؟

* لا أرى ولايتي قد أنتهت.

— ماهي مدة ولايتك؟

* كانت الولاية ثلاث سنوات واستمرت من ١٩٧٥ حتى ١٩٨٧ وحصلت تعديلات دستورية واصبحت الدورة أربع سنوات.

— وجددوا لك بالطبع...

* نعم جدد لي في عام ١٩٨٧ بالاجماع في داخل سوريا سرياً. وكان من المتوقع

٠ أن تنتهى ولايتى سنة ١٩٨٢ ولكن حدثت مفاجأة وتحولات وتطورات كبيرة
وجداً وحدث صدام فى سوريا
- سنتكلم عنه لاحقاً...

* لن أتكلم عنه بل أمر به. أن هذا الصدام أدى إلى وجود الحركة الجهادية، لأن
النظام جبر الناس جراً إلى هذا الصدام. فى هذه الحالة وجدنا تعاطفاً كبيراً من كل
المسلمين فى العالم وليس من قبل الأخوان وحدهم. واصبحت جماعة عصام
العطار وغير جماعة العطار من القاعدين ومن المستريحين والبعدين ويبدون
الاستعداد للتعاون والانضمام، ومن ضمنهم حسن الهويدي الذى كان ولاؤه
لعصام العطار. وهذا الحوار الذى حصل فى عام ١٩٨٢ كان طويلاً ومعقداً.

- من شارك فى هذه الحوارات؟

* كان سعيد حوّا وعلى البيانونى ومحمد هوارى ومحمد على مشعل وحسن
الهويدي وغيرهم. أما عبد الفتاح أبو غدة فقد اعتذر شخصياً عن عدم المشاركة،
ولكن الشيخ أبو غدة لم تكن لديه مسؤولية تنظيمية وكانت مسؤولياته أدبية، وكنا
على صلة به ونتشاور فى هذه الأمور وغيرها.

- بماذا أنتهت هذه المداولات فى عام ١٩٨٢؟

* انتهت بمشروع الوفاق الذى يضم كل التيارات لا سيما التيارات الثلاثة أى تيارنا
وهو فى الواقع كان التيار العريض ويملك جميع الامكانيات والحركة والقتال
والتنظيم والنهوض الإعلامى والمالى والتنظيمى والسياسى. والفريق الثانى بزعامة
عصام العطار ممثلاً بشخص حسن الهويدي وغيره. أما الفريق الثالث فكان يمثل
جماعة الطليعة بزعامة عدنان عقله.

- لكن الانتخابات حدثت في عام ٨١ فماذا كانت نتيجتها؟

* تم اثر ذلك انتخاب حسن الهويدي مراقباً عاماً بالاجماع وانتخبت أنا نائبه، ولكن بعد مأساة حماه في عام ١٩٨٢ أعيد الانتخاب في نيسان (إبريل).

- ما الذي دعا إلى ذلك ولم تسمحوا للهويدي بالبقاء ٤ سنوات؟

* كان هناك توتر شديد في وسط الأخوان بعد مأساة حماه، والنكبة المروعة التي أحدثتها النظام بالسكان والأهالي، فاتفقنا في مجلس الشورى على إجراء انتخابات جديدة في نيسان من عام ١٩٨٢. وفي أيار (مايو) ١٩٨٢ تشكلت القيادة من جديد وبقي حسن الهويدي كمراقب عام وكنت نائبه وانضمت اعداد يسيرة إلى القيادة واستمر الوضع حتى عام ١٩٨٥. وكان التنظيم يعيش باضطراب. ولأن بعض العناصر التي التحقت بالجهاز لمست الصعوبات والعقبات، بدأت تميل للأنطواء على نفسها، وانكشمت وبدأت تقدم طروحات جديدة ترمى في مجملها إلى البعد وتصفية هذا الوضع.

- كيف البعد؟

* البعد عن هذا الصراع وتصفية هذا الوضع وعودة الجماعة إلى نوع من الحياة الهادئة أو الدعوة والخروج من هذا المأزق.

- هل قرر ذلك مجلس الشورى من الأخوان في عام ٨٥؟

* في كل جلسات مجلس الشورى كان يطفو هذا التوجه وفي شباط (فبراير) ٨٥ انتخب مجلس الشورى المراقب العام الجديد وهو محمد ديب الجاجه من محافظة

أدلب ومن بلدة المعرة.

- من ترشيح ضد الجاجه ولماذا لم يستمر فى منصبه؟

* ترشيح ضده منير الغضبان.

- اين كنتم تعقدون مجلس الشورى، ولماذا لم يستمر الجاجه؟

* احياناً نعقده فى العراق والأردن وأحياناً خارج البلدين وفاز الجاجه بالأكثرية المطلقة. أما لماذا لم يستمر الجاجه فإن الانتخابات النهائية أى نهاية الأربع سنوات كانت قد شارفت على الانتهاء والقضية تدخلت بها تنظيمات أخرى خارج التنظيم السورى ووجدت أنه من المناسب أن تدعو إلى قاعدة عريضة فيما يسمى أهل الحل والعقد لتستشيرهم فى هذه الأحداث، وأن يعاد انتخاب مجلس الشورى بكامله وكان مجلس الشورى يؤيدى الخط الجهادى وكان يحكم بأن هذا النظام فى سوريا لا جدوى من الحوار معه، لذلك رأت القيادة بمعناها العام والوسع أن تدعو إلى مؤتمر عريض وموسع وكلفت مجلس الشورى الذى اختار بقواعد أصولية ٧٥ شخصاً. وهؤلاء يمثلون الرموز التاريخية والإدارية فى الجماعة. مثلاً: كل من كان مراقباً عاماً أو نائبه واعضاء الحاكيم العليا ورؤساء الإدارات والمراكز تم اختيارهم لتشكيل المجلس.

كل الاتجاهات صوتت لاسقاط النظام السورى واختلفت على الاسلوب:

- اين عقد هذا الاجتماع؟

* لا نريد أن نعلن المكان حتى لا يتم الاحراج (...) واستمر النقاش ليومين وكانت

بعض جوانبه حادة وغير رائعة. ولكن الذين يعتبرون أنفسهم أبناء هذا التنظيم مارسوا أقصى ما يمكن من ضبط النفس حتى مرت هذه العاصفة التي كانت في بعض جوانبها مفتعلة وتحريضية، ثم جرى التصويت. وكانت هذه الجلسات تعقد بحضور مندوبين من خارج التنظيم السوري.

— مثل من؟

* التنظيمات في مصر والأردن... أى من ١٥ دولة عربية وإسلامية.

— وماذا كانت النتيجة؟

* كانت النتيجة مذهلة، وكان الاجماع أن هذا النظام السوري ميؤوس منه ولا جدوى للحوار معه. والذين شاركوا في الاقتراع كانوا ٦٦ من أصل ٧٥ لظروف السفر والظروف الشخصية. وكانت النتيجة أن ٣٤ شخصاً صوتوا أنه لا بد من الاستمرار في الصراع المسلح ضد النظام السوري بينما ٣١ شخصاً صوتوا لاسقاط النظام السوري دون تحديد الوسيلة. وكان هناك ورقة بيضاء واحدة. أما المصالحة مع النظام فكانت نتيجتها الصفر، مع أنه كان بعض الناس يزعمون أن ٧٠٪ سيطالبون بالمفاوضات والتفاهم.

— وماذا عن انتخاب المراقب العام في عام ١٩٨٥؟

* من طرف آخر اجتمع مجلس السوري واعضاؤه يشكلون مجلس الحل والعقد وكان عددهم ٢٣ شخصاً وقبلت استقالة المراقب العام حسن الهويدي وانتخب محمد الجاجه كمراقب عام. وشكلت قيادة جديدة عدت فيها كنائب للمراقب

العام. وهذه القيادة استمرت ٦ أشهر. وجرى انتخاب مجلس شورى جديد وكان عدده ٢٩ شخصاً. وحضر الاجتماع ٢٨ شخصاً وانقسم إلى قسمين: ١٤ ضد ١٤. وكان هناك مرشحان هما محمد ديب الجاجه والشيخ عبد الفتاح أبو غده وطرح من جديد اسم أبو غده. وحدث هذا في حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٥. وأبو غده زج اسمه بعد ١١ سنة من خروجه من القيادة. وكنا نحن نود إلا يزج باسمه لأنه في سن متقدم ومراعاة لظروفه الصحية ولعلاقاته مع كل الأطراف. وكنا نتطلع إليه خارج دائرة الصراع الداخلي ويكون بمثابة الحكم الذي تفرع إليه الأطراف لتحكيمه في خلافاتها. لكن بعض الأخوان إرادوا أن يستفيدوا من ظروف أخرى خاصة بالشيخ عبد الفتاح أبو غده فزجوا باسمه في هذا الخضم. ووقع ما لم يكن في حساباتهم مع أنه كان متوقفاً بالنسبة لنا، وهو أن الشيخ لم يفرز بالانتخاب والمجلس وانقسم إلى عديدين متساويين إذ نال كل من الجاجه وأبو غده ١٤ صوتاً.

— من كنت تدعمر أنت؟ الجاجه؟

* بالطبع الجاجه. وصاحب الصوت التاسع والعشرين لم يحضر إلى الاجتماعات وهو مندوب أخواننا في أميركا الشمالية (اسمه سرى). وانتظرنا أن يعقد مجلس الشورى بعد أن ضمنت الأكثرية المطلقة ١٥ ضد ١٤، لصالح الجاجه، ولكن فوجئنا باللجؤ إلى القيادة العليا لتصدر قراراً بتعيين منير الغضبان مع أنه كان واحداً من مرشحيهم وفشل في الانتخابات. ولم يكن سياسياً، إنما كان من جماعة أبو غده. ثم رشح على البيانوني ولم ينجح.

— ما عدد الأصوات التي حصل عليها الغضبان؟

* حصل على ما بين ١٠ و ١٢ صوتاً. والبيانوني حصل على ١٠ أصوات، وتم

ذلك بعد شهرين. ولكن فوجئنا بأن أخوانية مسؤولة تصدر قراراً بتعيين منير الغضبان (من منطقة دمشق ومن التل) واعطته صلاحيات لم يعرفها تاريخ تنظيمنا. واصدر قراراً بتجميد مجلس الشورى. وهذه الاجراءات لا يوجد لها مستند فى النظام العام أو الخاص.

— من اصدر هذه القرارات؟

* القيادة العليا للجماعة.

— ومن هى القيادة العليا؟

* أنها تضم المرشد العام المرحوم عمر واشخاص آخرين من عدة أقطار لا يريدون أن تذكر أسمائهم.

— إذن تدخل التنظم العالمى للأخوان المسلمين فى الشؤون الداخلية للأخوان فى سوريا؟

* نعم، ونحن لا نعرف لهذا التدخل مستنداً نظامياً لا فى لوائحنا أو لوائحهم مما اضطرهم إلى تعديل لوائحهم بعد ١٤ شهراً لتغطية هذا التدخل.

— إلى ماذا تعزرو التدخل فى شؤون الإخوان فى سوريا؟

* كان الهمس الذى جرى من قبل الذين يخالفوننا الرأى أن نهجنا السياسى غير مطمئن لهم أو أن نهجنا لا يطمئنون إليه.

— هذا حدث فى آب (أغسطس) من عام ١٩٨٥. وماذا حصل منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم من تطورات؟

* بعد ذلك رفضنا نحن الاجراء لمخالفته النظامية وشكلنا قيادة موقتة فيها رموز ريشما تعيد الشرعية إلى نصابها، وحتى تتحرك المؤسسات وتمارس دورها وصلاحياتها واتفقنا فيما بيننا في المكاتب. وعندما استلم منير الغضبان صلاحياته لم يجد قبولاً فاجتمعت القيادة العليا للدولية وعدلت من قرارها وأعطته كل صلاحيات مجلس الشورى، مع أنه معين. واصبحت القيادة في سوريا مسؤولة أمام شخص من خارج التنظيم السوري وهو من بعض الأقطار المجاور (٠٠٠) ولدينا وثائق على ذلك وكلها قدمناها في مذكرات رسمية. وعدل القرار حيث أصبح مجلس الشورى العام وليس الاقليمي هو الذي يملك الصلاحيات.

— أى اصبحت السلطة في يد مجلس الشورى العالمى للأخوان المسلمين. ما عدد اعضائه؟

* لا أعرف ولا أحد في الدينا يعرف عدد اعضائه. وأصدر مجلس الشورى العام قراراً يبقى عدنان سعد الدين مسؤولاً عن المكتب السياسى فى الجماعة. وبذلك تمت التسوية مؤقتاً رغم المخالفة التى حدثت فى التعيين والتى لا تستند إلى جانب نظامى.

— إذن ماذا حدث بعد هذه المخالفات والتدخلات؟

* ما حدث من أن الشيخ منير الغضبان لم يستمر فى هذه القيادة أكثر من شهرين لأنه واجه عقبات كثيرة أهمها أن الطرف الآخر لم يرض عن هذه القيادة لأنه يريد باجتماعها أى مع عبد الفتاح أبو غدة. واضطر الغضبان إلى تقديم استقالته وتشكيل قيادة أخرى بزعامته هو أيضاً، وورضينا بها، ولكن بعد شهرين قدم استقالته مرة أخرى لأن جماعتي أبو غدة رفضت التعاون معه، فشكل قيادة ثالثة ووافقنا عليها. وفى المرات الثلاث رفض الطرف الآخر الذى تزعمها أبو غدة أن يتعاون مع القيادة، مع أن القرارات كانت واضحة وتتضمن أن الطرف الذى لا

يتعاون تسير القيادة بدونه، لأن القيادة الثالثة كانت موسعة ويمكنها أن تسير إذا تخطى أحد الجناحين. ولكن بعد ٥٢ يوماً قدمت جماعة أبو غدة الاعتذار عن تقديم اسماء ممثليها مع أننا قدمنا ممثلينا خلال ٣ أيام، فجرى حل القيادة وطرح قضية انتخاب المراقب العام من القواعد الإخوانية. وجرى الانتخابات في آذار (مارس) عام ١٩٨٦، وكان القرار ينص على أن من يحظى بأصوات أكثر من ٥٠٪ من المقترعين يكون مراقباً عاماً ويستطيع أن يبدل في المؤسسات كما يريد.

— بما أن هذا الاقتراح يعتبر تاريخياً في شق الإخوان، كم كان عدد المقترعين؟

* الناضبون كانوا حوالي ٢٠٠٠ ولكن الذين شاركوا في الاقتراع كان عددهم قليل لأن محظورات وسلبيات الانتخابات عديدة ونحن استغربنا كيف يتخذ مثل هذا القرار لأن أكثر الشباب يقيمون ويعملون في بلاد لا تقرر التنظيمات السياسية. ومثل هذا التحرك فضح الكثير من الأسرار وأخرج قطاعاً كبيراً من الشباب وجعلهم في حالة تعويم وكنت أنا والشيخ عبد الفتاح أبو غدة المرشحين الرئيسيين في الانتخابات. وقال القرار إذ لم يخطئ أحد المرشحين بأكثر من ٥٠٪ من المقترعين تعاد الانتخابات بين الاثنين اللذين حصلوا على أعلى نسبة من الأصوات. وكنت آنذاك خارج العالم العربي ولم يقدر أحد منا على الفوز بالأغلبية المطلقة. ولكن كانت هناك امكانيات لنتائج أخرى ولكننا ابتعدنا عنها. وهناك مناطق لم يصلها أحد فأخذت الأصوات بالجملة. وهناك أماكن جرى فيها شطب بعض الأصوات. وحدثوني أنه تم رمي ٢٠ صوتاً... وحينما روجع المسؤول عن سير الانتخابات لم يحقق في الأمر. وفوجئوا أيضاً بأن الأصوات كانت دون ٥٠٪ وكان من المتوقع ألا يقبل المرشحون أو بعض المرشحين أن يستمروا في المعركة، ولجأت القيادة العليا على حساب جديد آخر وحذفت بعض الأصوات

التي كانت ورقات بيضاء مع أن اصحابها أقرعوا.

- تعنى بالقيادة العليا أى التنظيم العالمى للأخوان؟

* نعم، التنظيم العالمى، تدخل وقال أنه يعتبر الشيخ عبد الفتاح أبو غده هو الناجح بعد الغاء حوالى مائة ورقة وهذا جملة يصل إلى ٥١٪.

- وأنت حصلت على ٤٩٪؟

* حسب ما يقولوا. وهنا اعتبرنا نحن الأعمال كلها غير دستورية من البداية إلى النهاية، ورفعنا تظلماً وست مذكرات نشرح فيها المخالفات من أول الطريق إلى آخره، فلم تلتق أى اجابة. وتكلمنا عن تشكيل القيادات بتعيين المراقب العام وقلنا أن هذه مخالفات. وفى كل مرحلة عن هذه المراحل كنا نرفع فيها مذكرة نذكر فيها كل المخالفات.

- متى صدر القرار من التنظيم العالمى؟

* صدر فى شهر نيسان (إبريل) من عام ١٩٨٦ قرار من التنظيم العالمى بتثبيت فوز أبو غده، ونحن رفضنا قبوله، لأننا اعتبرنا ذلك مخالفاً حتى لأصول علم الحساب.

- خلال ٨٦ - ١٩٨٨ ماذا جرى بين جماعة أبو غده وجماعة عدنان سعد الدين؟

* أن مجلس الشورى تداعى لعقد الجلسة لأنه مجمد أيضاً بدون استحقاق. لأنهم هم أشرفوا على انتخابه وهم جمدوه. ففى سنة واحدة حلوا مجلس الشورى

وجمدوا مجلس الشورى الثانى. ووقعت أخطاء كثيرة. إذن مجلس الشورى لا ينبغي أن يُجمد وليس هناك من مبرر لتجميده ويحق لمجلس الشورى أن يدعى عن طريق ثلث الأعضاء أو عن طريق مكتبه أو عن طريق المراقب العام. ولهذا وقع أكثر من ثلث الأعضاء على عريضة بدعوة المجلس للاجتماع. واجتمع مجلس الشورى فى أكثريته المطلقة فى إحدى الدول (...). فى حزيران (يونيو) من عام ١٩٨٦. وحسب الأصول حضر ١٥ من أصل ٢٩ ووجهنا حسب الأصول مرتين دعوة للأعضاء الآخرين أن يلتحقوا. والانتخابات جرت على مرحلتين. فى المرحلة الأولى يجب على المرشح أن ينال الثلثين غير موجودة. والمرة الثانية ينال الأكثرية المطلقة وفعلاً نلت الأكثرية المطلقة فى مجلس الشورى وصوت لى ١٥ من أصل ١٥ عضواً. وطبعاً تشكلت القيادة وأعضاؤها يصبحون أعضاء طبيعيين فى مجلس الشورى إذا اختيروا من قبل مجلس الشورى فتوسع بذلك عدد أعضاء المجلس.

— من هى هذه القيادة؟

* قيادة غير معلنة وتضم ١٠ أعضاء.

* إذن اضيفتم عشرة أعضاء إلى مجلس الشورى؟

* بما أن الـ ١٤ عضواً لم يحضروا فى الجلسة الثانية فقد جرى انتخاب غيرهم. والآن يتألف مجلس الشورى من ٢٤ شخصاً وقد استكملت المناطق الأخرى (...).

— إذن مازالت جماعة أبو غدة تعتبر ما قمتهم به عمل غير دستورى؟

* أنهم بالأساس كل وضع مرفوض لديهم. بالأساس حصلت تدخلات لا علاقة

لها باللوائح أو بالنظام الذى نتمسك به.

المفاوضات:

- هل مازلت متمسكاً بمنصب المراقب العام للأخوان؟

* لقد تم انتخابى من قبل الأكثرية المطلقة الذين اشرفوا هم على انتخابه رغم المخالفات الكثيرة التى جرت.

- كيف يمكن حل العقدة بعد أن أصبح هناك مراقبان عامان للأخوان المسلمين فى سوريا؟ وكيف يمكن توحيد القيادة؟

* غيرنا مر بهذه الأطوار أما نحن فقد فرض علينا هذا التطور.

- لكن كل منكما يدعى الوصل بليلى... وكل فريق يقول أن جماهير الإخوان معه كمر من الإخوان معك؟

* نحن لا يشغلنا هذا اللفظ ونحن مشغولون بواجبات أكبر. ولا نسمح لأنفسنا أيضاً بوجود التوترات والصراعات بيننا وبين الآخرين. والذين اختلفوا معنا فى رأى واختلفنا معهم فى رأى لن ندخل معهم فى جدل عقيم وخلافات حادة وخصومات، لأنه ليس من وراءها طائل. وكل إنسان يتجه الوجهة التى اقتنع بها (...).

- إذا كانت لديكم قواعد شعبية حقاً فلماذا لا تعودون معاً إلى القواعد لاجراء انتخابات شاملة؟

* لقد اجبت بما فيه الكفاية عن كيفية اجراء الانتخابات على مستوى القواعد.

- اليس هناك مجال لاقالة أبو غده وسعد الدين واجراء انتخابات أخرى؟

* أن التنظيم هو المسؤول عن هذا الحدث والقضية ليست قضية شخصية ولم أفرض نفسى وليست المسؤولية ملكى الشخصى حتى أقول: اترك أو لا أترك، ويقىلنى أو أقيله... هذه قضية تتعلق بصلاحيات مجلس الشورى الذى يمثل كل قواعد الأخوان.

- تتركون الانطباع دائماً بأن توجه عدنان سعد الدين وجماعته هو توجه عسكري وجهادى. وأما أبو غده فتوجههم سياسى ومشيوخى وتفاوضى. فهل انقسمتم إلى أخوان عسكريين وأخوان سياسيين؟

* نحن نعتبر أن العمل السياسى والعمل العسكرى يسيران جنباً إلى جنب. والعمل العسكرى فرض علينا فرضاً لأن العدو غاشم وظالم وحاقد ونكل بالناس وقتل الأبرياء واغتال مواطنين فى داخل السجون وخارجها، وحكم على الناس بالاعدام وله ضحايا لا تحصى. هذه السياسة الرعناء الظالمة من قبل الحكم هى التى دفعت الناس دفعاً للدفاع عن أنفسهم... ولذلك فإن هذا الأمر مفروض على التنظيم الذى خاض الصدام المسلح مع النظام الحاكم فى سوريا. وفى نفس الوقت فإن السياسة التى نخوضها من أوسع. ساحاتها وأبوابها، ونحاور الجميع ونصنفى للجميع ونستفيد من تجارب الجميع.

- لكن أنتم الفريق الذى حمل السلاح وهم لم يحملوه إليس كذلك؟

* بالنسبة لهم، لو سئلوا هم أفضل، لأننا لا نصنفهم ونستطيع أن نحدد ونصنف أنفسنا. وأما ملاحظتنا عليهم فإننا نحتفظ بها لأننا ملتزمون بقرار مجلس الشورى الذى يحظر الجدل العقيم والصراعات والخلافات. ونحن لا نرد على هجماتهم. أما فيما يتعلق بتوجيهاتهم السياسية والتفاوضية والعسكرية أو غيرها، فهم أولى بالحديث عنها. أما نحن فلدينا قناعة تامة بأنه لا جدوى من الحوار مع نظام وصفناه قبل الانقسام جميعاً بالخيانة والطغيان والتآمر مع الأعداء وذبح المواطنين وتعطيل دور سوريا واحداث الفتن الطائفية والعرقية فى كل منطقة.

— ولكن ها أنتم وقعتم فى فخه...

* دعنى اكمل بالله عليك. هذا الوصف للنظام فى نشراتنا كان من قبل قيادة الجماعة قبل الانقسام.

— لكن الاتهام الذى يوجهه إليك شخصياً هو إنك والقيادة اجتمعت مع ممثلى النظام أكثر من مرة، وخالفتم بذلك قرار "التحالف الوطنى لتحرير سوريا" ونوقشتهم فى التحالف بذلك واعترفتم به حسب المحاضر الموجودة فى التحالف.

* هذا كلام متداخل ومختلط وغامض.

— اين الغموض، المحاضر موجودة.

* هذا خطأ وأنت حر فى أن تقرأ ما تريد وأنا أقول لك الحقيقة وليس غيرها. أن قضية المفاوضات حينما نوقشت فى القيادة نحن كنا نرفضها.

— تعنى قيادة الإخوان المسلمين؟

* نعم فى قيادة الأخوان، وليس لنا موقف آخر. وطلب منا بالحاح أن نساهم فيها فاعتذرنا لأسباب معلنة وواضحة ومعروفة لدى الجميع. وعندها ذهب الفريق المقتنع بالتفاوض.

- متى وكيف وأين ومن قام بالمفاوضات؟

* كانت المفاوضات الأولى فى شهر كانون الأول (ديسمبر) من عام ١٩٨٤ وفى إحدى الدول الأوروبية. وحضر وفد سمته القيادة الأخوانية. وهذا أمر سرى.

- سرى على من، بما إنكم تفاوضتم مع النظام؟

* لقد كان الوفد برئاسة منير الغضبان الذى كان المراقب العام للأخوان ومعه رفيق له لا أريد أن أذكر اسمه. وكان يمثل النظام السورى ضابط مخابرات عسكرية منهم العميد حسن خليل والعقيد هشام بوختيار. وكان اللواء على دوبا يشرف على المفاوضات لكونه رئيس المخابرات العسكرية.

- كم استغرقت المفاوضات بين الأخوان وعلى دوبا؟ وهل وضع تقرير عنها لقيادة الأخوان؟

* نعم وضع تقرير، واستمرت المفاوضات جلتين فى يومي ١١ و ١٢ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٤.

- ماذا كانت المطالب الأخوانية ورد فعل على دوبا عليها؟

* خلاصتها أن النظام السورى يريد من هؤلاء الناس أن يرجعوا إلى سوريا ويعيشوا فى ظل أو كنف النظام السورى. وهذا ما عاد الوفد ليعبر عنه وهو ليس استنتاجاً بل كان هو كلام وفد الأخوان. وصدّرت وزارة الداخلية السورية بياناً قالت فيه أن

الأخوان بدأوا يسيرون على طريق التوبة والعودة، مما اضطرنا للرد في بيان مفصل.

– ماذا كان مطلب الإخوان من النظام؟

* النظام السوري لم ينظر إلى المطالب.

– ولكن ماذا قدمتم من مطالب؟

* لم أضعها أنا، ولا تعينني لأن النظام السوري سخر منها ورفضها.

– لكن نريد أن نعرف تفكير هذه القيادة الإخوانية ونريد أن نعرف المطالب.

* خلاصة المطالب الإخوانية هي أن تعطى الحرية للشعب السوري ويطلق سراح السجناء، فسخروا من هذا الكلام ورفضوه وقالوا: انتم لستم منتصرون ولستم انتم الجنرال غورو حتى توجهون مثل هذا الكلام، وعليكم أن تعودوا كما عاد غيركم لتعيشوا في ظل النظام وتشهدوا أو تشاركوا في افراحه واعماله الوطنية. وعاد الوفد الإخواني ليقولان النظام يريد منا طلباً واحداً هو أن نعيش في كنفه وتحت ظله فقط، وليس مستعداً لأي بحث آخر. وصدر بالتالي في مجلس الشورى قبل حله قرار بالاجماع أنه لم يعد جائزاً مفاوضه هذا النظام، وانتصر الرأي الذي كنا نتوقعه ونلح عليه وننصح بالالتزام به.

– إذن لماذا استمر الإخوان بالمفاوضات؟

* في ظل وحدة الجماعة لم تستمر المفاوضات.

– من أوعز بالاستمرار في المفاوضات؟

* لقد أصبحنا قسمين بعد ذلك، اذهب واسألهم لماذا فاضوا.

— هل تعتقد أن التفاوض هو السبب الرئيسى للانقسام؟

* هذا أجبت عليه.

القيادة العالمية،

— لنحلل أسباب الانقسام من الناحية التاريخية.

* حركة الإخوان المسلمين اعتمدت نظام الشورى منذ البداية، فى الثلاثينيات. ونستطيع القول أن هذا النظام ترسخ فى الجماعة وجعل الحياة الديمقراطية لديهم قوة الجذور. ولكن ينتاب هذا الأسلوب أحياناً نوع من الضعف والتضييق والسطحية.

— هل هناك سابقة بحيث أن أي تنظيم قطري للإخوان رفض الانصياع إلى التنظيم العالمى للإخوان؟

* نعم، فى السودان مثلاً. وقد وجد الإخوان هناك أن ظروفهم لا تسمح لهم بالاندماج الكامل، وفضلوا أسلوب التنسيق.

— هل تنظيم الإخوان القطرى فى سوريا رفض مثلاً قرارات القيادة العالمية؟

* لا نقول أننا رفضنا بل حصل خلاف على تفسير النصوص الدستورية، عند وضعها موضع التنفيذ.

— على أى أساس وافق تنظيم الإخوان فى سوريا على السماح لقيادة الإخوان العالمية بالتدخل فى شؤونه واملاء القرارات عليه، مع إنك

سبق وقلت أنها قيادة غامضة؟

* القيادة العالمية للأخوان موجودة داخل البلاد العربية وليس خارجها، ونحن لا نشك في نياتهم ونثق بدينهم وصدقهم، ولكننا نتذمر أحياناً من القصور في الرؤية الذي يؤدي إلى مثل هذه الخلافات. ولكن ما زالت تجمعنا معهم أخوة الإسلام ورابطة العمل الإسلامي.

حسن البنا بشر بالوحدة العربية في الثلاثينيات:

- يصور البعض تنظيم الإخوان العالمي على أنه أشبه بالتاريخ الأسود للماسونية العالمية من حيث السرية وتدفق الأموال بين يديه بالملايين.

* لم اسمع بمثل هذا من قبل. وإذا كان الماركسيون هم الذين يقولون ذلك فإنهم يفكرون بعقول غيرهم عادة وليسوا مستقلين في الرأي. وهذه التهمة تنقصها الرؤية والموضوعية، وهذا كلام غير صحيح. وحركة الإخوان كانت دائماً مطاردة في البلاد العربية، وخضعت لضغوط تنوء تحتها الجبال. ولو تعرضت الأحزاب الأخرى لجزء يسير من هذه الضغوط لتلاشت واختفت من الوجود، بينما حركة الإخوان ازدادات رسوخاً وقوة وصلابة وتماسكاً، وقدمت تضحيات قل نظيرها. والأخوان لا يؤمنون بالعمل السري ويرفضونه رفضاً تاماً (فاصدع بما تؤمر)، ولكن الحركة تضطر أحياناً للعمل السري كارهة وغير مختارة، «وإذا لم تكن الأسنة مركباً فما حيلة إلا ركوبها». وأى مكان يتيح للحركة الإخوانية أن تظهر فإنها تعلن فيه عن نفسها، لأنه ليس لديها ما تخفيه أو تخجل به، ومبادئ الإسلام واضحة، وعلينا أن نحملها ونبلغها للناس كافة.

- بعد ظهور حركة الخميني في إيران أخذ بعض الكتاب القوميين

يقولون أن التوجه الإسلامى بصورة عامة فى الوطن العربى بغالبية السنّة هو توجه مدجن ومساير للحكم، واحياناً إلى درجة خطيرة كما حصل عندما اصدر الأزهر فتوى بتأييد كامب ديفيد. ويضيف هؤلاء الكتاب أن طبيعة السنّة ليست مقاتلة ولا ثورية وحتى انتم كتنظيم أخوانى فى سوريا لم تستخدموا العمل المسلح إلا فى وقت متأخر.

* هذا الكلام هو أقرب إلى الكلام الانشائى وليست فيه حتى جزئية صغيرة من المصادقية، وهو تكرار لما يلوكة الخمينى وجماعته المنحرفة. ولاحقيقة أولاً أننا حين نتحدث عن المسلمين والسنّة فإن الأمة كلها تنتسب إلى أهل السنّة وذلك بعد مخاض استمر فى الف سنة، وبعد تمحيصات فكرية وفقهية ودراسات عميقة. وأثر ذلك التقت مذاهب المسلمين فى نطاق السنّة والجماعة على أفكار محدد ورؤية واضحة. والمسلمون السنّة يشكلون ٩٥٪ على الأقل من المسلمين فى العالم. ونحن لسنا مدرسة جديدة وإنما مدرسة تابعة، وتنظيمنا يدين بالولاء والتبعية والافتناع إلى مدرسة حسن البنا وشخصيته، وهو العالم المجاهد والإمام بحق، والمجدد لمبادئ الإسلام ولرسالة الإسلام. وقد بدأ حسن البنا رسالته وهو فى العشرين من العمر واستشهد وهو فى الثانية والأربعين، وكل أموال الأرض لا تشغله ساعة فى الليل أو النهار لأنه كان مشغولاً بما هو أعظم، وبناء أمة عظيمة وتجديد تاريخ وضاء وتحرير شعوب من الاستبداد الخارجى والداخلى، ومن الفقر والمرض والتخلف، وحسن البنا قدم روحه وهو يتسم.

— لماذا إذن توجه تهمة الرجعية والعمالة لأمركا إلى الأخوان؟

* نحن فى واقعنا وحقيقتنا، وسرنا وعلتنا لا نتبع إلا الله جل جلاله، وليس لأمركا

أو الإتحاد السوفياتي أو الصين أو اليابان أو الهند أو الإنكليز. ولكن نقول أيضاً بصراحة أننا نحاور أهل الأرض جميعاً، ونحاور الأميركيين والروس، ونريد أن نسمع صوتنا للجميع، وأن نصغي إلى تجارب الآخرين. وفي حقيقة الأمر فإن تنظيمنا يتحدى أهل الأرض إذا كان للدول يمينها ويسارها صلة أو علاقة أو فضل أو تسهيلات ممنوحة للأخوان... وعلى العكس، فإن كل هذه المراجع صممت وسكتت على ذبح التيار الإسلامي وذبح عشرات الألوف من المنتسبين إليه في سوريا، فكيف تفسر ذلك؟

- صدرت كتب ودراسات في الغرب تقول أن وقف المد الشيوعي في العالم الإسلامي لا يمكن وقفه إلا بإقامة حزام من الدول ذات الحكومات الأصولية الإسلامية وهذا ما يفسر تأييد مراجع نافذة في أميركا للخميني وبعض التقدميين يقولون أن الإخوان طابور خامس في العالم العربي، وأن كل ما تدعونه من طهر وتأيد للقضايا العربية ما هو إلا محاولة لذر الرماد في العيون، وإنكم حين تصلون إلى السلطة ستقيمون نظاماً يكون أسوأ من نظام الخميني.

* الغاطس في السياسة أكثر من الظاهر، وهذا ما تستطيع أن تقوله الدراسات الأكاديمية في أميركا، والحقيقة هي عكس ذلك، فالحركات اليسارية في العالم العربي والإسلامي تجتذ التشجيع والتأييد والدعم لدى أميركا لتكون عامل هدم في بلادنا، وهذا ما كان يفعله الإنكليز، وهذه هي مدرستهم. ففي عدن صنع الإنكليز اليسار، وفي العراق صنعوا عبد الكريم قاسم. وهذه أصبحت الآن لعبة مكشوفة، وأميركا هي من أسوأ الدول في العالم بهذا الشأن. والمجتمع الأميركي ينقصه الكثير من الاصاله والعراقة والقيم، ولذلك تنشغل الولايات المتحدة دائماً بتقسيم المجتمعات وتمزيقها.. فإذا كان اليمين مسيطراً أيدت اليسار. وإذا كان

اليسار مسيطراً أيدت اليمين وغايتها الوحيدة هي تمزيق المجتمع من الداخل.

ونحن، منذ عام ١٩٨٠، وقبل اندلاع الحرب بين العراق وإيران، وقبل نشوب الخلافات العربية-الإيرانية، أعلننا منذ ذلك الحين أن التوجه الذي يمثله الخميني خطر على الإسلام والمسلمين. ولم نعد نلمح في الثورة الخمينية ظهيراً أو دعماً للإسلام بل نجد فيها ثورة على الإسلام والمسلمين.

- كيف تفسر إذن أن تلميذكم في الإخوان عدنان عقلة، تدخل نظام الخميني لارجاعه إلى سوريا حيث يعيش فيها الآن مرفهاً؟ وكيف تفسر أن عناصر مؤثرة من الإخوان في مصر وتونس والسودان تعاملت مع نظام الخميني؟ فهل يمارس الإخوان الباطنية القاتلة، يد مع الرحمن ويد مع الشيطان؟

* هذا كلام يدخل في خيانة الافتراء على الإخوان، وقد تجد فرداً أو خمسة أو عشرة تعاونوا مع الخميني، لكن لا يجوز أن تعمم الحكم على عشرين مليوناً من البشر.

- هل تعنى أن عدد الإخوان هو ٢٠ مليوناً؟

* أننى أتكلم عن شعوب عربية إسلامية. في مصر مئات الألوف من الإخوان، والانتخابات أظهرت قوة التيار الإسلامى فى الجامعة والنقابة والشارع. أقول لك بصراحة وأتحمل مسؤولية هذا الكلام: لا يوجد تنظيم واحد من الإخوان فى العالم يؤيد الخميني أو مقتنع به أو يدين له بالولاء، أو لا يشجب تصرفاته. والأخوان فى مصر هم أوضح الناس فى هذا الأمر. ربما كان هناك تقصير فى بعض القضايا، ولم يصدروا بيانات أو يحددوا مواقف فيها، أما أن يكونوا مع الخميني فلا...

فى تونس هناك شخص اسمه الحبيب المكنى اتهم بأنه باع كتباً وثارت ضجة حوله، مع أن هناك عشرات الخطب والتصريحات تشكل موسوعة ضد الخمينى. والمسلمون فى تونس سنيون ومالكيون، وليسوا مستعدين حتى للتحويل إلى المذهب الحنفى، فكيف ينتقلون إلى حركة لا تترك شيئاً إلا وتحيله إلى رميم؟ أقول لك هذا لأن أعرف، ونحن على صلة بالتنظيم الإخوانى فى تونس. وكذلك فإن ما يقال عن حسن الترابى فى السودان فإننى أشجبه وأكذبه. ولكننى أعترف بأنه تشكل تيار فى السودان مع الخمينى فى بادئ الأمر، وظلت له بقية صغيرة فى الجبهة الإسلامية وخارجها.

العمل المسلح

- لننتقل إلى موضوع آخر، قضية العمل المسلح فى الساحة السورية لقد انتقدنا فى البداية المعارضة التقدمية عندما لجأت إلى هذا الأسلوب... فمتى ومن وكيف قرر الإخوان حمل السلاح ضد السلطة فى سوريا؟

* حمل السلاح لم يتخذ بقرار، وإنما اضطرت الناس إلى حمله فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات. فمثلاً، ألقى القبض على مروان حديد ومات فى السجن عام ١٩٧٦، وهناك دلائل تشير إلى إنهم حقنوه فى رقبته وسمموه وقتلوه، إذ كان قبل وفاته بساعات فى حالة طبيعية. وبعد ذلك، عندما دخلوا عليه وهو يحتضر لاحظوا وخز الأبر فى رقبته. وكذلك أخونا حسن عصفور وهو من شبابنا فى حماه قتل فى السجن. وجرت عمليات تصفية كثيرة فى الشارع وهذا ما دفع الشباب للتسلح دفاعاً عن النفس.

- من أين حصلوا على السلاح؟

* أنت حموى وتسال هذا السؤال؟

– انا اسأل كصحافى وأريد جواباً.

* السلاح موجود فى الأسواق، وهناك عناصر فى لبنان تصدر السلاح للكرة الأرضية كلها، وهى تجارة رائجة أكثر من تجارة الفجل والبقدونس، وليست هناك حدود بين لبنان وسوريا.

– هل حصلتهم على مدافع هاون؟

* الآر. بى. جى موجودة بكثرة ولم نستخدم الهاون. وفى مناطق الريف والبادية فى سوريا من تقاليدها اقتناء البندقية والمسدس.

– إذن مقتل حديد وعصفور دفعكم إلى إقامة معسكرات التدريب فى الدول المجاور لسوريا؟

* كل هذا حدث فى وقت لاحق للصدام وبعد الاعدامات وبعد أن أعدم على المشانق من هم من زينة الشباب مثل الأطباء والمهندسين وبروح انتقامية.

– لكن عمليات الاغتيال التى نسبت إلى الأخوان لها وقع طائفى مكروه كأختيار أهداف من الطائفة العلوية حتى ولو كان هذا الهدف بواباً لبنانية حزب البعث، أو أستاذاً فى جامعة، أو ضابطاً فى مدرسة المدفعية.

* بعد ما اختلط الحابل بالنابل، وانتشر حمل السلاح بين الناس وشمل عناصر إسلامية من مختلف المشارب مثل الصوفيين والسلفيين والأخوان وتلاميذ المشايخ، كان لابد أن تحدث أخطاء، وكنا كقيادة نحذر منها.

– ما ذنب الصغار لاختيارهم كأهداف، لا الكبار مثلاً؟

* هذا يدل على أنه لا يوجد لدينا توجه نحو الاغتيالات، لكن الضغوط التي تعرض لها الشباب حملتهم على الرد والدفاع عن النفس. وفي شباط (فبراير) ١٩٧٩ شنت الحكومة السورية حملة ظالمة اتبعتها بحملة أوسع في نيسان (إبريل)، وألقت القبض على قيادات الصف الأول والصف الثاني، وبعدها صار كل شاب يتصرف من تلقاء نفسه وبدون ضوابط قيادية. وأقول الآن بصراحة أنه لم يصدر من القيادة أمر شفهي ولا خطي باغتيال أحد.

- هل يعنى هذا أن عناصر القواعد في الإخوان ليس لديها الوعي الكافى لإدراك أن قتل بواب بناية لا يؤثر على النظام؟

* يجب أن توجه إليهم هذا السؤال في الآخرة لأن أكثرهم استشهد (١) وكما تعلم فإن عدنان عقلة كان أكثر المندفعين في هذا التيار، وكان دائماً على خلاف مع القيادة التي حاولت أن تتغلب على الخلاف معه عندما خرج من سوريا، ولم تنجح مما أدى إلى فصله. وهذا يتضمن استنكاراً للأسلوب العشوائى الذى ابتعه.

- كم كان عدد المقاتلين من الإخوان الذين تدربوا في القواعد؟

* لا يوجد تنظيم يتكلم عن عدد المقاتلين.

- تقريباً؟

* لا تقريباً ولا تحديداً.

- أقصد عدة مئات أمر عدة آلاف، لنعرف مدى التأثير على النظام.

* سيعرف كل ذلك في ما بعد، والأمر يحتاج الآن إلى السرية.

- يقول البعض أن كل العمليات نفذها عدد محدود من الأفراد من

المتحمسين جداً بعد أن غسّلتهم أدمغتهم ودفعتهم بهم إلى الموت. وانتتم الآن بلا جناح عسكري وليس لكم نشاط حقيقى فى الداخل، وتعيشون فقط على "أمجاد الماضى" كما يقال.

* أغلب الظن أن الذين يتحدثون عنها بهذا الشكل لا يملكون لا ماضياً ولا حاضراً. ولا أريد استعجال الأحداث، والتجارب تعلم الإنسان الحنكة.

- هل تعنى إنكم ستصعدون ضرباتكم العسكرية فى الداخل كنوع من إثبات الوجود؟

* هذا سابق لأوانه، رغم أن تهديد النظام هو أمر مستمر لأن الحوار لا يجدى معه. أن ننظيمنا موجود.

- تعنى تنظيمكم العسكرية؟

* تنظيمنا فى الداخل لا فرق فيه بين عسكري وسياسى عندنا كل شاب وشيخ مقاتل.

- وحتى النساء من الأخوات المسلمات؟

* تنظيم الأخوات المسلمات قديم وعريق ومنتشر فى سوريا. والقتال فى الداخل من أوله إلى آخره كان دفاعياً وللضرورة. ولا استبعد ان تقاوم المرأة إذا حاولوا الاعتداء عليها، لكننا لم نزع النساء فى القتال.

- لم يكتب عن أحداث حماة حتى اليوم من منظور تاريخى وحيادى، فما مسؤولية الإخوان التاريخية فى التسبب بمجزرة حماة ١٩٨٢؟

* ثلاث جهات تتحمل مسؤولية المجزرة:

الجهة الأولى: هي الحكومة السورية التي كانت تقوم دائماً بعمليات استفزاز لجر الناس إلى هذه المجزرة بقرار سياسى أبلغ إلى الأجهزة الأمنية، فى منطقة تخضع للأحكام العرفية. وتم اختيار أفراد من عائلات محددة للتنكيل بهم ويكونوا عبرة لسواهم.

الجهة الثانية: هي عدنان عقله الذى تسلل إلى سوريا خلصة ونشر الوعود إلى الإخوان فى الداخل، وادعى أن لديه قوات كبيرة فى الخارج تستطيع حسم المعركة، قوامها مئات السيارات والوف الشبان، وأنه يستطيع فصل شمال سوريا عن جنوبها فى ساعات. وقد اكتشفنا كل ذلك فيما بعد، إذ أرسل شيفرة كان متفقاً عليها عبر إذاعتنا، فخدع الناس وورطهم.

والجهة الثالثة: هي قيادة الإخوان. ودعنى أفسر لك هذا الدور... فى مطلع كانون الثانى (يناير) ١٩٨١ شعرت القيادة بأن عدنان عقله يعد لقيام حركة ما. وقد جاء واجتمع مع القيادة والمخ إلى أن هناك حركة ستقوم فى حماه، وكان وقتها مفصلاً من الحركة وكان حسن هويدا هو المراقب العام للإخوان وكنت أنا نائبه.

وفى ضوء ما قاله عدنان عقله، عقدت القيادة جلسة فى ١٩٨١/١٢/١٤ فى عمان واستمرت حتى ساعة متأخرة من الليل. وتقرر اصدار قرار وابلأغه إلى قواعدنا فى الداخل بعدم التحرك لئلا يجرهم النظام إلى معركة خاسرة، وأن العناصر التى كشفها النظام عليها الانسحاب غرباً أو شرقاً أو جنوباً، وحذرنا من كارثة محتملة. وأرسلنا مندوباً خاصاً حاملاً هذه الرسالة. ولكن هذا المندوب لم يوصل الرسالة إلى صاحبها لأنه لم يكن لديه الوقت الكافى لتسليمها كما إدعى فى ما بعد.

وفى أيار (مايو) ١٩٨٢، أى بعد كارثة حماه بشهرين، اجتمع مجلس الشورى فى تنظيم الإخوان وناقش هذا الأمر مع المندوب الذى كلف بنقل الرسالة، وقال أنه لم يسلمها بسبب ضيق الوقت مع أنها سلمت إليه فى ٨٢/١/٢٤، وقال أنه استلمها فى ٢٧ منه.

وقلنا له إن بين هذا التاريخ الذى يدعيه وهو ٨٢/١/٢٧، وتاريخ بدء المجزرة فى ٨٢/٢/٢ مدة أسبوع كامل، بينما قطع المسافة لا يحتاج إلى أكثر من أربع ساعات، أو ٨ ساعات فى حالة الاسترخاء. ووقعت مشادة وانفضح موقف هذا الشخص أمام مجلس الشورى وقد حجب هذه الرسالة أما لغرض فى نفسه وأما لخبثه. وقد ظن الشباب أن كلمة السر التى بُثت من الإذاعة هى بمثابة أمر من قيادة الجماعة لأن رسالة التحذير لم تصلهم. وهكذا وقعت المأساة. والمندوب الذى لم يسلم الرسالة لا يزال على قيد الحياة.

– ما هى الدوافع الحقيقية لدى عدنان عقله ولدى هذا المندوب للتصرف على تلك الصورة؟

* تصرفات عدنان عقله كلها يتحكم فيها الطيش والاندفاع والتهور. أما المندوب فإننى لا اتهمه بسوء النية، ولكن تصرفاته الإدارية كانت استبدادية، ولعله لم يسلم الرسالة لأنه لا يريد أن يملأ عليه أحد رأياً، ولم يكن يتوقع حدوث الكارثة بسبب عدم تسليمه الرسالة.

– متى فصل عدنان عقله من تنظيم الإخوان ولماذا؟

* عقله غير منضبط، وفصل قبل هذه الفترة، وقد أمضى حوالى ستة أشهر معنا فى عام ١٩٨١ ثم فصل لعدم انضباطه. وكان يرفض تنفيذ القرارات، وهو مصاب بالغرور ويظن نفسه أنه يقود العالم.

– ”أبو بكر“ القائد العسكرى للإخوان فى حمّاه لم يكن يعرف أن عقله مفصول.

* لقد خدعه عقله وخدع الجميع وأوهمهم بأنها أوامر القيادة.

– فى الأسبوع الأول من أحداث حمّاه إدعى أحد قادة الإخوان أنه

تمت السيطرة على السد وعلى مطار حماه العسكرى مع أن ذلك لم يكن صحيحاً.

* كانت المخابرات السورية وراء هذا التضليل لتبرير البطش الذى مارسته الدولة، والذى ضللنا هو عبد الحميد الزعيم، وارجو إلا تنشر اسمه.

- بل سأشره...

* (متابعا) كان عبد الحميد يتلقى أخباراً من الداخل ويقول أن ضابطاً سورياً كانوا يرسلونها له بالشفرة، تبين فى ما بعد أنه على صلة بالمخابرات العسكرية السورية.

- لماذا لم تنسحب قواتكم من حماه لتجنب المجزرة؟

* لقد طوقت حماه بثلاثة اطواق ولم يكن هناك أى منفذ. وكان قد تم سحب القوات السورية من الشمال والجنوب وطرابلس لتطويق المدينة، وتم استخدام راجمات صواريخ وطائرات هليكوبتر وسلاح المدرعات على نطاق واسع. والاحياء التى تتمكن القوات السورية من اقتحامها لبسالة المقاومة عنها، هدمتها على رؤوس اصحابها. ولم يكن الأخوان وحدهم فى المعركة بل كل أهالى حماه؟

- كم قتل من الأخوان فى حماه؟

* قتل عدة مئات من الأخوان، وعشرات الألوف من أبناء المدينة. وأقيمت معتقلات جماعية فى مصنع البورسلان على طريق حمص الذى يبعد ١٠ كيلو مترات عن حماه، وكذلك فى خان الشعبة وفى المدرسة الصناعية. لقد القوا القبض على الجميع، ولم يعرفوا بالتحديد المقاتل من غير المقاتل، واطلق سراح اعداد كبيرة بقيت مستورة وتمكنت من الانسحاب. وبعض الأشخاص اختفوا داخل بيوتهم

ولم يُعثر عليهم في حملات التفتيش وهؤلاء تسللوا خارجاً بعد انفراج الأزمة وانسحاب الجيش.

- هل قتل العديد من الحزب الحاكم وأقرباء المسؤولين الحزبيين؟
* هذا حدث يقيناً.

- لماذا لم تأمروا الأخوان في بقية المحافظات بتخفيف الضغط عن حماه؟
* لم يكن ذلك ممكناً لأن طرق الاتصال كانت ضعيفة، وضُرب نطاق على الحدود وكانت الناس تُقتل لمجرد الاشتباه.

- ألم تكن لديكم خطط طوارئ؟ والإذاعة التي لديكم ما كان دورها؟

* الوضع كان صعباً، ونحن لسنا جيشاً أو حكومة بل جماعة من المطاردين.

- لماذا لا تهب المحافظات الأخرى عندما تحدث انتفاضة في حماه ضد النظام؟

* سنة ١٩٦٤ انتفضت حماه وتجاوبت معها دمشق، وحصل ما حصل في المسجد الأموي، وهو مشابه لما حصل في جامع السلطان في حماه، ومسجد خالد بن الوليد في حمص. والحركة في حماه كانت عفوية وغير منظمة أو متصلة بغيرها. وكان هناك تعميم على الأحداث ولو أنها استمرت شهراً.

- ولكن بعد أن عرف كل شيء لماذا لم يستنكر أحد في المحافظات الأخرى؟ هل لأن الماركنتيلية لها جذور قاتلة في أوساط الشعب؟

* ماذا تقصد بالمركنتيلية؟

- أى الروح التجارية الانتهازية...

* لست مقتنعاً بهذا الكلام. عندما تحركت الناس فى حى من أحياء حلب، انزلوا الناس من بيوتهم وهم بملابس النوم وقتلوهم فى الشارع. وعندما تحركت البلدة الصغيرة التى اسمها الجسر جاؤوا حتى بأشخاص كانوا فى القيادة القطرية واقاموا محكمة مدنية وأعدموهم. وهكذا حصل أيضاً فى جبل الزاوية. والناس عزل، ولا شئ فى العالم يضاهى حقد هذه الحكومة، وقد ارتعبت الناس لرؤية الجثث فى الشوارع تنهشها الكلاب. فى حمص حصلت مجزرة من أجل الاحتفال بعيد المولد النبوى، وكذلك فى اللاذقية وبانياس.

التغيير يقترب

- إذن، لا أمل فى قيام انتفاضة سورية واحدة؟

* لكل أجل كتاب. الضفة الغربية انتفضت بعد مضى ٢٠ سنة على الاحتلال. ولكل ظالم نهاية. ولدينا مؤشرات تقول أن التغيير قد اقترب كثيراً. والحياة الآن فى سوريا لا تطاق وتقترب من حافة الانفجار.

- بعض رجال المعارضة السورية يقول أن الأخوان قدموا خدمة رائعة للنظام السورى. فلماذا لا تعترف بأن مسؤولية الدماء فى حماة تقع فى رقبتهكم؟

* أنت الآن تتحول من صحافى إلى قاض، وتصدر أحكاماً ينقصها الدليل، وتتجاوز حدودك. وهذا الكلام لم أسمع به ولم أجده الرجل الشجاع الذى يقوله. وكان البيت الواحد. يفتش ١١ مرة، والعجوز يضرب بالبسطار (حذاء الجندى)، وكانت القوات السورية تدك بنايات بكاملها إذا قيل أن فيها رجلاً واحداً معارضاً، وهذا هو

الاسلوب الإسرائيلي. والبعض فى المعارضة السورية لا ينتظر سوى اشارة من النظام حتى يتهاوى على أقدامه...

- يقول حمود الشوفى إنكم جررتم إلى لعبة النظام فى حمالة.

* كلام حمود الشوفى فيه الكثير من الصحة لأنه كان متابعاً للأحداث، وفيه الكثير من الموضوعية أيضاً. والنظام لم يفرق بين مسلم ومسيحي من أهل المدينة ولا بين جامع وكنيسة.

- أحداث حمالة هل عززت ولاء الطائفة العلوية للنظام؟

* هذه اللعبة قديمة، ومورست حتى داخل الحزب الحاكم. وقد أصبحت مكشوفة الآن، ولا بد أن يدرك أخواننا العلويون خطورة هذه اللعبة.

- هل ستعيدون النظر بأسلوب الكفاح المسلح بعدما جرى فى حمالة؟

* الكفاح المسلح للدفاع عن النفس والوطن تحلله شرائع السماء والأرض. وإذا كانت هنالك مجموعات تعبت من الكفاح المسلح وأعادت النظر فى مواقفها، فإننا كتنظيم نأخذ بكل الأساليب المشروعة بما فيها الكفاح المسلح إلى جانب الوسائل السياسية والفكرية والجماعية وغيرها.

- كيف تفهمون الكفاح المسلح؟ اغتيالات؟ عمليات عسكرية؟ كيف؟

* لست عسكرياً لأشرح أسلوب عملياتنا الكفاحية، والكفاح المسلح هو الذى تدل عليه هذه التسمية بمعناها المتداول.

- ولكن لم نسمع "بأعمالكم العسكرية الضخمة" بعد مجزرة حماة...

* فى عام ١٩٨٣ أخذ النظام يصرح من وقوع أحداث اتهم بها الأخوان، وفى عام ١٩٨٥ أثرت هذه الأحداث على سير العمل فى الدولة.

- إذن لا يمكنك أن تحدد نموذجاً لعملكم المسلح؟

* ما هكذا يكون الحوار، وأنت تشوش أفكارى. ولا كفاح المسلح ليس هو عملنا الوحيد، وهو ترتفع وتآثره وتنخفض، ويشتد ويضعف ويتوقف ويستأنف، والثورات هى هكذا، فى أميركا اللاتينية والبلاد العربية والإسلامية والأفريقية، كالثورة الليبيرية والثورة الفلسطينية.

- هل يعنى هذا إنكم اليوم فى مرحلة هبوط سياسى وعسكرى؟

* فسرك الكلام كما تشاء. أنا أوردت عشرة نقاط وأنت اخترت التوقف عند نقطة واحدة منها. وهناك تقارب بين دول المنطقة ويتم الاتفاق على محاصرة النشاطات من الشمال والجنوب والشرق والغرب، وأنت تعرف الصفقات السياسية التى تعقد ضدنا...

- تعترف بأن الطريق مسدود أمامكم فى بعض الدول التى تحالفت معكم؟

* نعم، ولكن تلك الدول التى لم تكن متحالفة معنا، ولكننا نحن استطعنا التحرك فى ظل ظروف معينة، والآن نحن محاصرون، ولذلك نفتش عن جبهات أخرى. وليس معنى هذا أننا نحولنا إلى عملاء وبيادق وفقدنا قرارنا السياسى.

- اجتمعت مع بعض الأخوان فى دولة عربية يُقدر عدد الأخوان فيها

بخمسة الاف وقالوا لى إنكم فقدتم حرية الحركة وهم فى حالة تدمير شديد... فكيف تواجهون الأفكار السائدة بين الأخوان اليوم؟

* قد يكون هذا الكلام قد صدر عن بعض الأخوان غير المسؤولين، أو ممن ضغطت عليهم الظروف.

- من اين تحصلوا على الموارد للاهتمام بالوف المشردين؟

* كلمة الوف مبالغ فيها.

- مئات إذن؟

* (متابعاً) ثم أن الناس تعمل وتشتغل، ودائرة الدعم محدودة، والذين هربوا فى شباط (فبراير) بدأوا يعملون فى آذار (مارس)...

- هل تجد فى حوادث تفجير الباصات "كفاحاً مسلحاً"؟

* فى الداخل هم يحددون الأهداف، وهذه الباصات تحمل عسكريين ورجال مخابرات، وهى منفصلة عن النقل المدنى، ولذلك قرروا ضربها، رغم أن رجال النظام حصلوا على «اعترافات» اجبارية بأن رجالاً من القيادة كلفوهم بالمهمة، وهذا افتراء.

- ما ذنب جندى يخدم فى الجيش وقد ينقل إلى الجبهة للقتال ضد إسرائيل؟

* وما ذنب المدينة حتى يؤتى بهؤلاء الجنود بذبحها. وعلى كل حال أنا أجهل التفاصيل.

— إلا تعتقد أن تصرفاتكم هذه تجعل من المواطن السوري حتى المعارض للنظام يخاف، لأنها تصرفات لا تميز بين المجرم والبري؟
* أنك تبنى أحكاماً على مجرد أقوال يقال...

العمليات المسلحة وصلت إلى ٣٠٠ كلم
عن دمشق لسنا عملاء وبيادق ونحن الآن محاصرون

— ألم يحدث انفجار في ساحة عامة؟
* لا، وإنما حدث على رؤوس الجبال، وكان بعضها في بعد ٧٠ كيلو متراً عن دمشق، وبعضها على بعد ١٥٠ كلم، وبعضها على بعد ٣٠٠ كلم ووصل إلى صافيتا.

— وتفجير الأزيكية؟
* هذا سقط فيه ابرياء (مستدركا) ولا علاقة للأخوان له.

— من قام به إذن؟
* يقال أن القائم بهذا العمل قتل في الحادث وأن الانفجار حدث قبل أوانه. في ما يتعلق بالأخوان فإن توجيهات القيادة واضحة، ولا يجوز ضرب البري أو المواطن لمجرب انتمائه الديني أو المذهبي، والكفاح المسلح يستهدف أداة الإجرام والمجرمين

الذين يستخدمهم النظام للقتل والاعتداء على الحرمات، وكل ما يقع خارج هذه التوجيهات خطأ.

- ومن يحاسب عليه؟

* من يستطيع أن يحاسب فليحاسب! ونحن كقيادة لم نرتكب خطأ، ولا توجد كلمة واحدة تأمرنا بقتل برئ.

- هل لديكم جهاز لمحاسبة المخطئين؟

* عندما تكون القيادة داخل سوريا تستطيع أن تحاكم وأن تدقق وتوقع العقوبة.

- فى المحصلة النهائية إلا تعتقد أن استمرار الكفاح المسلح الذى يسميه الغرب أرهاباً، من شأنه تقوية النظام وتنفير الناس من الأخوان المسلمين؟

* اليس الغرب هو من اتهم النظام بالأرهاب بشهادة أميركا وبريطانيا والمانيا الغربية وإيطاليا وفرنسا؟ إلا يعلم العالم أن النظام يضيق بمراسل رويتر فى بيروت ويعتدى عليه بالضرب، ويقول السفير الفرنسى كلمة فيقتل، ويكتب صحافى فى مقالا فيعدم؟ هل نلوم النظام إذن أم نلوم الناس لوقوع بعض الأخطاء عند الدفاع عن النفس؟ أننى لا أبرر الخطأ، فى ظرف اختلط فيه الحابل بالنابل. والنظام هو الذى بادر إلى ضرب ٥٠ ألفاً بدلاً من خمسة اشخاص، وهو الذى اباد مدينة بدلاً من أن يؤدب تنظيمًا. وهذا وحده كاف ليعرف العالم أن النظام أرهابى وتسيطر عليه المافيا، وأن هناك عصابات حاكمة وحكم دكتاتورى ابشع من حكم هتلر وموسولنى.

- لماذا لم ينضراى فصيل فى المعارضة السورية إلى فكرتكم فى

الكفاح المسلح؟

* نظرياً كلهم موافقون، ولكن كلهم عاجز عن القيام بشئ.

- حتى جماعة أبو غدة؟

* هم أولى بالسؤال، وهم في بياناتهم يقولون «نعم»، وفي اساطعتك أن تسألهم عن تفصيل ذلك.

- لماذا تطلب انشاء " التحالف الوطنى لتحرير سوريا" ثمناً باهظاً كتدمير حماة حتى يتمر الاتفاق عليه؟

* هذا الربط غير وارد من قريب أو من بعيد. لقد استمرت المفاوضات حول التحالف قرابة السنتين وانتهت في موعد صادف وقوعه بعد أحداث حماة بعشرة أيام.

- كيف بررتم لقواعدكم في الأخوان الدخول في تحالف مع من تسمونهم في ادبياتكم بـ "الإلحاديين"؟

* كل الأحزاب في سوريا قالت في بعضها بعضاً ما لم يقله مالك في الخمر، من القوميين السوريين إلى الشيوعيين إلى الشعبين إلى الأخوان والوطنى والبعث والاشتراكى. وشهادة كل حزب بالآخر موسوعة من الاتهامات لها أول وليس لها آخر. ومع مرور الأيام يستكمل المواطن وعيه، والأحزاب نضجها ورشدها وتتسع نظرتها إلى الأمور. وجاءت أحداث حماة لتعمق هذا الوعي لدى الجميع. لقد رأوا وطناً يحترق وأمة تمزق، فادركوا بالتجربة والفطرة بأنه لا بد من الإتحاد لانقاذ الوطن.

— لماذا انتظرتم ١٢ سنة للاتفاق علي انشاء التحالف؟

* الأسد مثل كثيرين غيره من الحكام خدع الناس أول الأمر وادعى بأنه سيأتي بالانفراج ويطلق الحريات ويرفع يد الأجهزة والأحكام العرفية. واستبشرت الناس عندما تحقق شيء من الانفراج النسبي في المجال الاقتصادي. التجار والبرجوازيون لهم تأثير في المجتمع، وكانوا مرتاحين لسياسات النظام، وخصوصاً عامي ١٩٧١ و ١٩٧٢، حتى تخدر الجميع، ثم كشف النظام قناعته في الجولان ودمشق وحمص وحماء... واتسعت الدائرة حتى شملت كل التيارات الشعبية، وبذلك نشأ التحالف نتيجة حاجة واقتناع.

التأسيس والميثاق:

— ماذا حقق التحالف منذ انشائه عام ١٩٨٢ وإلى اليوم؟

* حقق انجازين هامين: التأسيس والميثاق. ميلاده كان حدثاً سياسياً ليس على مستوى سوريا وحدها، ولكن على مستوى الوطن العربي بأسره. وأظهر أنه بالامكان أن تجتمع التناقضات والأحزاب المتباينة أو المتعارضة على أهداف مشتركة. من قبل كانوا يضيقون بمثل هذا التفكير أو هذه الصيغة، وكان كل اتجاه يحاول أن يفرض نفسه على الآخرين. ومن هنا كان الصراع في الكثير من جوانبه غير واع. أما الميثاق فقد طمأن اصحاب التيارات الاساسية... والبلاد العربية كما هو معروف متأثر بتيارين: الإسلام، والانتماء القومي. وجاء الميثاق ببند مختصرة وواضحة يطمئن كلا التيارين. من ناحية الإسلام نص بوضوح وصراحة على أن الإسلام دين الدولة والشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي للتشريع، وعلى اقامة اوثق العلاقات مع الشعوب الإسلامية. وهذا يدل على تطور عند اصحاب النظرة القومية، وأخرجهم من نظرة سابقة كانت تقول بأن مثل هذه

الصلوات ربما تقربنا من الشعوبية. وقد وجدوا أخيراً أن العلاقات الوثيقة مع العالم الإسلامي هي خدمة للشعب العربي وليس طمساً لهويته. وما يرمى إليه أصحاب التيار القومي هو وحدة الأمة. وهذا أمر تلتقى عنده كل تيارات الأمة. وقد نص الميثاق على وحدة الأمة العربية نصاً ورد في المقابلة التي أجرتها مجلة الوطن العربي في عددها ٦٣ - ٥٨٩ المؤرخه في ٨٨/٥/٢٧ كلام يمس فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غده والدكتور حسن هويدا ويعتبرونه كلام مخلوط وعار عن الصحة تقف وراءه جهادات تود تمزيق صفوف الأخوان والمعارضين بسوء نية وبحسن نية؛ ولذا جئت بهذا التوضيح مؤكداً إنني أحمل في نفسي كل التقدير والتوقير لهؤلاء الأخوة ولا سيما فضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غده حفظه الله ولهذا إقتضى التنويه.

* إن المقابلة مع عدنان سعد الدين - مثل كل المقابلات - مسجلة على أشرطة وبصوته وحرصاً منا على الشيخ أبو غدة تحديداً لم ننشر كل ما ذكره السيد سعد الدين. لذلك نرفض عبارته في التوضيح القائلة أن ما جاء في المقابلة «كلام مخلوط وعار عن الصحة» ونرجو ألا يضطرنا إلى نشر حرفيه كلامه. صريحاً لا غموض فيه ولا لبس.

وهناك نقطة ثالثة يُعبر عنها بعبارات متابينة تتعلق بتحقيق العدل لأفراد الشعب، وتوصف بالاشتراكية عند هذا الفريق، والعدالة الاجتماعية عند ذاك الفريق. وقد تضمن الميثاق نصوصاً غير مستفزة مثل تأمين الكفاية والعدل ومتطلبات الحياة لكل مواطن في معيشتة وغير ذلك. وهكذا التقت التيارات الرئيسية على المعاني الرئيسية المشتركة.

- هل كان القصد الاختباء وراء هذه العبارات المبهمة؟

* التيار الإسلامي بمعناه الواسع يملك رؤية واضحة ربما هي اسبق من أصحاب النظرة الاشتراكية في تحقيق العدل للإنسان أياً كان مذهبه أو أنتماءؤه، من متطلبات تتعلق بمعيشتة أو حرية، وهذا ظاهر بوضوح في أفكار حسن البناء وتنظيم

الأخوان المسلمين في مصر.

- لماذا إذن يقول عنكم بعض التقدميين أن وصولكم إلى الحكم سيكون كارثة عليكم وعلى الآخرين؟ وإن نظرياتكم سطحية؟

* هناك ثلاث نقاط في هذا العجب العجيب الذي تقوله الآن. النقطة الأولى في كلامة هي كمن يقول: أن من لم يحكم لا يُصدق! وهذا يعنى أن الذي يحكم واحداً بالمليون أو واحداً بالالف علينا أن نصدقه، ونكذب الـ ٩٩ بالمائة من الناس الذين لم يحكموا. والنقطة الثانية في كلامك أنك تنسب الاقول إلى مجهل مثل: «يقولون» وغير ذلك. والنقطة الثالثة أن فكر حسن البنا سطحي. ولو قرأت كثيراً لخصوم حسن البنا لأدركت كم يقدرونه ويوقرونه، ويقولون أنه أعطى هو وتلاميذه من بعده مثل سيد قطب، الناحية الاجتماعية بعداً عميقاً يتجاوز به طروحات الكثيرين.

- ولكنها لم تطبق؟

* نهى الدين وصلوا وطبقوا من اصحاب المذاهب الاشتراكية. والناس في سوريا وخارجها خبرت فحواها ومضمونها وجدواها «وبركتها» التي عمت الجميع.

- إذن كيف تتحالفون مع من تتباعدون في الأفكار معهم؟

* وأنت يا صحافي لماذا تكره وحدة شعبنا وتتفاءل بتمزيقه. كنت استغرب هذا الموقف من الصحافيين الأجانب أما الآن، أن يقول هذا صحافي عربي سوري مسلم؟...

- أننا نتكلم عن الواقع، فماذا قدمتم في التحالف؟

* هل التحالف وحده لم يستطع أن يقدم شيئاً أم أن الأحزاب الأخرى وحتى الدول

لم تستطع أيضاً؟ أن هذا النظام يعيش بدعم مكشوف من أميركا والصهيونية، وهما يدغدغانه أحياناً كالولد الشقي لكنه دائماً في الاحضان. والعديد من الدول العربية تنظر إلى هذا النظام بشك لكنها تتعامل معه كما يتعامل المرء مع المافيا لتفادي اسفافها وجرائمها. ويكفي التحالف الوطني تقديم صورة تآلف قوى بين تيارات كانت متنافرة، ثم التقت على أهداف مشتركة على أن يحتفظ كل تيار بمعتقداته وأديباته وأفكاره ومبادئه.

- إذن لماذا لا تقاثلون أميركا والصهيونية فيسقط النظام من تلقائه؟!

* عجيب هذا المنطق الذي تتحدث به... أنك كمن يقول للشعب الفلسطيني لا تقذف بالحجارة على إسرائيل وإنما على أميركا.

- لماذا تحاربون الذنب وتضربون الرأس؟

* عندما نمسك بالذنب نقطع الذنب.

- ولكن ذنب الافعى ينمو من جديد...

* نقطعه قليلاً قليلاً، وعند حد معين تموت الافعى إذا قطع.

- هل محاولتكم ركوب موجة "التحالف" وسيلة لأنقاذ الأخوان بعد افلاسهم جماهيرياً، وانطلاق الملقى القومى العربى؟ وبعد أن لامكم الشعب السورى على مواقفكم؟

* نتحدث عن الشعب السورى وكأنك تملك توكيلاً عنه. كيف عرفت أن الشعب السورى لا منا؟ هلى اجريت استفتاء؟!

- التفتيت بكثير من السوريين الذين يلومونكم.

* أنا لا أقول أن الشعب السوري كله يمدحنا ولكن من الخطأ القول أن الشعب السوري لامنا.

- أنت بنفسك اعترفت بوجود أخطاء كبيرة وبعدم الانضباط وعدم الانتظام الإداري...

* أخى، الانضباط صعب مع حكم عصابات المافيا. وأنت، عندما تتصل الدولة من جرائمها، فإنك تلقى بالمسؤولية على الشعب.

- هل تقول أن الشعب لم يوجه اللوم إليكم كتنظيم؟

* الشعب فيه من يلوم ومن يؤيد ومن يستنكر كما يحدث وقوع أى أمر كبير. ونحن التنظيم الوحيد الذى ضحى بأبناء لم يطلبوا أمانة ولا وزارة، بعد أن خضع وركع الآخرون.

- ماذا تقول قواعدكم فى سوريا؟

* المصيبة ليست خاصة بالأخوان وحدهم وتشمل الشعب والأحزاب التى معنا والتى ضدنا. والشيعيون الذين عارضوا النظام يموت أناس منهم تحت التعذيب. والحركات السياسية لا تكتمل فجأة. باباندرىو امضى ١٦ سنة فى فرنسا. وأنت تمسك بميزان الحرارة وتريد أن يحدث كل شئ فجأة. الشعب السوري كله الآن فى حالة ركود، والشوعيون الذين شاركوا فى الحكم قتل العشرات منهم تحت التعذيب.

- أنت آخر من يحق لك التكلم عن الشيوعيين الذين تصفهم بالالحاد...

* هناك شيوعيون مؤمنون، ولا يحق لى أن اتهم كل شيوعى بأنه ملحد. هناك

شيوعى ملحد، وهناك شيوعى توقف عند الجانب الاقتصادى فقط... وأقول لك أن الخط البيانى لشعبية الأخوان كان فى صعود وهبوط بعد أحداث حماه مرات عديدة. وقبلها كانت غالبية الشعب مع الأخوان، وحدثت صدمة بعد أحداث حماه. وبعد مضى ست سنوات على ذلك أدركت الناس الحقيقة، ومدى ظلم النظام وتجويعه الناس، وتفهمت موقف أحزاب المعارضة والصدام المسلح مع النظام.

- هل تعتقد أن الشعب العربى سينجر وراء التيارات الدينية بعد ما حدث فى إيران؟ وهل ستعود سوريا إلى الوراء لتسليم الأمور إليكم؟

* لا أعرف من يتعد عن الواقع، ولكنى سأجيبك. اغمض عينيك وتذكر أى انتخابات اتيح فيها قدر من الحرية، وسترى أن التيار الإسلامى هو الذى يتمتع بثقة الشعب دون سواه... فى السودان ومصر واليمن والجامعات العربية فى الكويت وسوريا وغيرها.

- كلامك غير دقيق... اعط بعض الأرقام.

* إذا كان لدينا خمسة مقاعد فى السودان فأنها ستصبح خمسين مقعداً. للخط البيانى يرتفع. وكان عدد نوابنا فى البرلمان عشرة فاصبحوا ستين، رغم وجود قوانين الانتخاب التى تعرفها. أن الحزب الإسلامى حرم من الحرية ربع قرن، واتيحت له الفرصة منذ سنتين فحصل على عشرة نواب ثم ازداد العدد مرة أخرى بنسبة ٤٠ بالمائة.

- لعل المثل السودانى ليس الأمثل... حين الترابى ممثل الأخوان هناك كان حليفاً لجعفر النميرى.

* ما أريد قوله هو أن الخط البياني للأخوان في صعود، ولم يشتركوا في معركة سياسية بحرية إلا وحازوا ثقة الشعب في أي بلد. اكتسح الإخوان الانتخابات الجامعية وهزموا سبعة أحزاب مجتمعة في السودان.

- تعنى أن المد السلفى ينتشر والمد القومى العربى يتراجع؟

* لماذا تضع الأمر فى هذا الإطار وتحرص على أن يكونا تيارينا متعارضين؟

- لأن لكم تاريخكم الأسود فى مقاومة القومية العربية.

* لا أريد الدخول فى هذا اللفظ. هذا يثير الفتن. وأنت تستفزنى لذلك لا أجيب.

- هل الإخوان قوميون عرب؟

* حسن البنا قال فى المؤتمر الخامس أنه إذا اراد المسلمون أن يكونوا مسلمين حقاً فعليهم أن يبدأوا بالوحدة العربية. هذا الكلام قيل فى الثلاثينيات، وقبل ولادة بعض الذين يتحدثون بالقومية العربية الآن، والذين يدافعون عنها أمام «تاريخنا الأسود».

- كيف تفسر إذن أن اتباع البنا حاولوا اغتيال عبد الناصر فى عز المد القومى لإنشاء دولة الوحدة؟... فهل خان الإخوان وصية البنا؟

* عندما وقعت محاولة اغتيال عبد الناصر لم يكن يتحدث آنذاك عن الوحدة العربية، بل كان يتكلم عن (مقلداً عبد الناصر...) : تاريخنا وحضارة الخمسة الاف سنة». (متابعاً) نحن أعرف بعبد الناصر. أقرأ التاريخ حول الصراع على المعاهدة التى وقعها عبد الناصر مع بريطانيا، وكيف كانت نظرة الإخوان لها بالمقارنة مع نظرة الأحزاب الأخرى. لقد زج بالأخوان فى السجون ثم أخرجهم، وكان هناك صراع داخلى بين الطرفين، وأنت حولته إلى قضية قومية عربية... لقد حملنا

وحدة امتنا قبل عبد الناصر وبعده، ونعتبره جزء من عقيدتنا.

ابتعدنا عن "التحالف" حتى لا تنجر أزمة مع أبو غدة؛

- كيف تتفقون مع الأحزاب البعيدة عنكم في جبهة "التحالف"، ولا تتفقون مع جماعة الإخوان بقيادة أبو غدة؟ ولماذا لم تتخلفوا عن اجتماعات التحالف إلا عندما حضر أبو غدة ممثلاً للإخوان؟

* عبد الفتاح أبو غدة لم يقبل من جديد. أن التحالف الوطني لتحرير سوريا يجب أن يعد النظر في تركيسته وبنائه. والتحالف يبحث عن أسباب ضعفه منذ أربع سنوات. حزب أبو غدة موجود في التحالف، لكن بيننا بينه أزمة ولا نريد أن يكون وجودنا في التحالف سبباً لتفجيرها. ولهذا قررنا الابتعاد حتى لا يحدث احتكاك يؤدي إلى تفجير أزمة. ونحن نريد معالجة الأمور بهدوء.

- ماذا يضيركم أن تمثلوا الإخوان في الشق السياسي - العسكري، وأبو غدة يمثل الشق المشيخي، في التحالف؟

* بيننا أزمة معلنة ومكشوفة، ولا نستطيع التغلب عليها بوضعها في وعاء أو في حلبة مشتركة. لذلك ابتعدنا عن الدورة الثامنة للتحالف تلافياً لتفجير هيئتها.

- إذا كنتم ترفضون التعددية داخل الإخوان فكيف تقبلون بها في الإطار السوري الأكبر؟

* نقول أزمة فتقول أنت تعددية. إذا وقعت مشكلة بين زوجين فهل معنى ذلك أن نرفض فكرة الزواج نفسها؟ إذا حصل خلاف داخل الحزب العمالي البريطاني فهل تتهمه برفض التعددية؟

- أنتم لم تسمحوا للتحالف بأن يضر إلا تباراً دينياً واحداً هو أنتم.
- * هذا موضوع آخر...
- بل هو الموضوع الأساسي.
- * ليس الموضوع الأساسي قضية الاتجاه وخلافه، بل هي قضية أزمة عمرها سنتان واصبحت مستحكمة وجوانبا متعددة.
- هل يعنى هذا انكم لن تشتركوا فى التحالف إلا إذا خرجت مجموعة أبو غدة؟
- * مشاركتنا لن تتم إلا بعد تجاوز الأزمة معهم، داخل التحالف أو خارجه.
- متى؟ فى أشهر أم فى عقود؟
- * أشهر أو عقود لا فرق، واصحاب الأمة اقدر على تقديرها تقويمها.
- إلا تعتقد أن المصلحة النهائية للانشقاقات داخل الأحزاب سببها الفردية القاتلة والتنافس على الرئاسة؟
- * ليس دائماً. اقرأ تاريخ الحزب الشيوعى، أو حتى تاريخ الإخوان فى مصر. قد يكون الفرد من اسباب المشكلة، ولكن هناك توجهات وأفكار ومبادئ، والسلم والحرب، والسرية والعلانية الخ...

الفصل السادس

التفاوض مع النظام

الفصل السادس

التفاوض مع النظام

- هل التفاوض مع النظام السوري هي إحدى العوامل لتفجير حركة
الاخوان في سوريا؟

* هذا يمثل جانباً كبيراً من القضية.

- في التحالف من أكد لي أن محاضر الجلسات تشير إلى أنك كنت
موافقاً على المفاوضات مع النظام؟

* هذا الأفك غير صحيح. من اللحظات الأولى كان لي موقف معن من
المفاوضات، وادى إلى كثير من الأزمات، وياتى واحد جاهل أو بعيد عن تنظيمنا
ويقول لك هذا الكلام. وهذا الشخص الذ أعرفه قال لي مرة: أن المشكلة بين
الأخوان ليست بسبب التفاوض بدليل أن الجماعة فاوضت عندما كانت كلا
واحدًا...

وقد أجبتة: هذا كلام صحيح، واتخذ قرار التفاوض ووقفنا ضده وأدى إلى الأزمة
التي ترونها.

- دخول النظام فى المفاوضات مع الإخوان، هل هو علامة قوة أمر
ضعف؟

* فى عام ١٩٨٠ جاءنا عشرون رسولا من النظام لشعوره بضعفه وقوتنا. وضعنا
شرطاً هو إلا نبدأ التفاوض قبل قيام النظام بتراجعات والافراج عن السجناء، وفعلاً
افرج عن البعض. هذا الموضوع دخل فى منعطف أخر بعد أحداث حماه

١٩٨٢ . وشعر النظام بعقدة الذنب فاراد شهوداً من المدينة نفسها ليغسل يديه من الجريمة . وكان تحليلنا أن المفاوضات تعطى النظام شيئاً يفتقده لأنه وصل إلى طريق مسدود . وعندما غيرنا رأينا اراد غيرنا أن يجرب وقال أنه « يريد أن يسبر غور النظام » وهذا هو تعبيرهم . ثم عادوا وقال إن النظام يريد أن نعيش تحت سيطرته ، وقدموا بذلك تقريراً إلى مجلس الشورى . وقرر المجلس بالأجماع اقفال باب التفاوض . وكانت نظرتنا اسبق وحجتنا أوضح . وهكذا أنقسمنا . وأرينا أنهم مستمرين في هذه المفاوضات ، والاتصالات لم تتوقف .

— إذن ماذا حصل يومها؟

* عندما كان منير الغضبان هو المراقب العام للأخوان قال للتحالف في جلسة مجلسة : لقد اعلمتكم بالمفاوضات وأخذت رأيكم . فقال محمد الجراح : أنا كنت غائباً . وقال آخرون : نعم قلت لنا وبصورة إجمالية . قال الغضبان : بل قلت لكم ، هذه آخر فرصة ، فهاتوا ما عندكم من مطالب وآراء ، فاحضرتموها وسجلتموها وحملتها معي ...

وأنا حضرت فعلاً هذه الجلسة واستغربت . اذهب إلى التحالف واطلب المحضر الثاني الذى استأذن فيه الغضبان من التحالف للتفاوض مع النظام .

— هل طلب الغضبان الأذن بعد بدء المرحلة الأولى من المفاوضات؟

* لا ، قبل بدئها . يومها ذهب الغضبان إلى التحالف وقال : يا أخوان ، أن النظام أوفد لنا أخاً ... وكان هذا الكلام بحضور شبلى العيسى وأمين الحافظ . وجلبوا ورقة من الطابق الثانى فيها الطالب ومنها إلغاء الاحكام العرفية ، واجراء انتخابات عامة ، وحل البرلمان ، واعادة المسرحين العسكريين واستقالة الحكومة دون استقالة الأسد .

وعندما قال التحالف: لماذا تفاوضتم مع النظام؟ أجاب الغضبان: لقد استشرتكم في الأمر ووافقتم. واحضروا نص البيان الذي كتبه عبد الله خوجة هذه الشروط (أبو مصطفى). واضاف الغضبان: لقد اخذت هذه الشروط منكم... فسكتوا. وقال محمد الجراح: يجب أن اتحمل المسؤولية حتى ولو كنت غائباً لأنه كان من المفروض أن أسأل. وكان الجراح قد أنكر كل ذلك انكاراً تاماً.

— لماذا لم توجه الانتقادات الآن إلى التحالف؟

* التحالف تجمد منذ عام ١٩٨٣ واستفد اغراضه.

— وماذا عن الطائفة العلوية؟

* نحن لم ندخل في صراع عقائدي مع العلويين. وخلافاتنا معهم تعالج بالحوار والحسنى والدعوة الصادقة لله تعالى، وليس بالصراع والدماء... وجادلهم بالتى هى احسن. وكانت المدارس قبل هذا العهد تتبع منهجاً دينياً واحداً فيها جميعاً. وأنا درست التربية الإسلامية في مدينة مصياف للعلويين والإسماعيليين، ودرستها في مكان اخر للسنة، وكان المنهج واحداً لكل أبناء سوريا. وهذا يكفى لتحقيق وحدة في الفكر والاعتقاد بين أبناء البلد الواحد، بلا صراعات طائفية مدمرة لا يجنى ثمارها سوى أعداء العروبة والإسلام من الصهاينة والمستعمرين...

(وعند هذا الحد انتهى الحوار مع عدنان سعد الدين)

مقابلة ناقصة مع الشيخ عبد الفتاح أبو غدة:

بعد الحوار مع عدنان سعد الدين توجه وفد «الوطن العربى» تمام البرازى إلى الفريق الآخر من الأخوان المسلمين، وقام بزيارة المراقب العام الشيخ عبد الفتاح أبو غدة. واستقبله مساعده على البنايونى: وخلال الانتظار وقبل الدخول على الشيخ ابو غدة جرى هذا الحوار

مع البنايوني.

— ما قصة الانشقاق داخل الإخوان؟

* هذا موضوع صار تاريخياً (يضحك).

— ماذا حدث؟

* الكتابة عن الانشقاق ليست مطلوبة في هذه المرحلة. اقرأ البيانات.

— ليست هذه مهمة الصحافة. ما وقائع الانشقاق؟

* التحالف جمع بين البعث والناصريين والإخوان وبين الذين كانوا مختلفين فكرياً وسياسياً. والحديث عن انشقاق الإخوان الآن ليس مناسباً.

— إذن لم يحضر عدنان سعد الدين اجتماعات التحالف؟

* سيحضر اجتماعات الأمانة العامة.

— من يمثل الإخوان: انتم أم سعد الدين؟

* الموضوع بدأ في نيسان (إبريل) ١٩٨٤ في أثناء انتخابات المراقب العام. وتوجه الإخوان نحو اثنين: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة والأخ عدنان سعد الدين. ووقعت الأزمة عندما جاءت النتائج لصالح الشيخ أبو غدة.

— لماذا لم يجر الانتخاب في مجلس الشورى كالعادة؟

* جرت الانتخابات على مستوى القواعد وحصل أبو غدة على ٥١ بالمئة.

- كمر كان عدد المنتخبين؟

* العدد سرى والنسبة كانت ٥١ بالمائة. وهذا ما اعلنه مكتب الارشاد، وإن سعد الدين حصل على ٤٦ بالمائة. وبمجرد إعلان النتيجة جاهر سعد الدين بانفصاله عن الجماعة وشكل مجلس شورى وقيادة وحاول معه مجلس الشورى والتنظيم العالمى، ووجهوا إليه كتاباً للحضور فرفض. ثم وجهوا إليه كتاباً بالتراجع والعودة عن الخطوة الانفصالية ولم يستجب. تنظيم الإخوان ليس سورياً فقط، وهو فى الاصل ينسب للإمام حسن البنا. ونظامنا الداخلى ينص على أننا جزء من التنظيم العالمى، ويقضى بأن يعطى المراقب العام البيعة إلى المشرف العام. ومكتب الارشاد ومجلس الشورى أكدا وضعنا التنظيمى، ولذلك فنحن من ينطق باسم الإخوان، وإذا كان الأخ سعد الدين يصر على موقفه فإننا لا نعترض، ونقول فقط أنه لا يمثل الإخوان الذين يرتبطون بالتنظيم العالمى. وهو على كل حال لا يقول أنه يمثل التنظيم العالمى بل يقول أنه يمثل جماعة الإخوان السوريين الذين يؤيدونه.

- لكن انتخاب سعد الدين جرى فى مجلس الشورى السورى التابع للأخوان...

* جرى انتخاب فى مجلس الشورى وتعادلت الاصوات ولم يفز أحد. وبناء على طلب الطرفين جرى الانتخاب على مستوى القواعد.

- يقول سعد الدين أن من اسباب الخلاف الجوهرية تفاوضكم مع النظام السورى.

* ابدأ، فعندما حدث الانشقاق لم يكن وارداً التفاوض ولا عندنا ولا عند النظام. ولما فاضنا كان ذلك بحضور سعد الدين وبقرار تم بالاجماع.

- هل حضر سعد الدين المفاوضات من سنة ٨٤ إلى سنة ٨٧؟

* نعم، منذ عام ٨٤. ومرة أيضاً جرت مفاوضات عام ٨٠ وكان سعد الدين مراقباً وكنت أنا نائباً له.

- مع من تفاوضتم عام ٨٠؟

* تفاوضنا عن طريق أخواننا في الداخل، وهذا أمر سرى.

- تقصد تفاوضتم عن طريق أمين يكن؟

* نعم، عن طريق أمين يكن.

- اين هو الآن؟

* انه في سوريا، وهو الآن لا يمثل شيئاً، وكان سابقاً في التنظيم واختاروه كوسيط. المهم أن المفاوضات حدثت ثلاث مرات. مرة عام ١٩٨٠ وافرغ أثرها عن ٥٠٠ من الأخوان. ومرتان اعباراً من عام ١٩٨٤، وفي ذلك العام كان سعد الدين رئيساً للمكتب السياسى وأخذ القرار باجماع، أى بموافقته أيضاً.

- هو يقول أنه عارض التفاوض عام ٨٤.

* هو حر فى قول ما يشاء. عام ٨٤ كان القرار بالإجماع. عام ٨٧ لم يكن هناك اجماع بل شبه اجماع. ولا علاقة للمفاوضات بالخلاف.

- عام ٨٧ تفاوضتم مع لعلى دوبا فى ألمانيا؟

* هذا ما أعلن...

- والحقيقة؟

* ربما هي الحقيقة.

— هل اجتمعتم مع علي دوبا في ألمانيا؟

* لست مضطراً للإجابة عن هذا السؤال ولست مفوضاً بذلك.

— من المفروض بالإجابة؟

* أسأل المراقب العام.

— إذا كنت ستقابل الشيخ أبو غدة بهذا الأسلوب فأنصحك بعدم مقابلته.

* (وتم الانتقال إلى الغرفة المجاورة حيث كان الشيخ أبو غدة ورفض السماح بالتصوير).

— لماذا لا تسمح لنا يا سماحة الشيخ بالتصوير؟

* مزاجي الآن ليس للصور...

— حسناً، هل نستطيع أن نستمع منك إلى تعريف بالشيخ أبو غدة؟

* إذا كانت لديك أسئلة عن الجماعة فاسأل، ولا تسألني عن عبد الفتاح.

— هل تعتبر نفسك الزعيم الشرعي للأخوان؟

* هم يعتبرونني هكذا، فالأخوان هم الذين اختاروني.

— عدنان سعد الدين لا يمثل إذن زعامة شرعية؟

* (ضاحكاً) : لماذا لا يشرح لك هذا الأمر البنايوبي؟

— لقد طلبتك منذ ثلاثة أيام وأنت حددت هذا الموعد.

* أكتب الأسئلة ونجيبك خطياً.

- دعنى اسأل الآن وتجيبنى بما تستطيع. يقول سعد الدين أن سبب الخلاف هو التفاوض مع النظام السورى.

* هذا كلام غير صحيح، وهو أقر التفاوض، وكان فى مسؤولية التفاوض... هذه دعوى لا أصل لها.

- إلا تعتقد بأنكم اعطيتم شرعية للنظام بتفاوضكم معه؟

* يتفاوض الإنسان مع من يحب ويكره.

- هل أثرت محادثتكم مع على دوبا؟

* لا علاقة للأسماء، وهذا فكر لا يحكم عليه بالثمرة بل بالوسيلة، وهى قد تكون مجدية أو غير مجدية.

- هل برزت اية نتائج لتفاوضكم مع على دوبا؟

* أن لم تبرز الآن فأنها ستبرز بعد خمس سنين أو سنتين أو سنة أو شهر أو ثلاثة. هذه الأمور ليست فورية.

- إذن هناك جردوى من استمرار الاتصالات؟

* ليس من المعقول أن يأتى إليك من يختلف معك ويقول: تعال نتفاوض تجييه: لا.

- ما هى مطالبكم من على دوبا وماذا كان جوابه؟

* البنايونى يعرف أكثر منى.

— أريد معرفة الجواب نك بصفتك مراقباً للأخوان.

* اكتب الأسئلة فاجيبك من واحد إلى ١٠١ . وإذا كنت حصلت على مقابلة مدتها أربع ساعات ، فكيف استطيع أن اجيب في أربع دقائق ؟

وتناول على البنايوني التسجيل وانهى الحوار . ووقف الشيخ عبد الفتاح أبو غدة وقال مع السلامة ...

وخرج مراسل «الوطن العربى» وهو يقول : ماهذه الدكتاتورية ؟ وأجابه الشيخ : اسكت .. اسكت ..

الفصل السابع

رئيس الجمهورية الأسبق

الفصل السابع

أمين الحافظ رئيس الجمهورية الاسبق

لاصلاح ولا تفاوض مع نظام الأسد،

الحوار مع رئيس جمهورية سوريا الاسبق أمين الحافظ الشهير بلقب «أبو عبدو الجحشى»...

معروف بعنصرياته الفارغة، وبسماجه للطائفين لاستلام الحكم فى سوريا...

ومعروف بأنه مسؤول عن دماء أهل حماه فى عام ١٩٦٤ وخاصة الشهيد رياض العظم.

– الفريق أمين الحافظ رئيس الجمهورية السورية الاسبق... ما هى الظروف الموضوعية التى حملتك إلى السلطة؟

* الفضل يعود إلى نضال الشعب السورى ضد الانفصال وقادته. لقد كان الانفصال جريمة كبرى فى حق الوحدة، وكنت واحداً من الضباط الذين ساهموا فى صنعها. وكنا دائماً نتعاطى السياسة حتى قبل دخول الجيش.

– بما أنك تتكلم عن مرحلة ما قبل دخولك الجيش، دعنا نعود إلى البداية. مت ولدت وأين؟

* (ضحكاً) يا سيدى أنا ولدت فى حلب عام ١٩٢١. وانتسبت إلى الكلية العسكرية عام ١٩٤٦. بحسب تربيتنا ونشأتنا، كنا فى الكتلة الوطنية. وكان عمري ١٢ سنة عندما أشرت فى حركت الطلاب والتلاميذ والشباب، على قدر مفهومنا فى ذلك الحين، لنقول «لا» إلى المفوض السامى الفرنسى الذى كان يصدر أوامره فى بيروت. وفى

مرحلة التجهيز (ويسمونها الآن الثانوية) اشتركت في التظاهرات والاضطرابات، وسجنت مرة وصدر علىّ حكم من محكمة مختلطة أجنبية. و«أكلت فلكات» عديدة في مخفر «الكتاب» في حلب (الفلق: الضرب بالعصا على الرجلين).

إذن نشأت مع هذا الشعب الذى قاتل الفرنسيين وكنت فى صفوف الكتلة الوطنية التى كانت فعلاً رمز الاستقلال، وكان قاداتها من خيرة الناس مثل الجوابرة: شكرى وسعد الله والكيالى وغيرهم. يومها لم أكن مع المقاتلين الذين حملوا السلاح، بل كنا نقاتل بالحجارة كما يفعل الفلسطينيون اليوم، وكان ذلك عام ١٩٣٦. ويومها طردت سنة كاملة من المدرسة، وسجنت فى السجن المدنى، ولا تزال فى مخيلتى صورة واضحة للغرف النفصلة داخل السجن. كان عمري يومها ١٥-١٦ سنة وانطبعت فى ذهنى كل تلك الصور.

دخلت الجيش بدافع وطنى، وكانت للجيش مواقف مشرفة فعلاً، ضد الاختلاف، وخصوصاً حلف بغداد أيام ايزنهاور.

- فى أى سنة انتسبت إلى حزب البعث؟

* (يتنهد) تستطيع القول إننى كنت مع البعث.

- أى أنك لم تنتسب إلى الحزب؟

* الجماعة قبلتنا ونحن تشرفنا بهذا القبول، وقاتلنا معهم، اعتباراً من عام ١٩٥٦.

والعلاقات مع الاشتراكيين ربما تعود إلى عام ١٩٤٧.

- تعنى مع جماعة الأستاذ أكرم الحواري؟

* كنت مع جماعة الحواري فى الكلية الحربية.

- وفق الوثائق التاريخية، كان محظوراً على العسكر الانخراط في العمل الحزبي.

* لم يكن تنظيمياً بمعنى التنظيم، كنا معاً وسيفنا مرفوع، وكنا نحن القوة الأساسية في الجيش. وعندما حدث الانفصال في ٦١/٩/٢٨ كنت في بعثة دراسية في موسكو وعدت إلى دمشق، وتم تعييني في هيئة التدريب العامة، ولم يسلموني أية قطعة عسكرية. وكنت من المغضوب عليهم، لأنني عندما كنت في موسكو وقفت مع ضباط كثيرين من السوريين موقفاً مناهضاً للانفصال. وبعض الطلاب الذين كانوا معنا هناك ابلغوا رئيس الأركان تامر كمال بموقفنا، وكانت دولة الانفصال تراقبنا، وابتعدتني إلى الأرجنتين بقرار من القيادة العسكرية الحاكمة في أثناء الانفصال. ولم يكن في يد حيدر الكزبري أن يفعل شيئاً، وكان العوبة في أيديهم.

- من كان الرجل القوي في دولة الانفصال؟

* عبد الكريم زهر الدين والنحلاوي، مع العلم أن العناصر العسكرية الانفصالية لم تكن سيئة، ولكنها وقعت في مخطط، وكان الضباط الشاميون من خيرة الناس.

- من استدعاك إلى سوريا بعد ثورة الثامن من آذار (مارس) ١٩٦٣؟

* وصلتني برقية من الأستاذ صلاح الدين البيطار رحمه الله، وكنت يومها أو ملحق عسكري في السفارة السورية في الأرجنتين. وجاء في البرقية «أن الأخوان في مجلس قيادة الثورة اقترحوك وزيراً للداخلية ويرجي حضورك بسرعة». وسافرت. واستقبلتني مجموعة من الضباط وبعض الأخوان في مطار دمشق يوم ١٣ آذار (مارس) ١٩٦٣، وكان بينهم صلاح جديد وعبد الكريم الجندی.

- وحافظ الأسد أيضاً؟

* لا أتذكر. ولم يكن لدى اختلاط معه قبل ذلك، ولكنني كنت اعرف الآخرين، وكانوا كلهم على صلة بي في أثناء الانفصال. ووافدوا محمد عمران إلى لعدة أيام لمعرفة رأيي «وماذا ينبغي أن نفعل بالانفصال لأننا نثق بك». وبعد أن استلمت وزارة الداخلية، اقترح البيطار وأخواني في مجلس قيادة الثورة أن أتولى منصب نائب رئيس الوزراء ثم منصب رئيس الوزراء بعد استقال لؤي الاتاسي أثر خلافاتنا مع الناصريين ومشاكل ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٣، وكنت قد طلبت بالحاح بقاء لؤي الاتاسي، ولكن الإخوان في مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وشبلي العيسى والعسكريون وضعوا ثقتهم في «أبو عبدو». وفضلت أن يتولى الأستاذ البيطار ولكنهم اصرروا عليّ، فأستلمت الحكم بعد لؤي الاتاسي وقمت بما يمليه عليّ الواجب حتى وقعت حركة ٢٣ شباط (فبراير) ١٩٦٦ التي قام بها صلاح جديد.

- هذه الفترة من تاريخ سوريا لم يكتب عنها الكثير، وما كتب فهو مجتزأ.

* تاريخ مشوه.. مشوه..

- من شوهه؟

* لا أريد أن احدد وافتح معركة ليس وقتها الآن. الحقيقة ليست ملكاً لأحد، ورأي الجماعة هو الأفضل دائماً. وكنت أفضل أن يكتب بوجدان وعن اطلاع. ومعلوماتنا نحن كانت ضمن حدود وضعنا كمسكريين. وإذا كتبنا فلن نقول إلا الحقيقة التي نعرفها.

- وما هي هذه الحقيقة؟

* الحقيقة هي أن الحكم خلال سنوات ١٩٦٣ - ١٩٦٦ كان انظف حكم مرّ على سوريا.

- أحد الذين حاورناهم قال انكم لم توافقوا على إجراء انتخابات تشترك فيها الأحزاب، وخالفتم بذلك مبدأ حزب البعث الذي يؤمن بالتعددية وليس بمبدأ الحزب القائد.

* الحقيقة أن قادة الحزب من الأستاذ علق إلى البيطار إلى الآخرين لم يطرحوا قائداً ولا دكتاتورية، ولكن الحزب اضطر أن يقف وحيداً في الساحة. الناصريون والاشتراكيون كانت لهم مواقف. وقد شاركت في وزارة البيطار التي جمعت أكثر العناصر الوطنية. ولكن بعض العسكريين البعثيين الذين ساهموا في ضرب الانفصال. هذا لأقول أن وزارة الأولى بعد ٨ آذار اعطت صورة تجمع وطني.

- أنك تتكلم عن وزارة قصيرة العمر...

* الوزارة الأولى لم تعمر طويلاً لأنه حدث لعب....

- أي لعب؟

* هنا تدخلني في مشكلة.... أخواننا في مصر، وعبد الناصر رحمه الله وآخرون اجتهدوا، وكان رأيهم أن للناصرين دوراً أوسع، وبالأصح أننا نحن والناصريون وقعنا في فخ نصبته لنا فئات ثانية.

- أي فئات تعني؟

* جماعات ٢٣ شباط (فبراير)، وهي لاتزال تحكم سوريا إلى اليوم.

– المر تدركوا حقيقة أهدافها في ذلك الوقت؟

* في البداية لم يدرك أحد حقيقة أهدافها. وكنا نعتقد أن العسكريين الشباب «إوادم» بمن في ذلك صلاح جديد ومحمد عمران. ولم يعتقد أحد أن الأمور ستتطور إلى تكتلات طائفية أو عشائرية أو أسرية كما ظهر في حكم حافظ الأسد وجماعته.

– كان في استطاعة البعث أن يصر على تعددية الأحزاب فلماذا تراجع؟

* كانت هناك ظروف خلقت أوضاعاً معينة، ودخلنا في معركة مع الناصريين ولعبت فيها جهات ثانية. وحاولنا بعد ذلك، ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار وأنا وأخوان آخرون، وطرحنا الأمر مراراً في مجلس قيادة الثورة. واستطيع القول أنه كان العهد الوحيد الأقرب إلى الحزم والعفو معاً... الناصريون مثلاً، بعد أن حكموا بالاعدام، أطلقناهم من السجن بعد سنة وعدة شهور. وكان هناك اضطراب الشام. وكان لي دور أساسي في العفو عن الناس.

مشكلة حماه

– مشكلة حماه سنة ١٩٦٤ لماذا برزت، وكنت انت على رأس السلطة عندما ضربت المدينة؟

* هناك جهات عديدة لعبت أدواراً. وبعض الذين يتعاونون اليوم مع حافظ الأسد مثل عبد الحليم خدام وجماعته لعبوا دوراً مع المخابرات وارانوا ضرب حماه، وهي المدينة الشهيرة بنضالها في التاريخ، وحاربت حتى الصليبيين الذين تجرأوا على دخولها. وشبابها اتجأهم وحدوى واشترأكى، وهي بكل فئاتها قاتلت فرنسا مرات

عديدة منذ عام ١٩٢٥ . وجئت أنا والحاج محمد الحامد وانقذنا حماه، وكان قد دار حوار طويل بيننا واقنعته .

- لكن مدينة حماه قصفت، وتم تدمير جامع السلطان وكنت أنت يومها رئيساً للجمهورية؟

* من أمر بالقصف ليس نحن، وهذه حقيقة تاريخية أثبتها في مذكراتي . الذي قصف المدينة هو عزت جديد وهو الآن في الآخرة .

- لكنك كنت رئيساً للجمهورية، فكيف سمحت بقصف المدينة؟

* عندما عدت إلى الشام قلت يومها أنني أنا الذي أمرت بضرب المدينة تبرئة للآخرين لأنه كانت هناك حرب طائفية . ولكنني في الواقع أنا من قمع الفتنة مع محمد حامد، وعفونا عن الناس واکرمنا المدينة، وحضر إلى وفد من حماه بعد يومين، وعفونا عن الجميع .

- السؤال الكبير هو: كيف تتحرك قطع عسكرية وتضرب المدينة ورئيس الجمهورية لا يعلم بشئ؟

* لا، لا كل شئ تم بمعرفتني، ومعركة القصف جزئية، والمعركة الرئيسية كانت داخل المدينة حيث أقيمت المتاريس في كل مكان وقالوا لي أن هناك من يعتصم في الجامع وخارجه... ولم يحدث شئ إلا بعلمي .

- حتى قصف الجامع لم يأمرك؟ لقد أعطيتهم بذلك مثلاً للنظام الذي جاء بعدكم...

* هناك عصاة فى جامع أو فى بيت، والمفروض إخراجهم بهجوم. وثمة أساليب عسكرية تجبر الناس على إخلاء الجامع، مثل ضرب رجل أو قتل آخر، لكن لا يجوز ضرب الجامع، ولكن عندما حدث هذا صارت المعركة طائفية: هذا علوى أو درزى أو مسيحي، ولذلك حملت المسؤولية على كطفى. وحتى الآن يقول من قسم من أبناء حماه: «أبو عبدو حل المشكلة بالحسنى».

— مكثت فى السلطة ثلاث سنوات كحاكم عسكري فلماذا لم تعزل هذه الفئة؟

* نحن شباب حزبي، وكان هؤلاء أعواننا واصدقائنا، وكانوا معنا فى مجلس قيادة الثورة ولهم فضل فى حركة ٨ آذار (مارس). هكذا كنا ننظر إليهم وقتها. وتبين فى ما بعد أنهم ملغومون وحاقدون. لقد حاولنا معالجة ما شاهدناه قبل ٢٣ شباط ٦٦، والعلاج لا يتم بالحسم والبت بل الحسنى، ولم نكن نتصور وجود أشخاص مثل هؤلاء بيننا لهم علاقات صهيونية، ووقعنا فى هذا المخطط نحن والناصريون.

— لكن رواية الأستاذ شبلى العيسى تختلف عن روايتكم...

* وأنا أختلف معه فى كثير من الأمور. ولكنى أقول كمسؤول وكريس سابق للدولة أننى كنت عند ظن الحزب والأخوان والجميع، ولكن عن يوم ٢٣ شباط ١٩٦٦ قلت لهم: «لقد نبهتكم». وطرحت فكرة حل اللجنة العسكرية مع أننى كنت رئيساً لها، وذلك لتجنب قيام قيادتين. وأن تكون مهمة اللجنة فى حال استمرارها إجراء مناقلات الضباط وتعيينهم. ولم يوافق السياسيون على رأى وقالو أن على العسكريين العودة إلى الثكنات. واجبتهم: هذا كلام غير واقعى، فكيف يرجع عضو مجلس قيادة الثورة إلى الثكنات. وهو الذى عين الوزراء ورئيس الوزراء؟ ويقول البعض أنه لولا العسكر لما جاء المدنيون، وأن العسكرى لا يمكن

أن يرجع إلى الثكنة بل يبقى في عضوية مجلس قيادة الثورة أو في القيادة القومية أو القطرية، لأنه إذا عاد إلى دبابته فإنه سيقوم بانقلاب جديد. وقلت لهم ولمنيف الرزاز بعد انقلاب حمص: أنني قادر على تغير الوضع بشرط أن تكون القيادة معي وأن أقود لواء دبابات .

– لكن من هو الذي تراجع؟

* هو أمين عام الحزب منيف الرزاز. وكان في استطاعتي أن أفعل ما أريد لو كنت وحدي وأعمل لنفسى فقط لأن المراكز كانت في يدي.

ما أوقفنى أمر واحد هو الوجه الطائفى الذى برز يومذاك بشكل مخيف. وقلت لمنيف الرزاز أنني مستعد وقادر لتنفيذ ما تقرره القيادة فى وجه أى فئة كانت، لكنه أعتذر وقال لى: هذه حرب وأنقلاب، ونحن لا نقبل بذلك. غير أن «الشياطين» قاموا بانقلاب عسكري فى حمص وكان يومها ضد الشعب والجيش والحزب، وفشلوا، ونحن نداركنا الأمر بسرعة...

وتبع ذلك تطويق القيادة القومية واهانتها وهى الحاكمة. وسألنى الدكتور منيف الرزاز عن رأيى فقلت له: الحل الوحيد هو أن نحرك اللواء ٧٠ وهو مازال فى يدي. لقد أتيتم بمحمد عمران وزيراً للدفاع رغم معارضتى والتزمت كحزبى.

– لماذا رفض فكرة الانقلاب العسكرى مع أن فكر البعث فكر انقلابى؟

* هذه أمور يشرحها القادة الحزبيون. أنا عسكري وقرارى مثل حد السيف، ولولا خوفى على سوريا من حرب طائفية لتصرفت بطريقة أخرى. هناك من استغل الطائفة العلوية وهى من أطيب الطوائف وأفضلها، والضباط العلويون من أشرف الناس وأنظفهم، ولكن النظام أفسد الطائفة والضباط. ولو وافقت القيادة معى لما

جرى ما جرى.

— ماذا فعلت بعدم جابهوك بالرفض؟

* قلت لهم أننى سأقعد فى بيتى، ولكن الانقلاب اتِ أما صباح وإما مساءً...

— وكيف حدثت المعركة مع "الشياطين"؟

* كان لدى حرس، وجماعتى من الضباط مثل مجمود موسى وغيث سلطان، وجنود شعان يعرفون كيف اقاتل. وقلت لهم: لا يأتى احدا إلى بيتى أو إلى قصر الضيافة. واتوا وقاتلوهم. واصبت برصاصة فى ركبتى، واصيبت ابنتى فى عينها وجرى ولدى. وبعد كم ساعة طلبوا منا الخروج، واخرجنا الاولاد، ثم عادوا وضربوا من جديد، وحدثت خسائر مدنية وعسكرية كثيرة. وأخذونا إلى سجن المزة وبقينا هناك سنة وأربعة اشهر. وشعرنا بأن الناس استقبلت انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ أسوا استقبال. وكان هذا الانقلاب جريمة كبرى بحق الوطن والجيش والحزب.

— لماذا اطلقوا سراحك بعد ذلك، وكيف عاملوك؟

* سجنونى أنا ومحمد عمران لوحدنا، وزارنا صلاح جديد وحافظ الأسد. وقال لنا الأسد أنه سيتم الافراج عنا بعد عدة أيام. وسيرسل إلينا خياطاً لتفصيل «كم بدلة». وليلة الافتراج عنا اعلنوا سقوط القنيطرة كان السفير الإسرائيلى فى الأمم المتحدة ينفى ذلك...

لقد افرة عنا على أساس أن نقابل ولكنهم لم يسلمونا أى سلاح. ذهبت وأستاجرت شقة فى الطابق الرابع، وعند منتصف الليل حضروا واعتقلونى من جديد، وابعدونى عن عمران إلى لبنان وحذرونا من العودة.

قصتي مع كوهين

- بث التلفزيون الأميركي مراراً قصة الجاسوس الإسرائيلي ايلي كوهين وقالوا أنك أنت من اصطحبه إلى الجبهة، ولولا المعلومات التي حصل عليها بسببك لما سقط الجولان...

* طبعاً، وقالوا أكثر من ذلك وأكدوا أنه كان صديقي من أيام الأرجنتين... وبديهي أن يقولوا أكثر من هذا ولا كيف يبررون سقوط الجولان؟

- ما حقيقة صلتك بكوهين؟

* كل ما صدر في الكتب والاقلام عن علاقتي به كذب مائة بالمائة مراجعهم الرسمية وغير الرسمية تؤكد أن ايلي كوهين كان في الأرجنتين بين آذار (مارس) وآب (أغسطس) ١٩٦١، ومنها ذهب إلى أوروبا، وسافر في أول عام ١٩٦٢ إلى لبنان، ثم توجه إلى سوريا. وفي تلك الفترة تحديداً لم اكن لا في مهمة ولا في زيارة ولا في وظيفة في الأرجنتين، بل كنت في سوريا. وعندما حدث الانفصال في ١٩٦١/٩/٢٨ كنت في موسكو. أي أنني كنت في القطب الشمالي في موسكو خلال تلك الفترة، وكان ايلي كوهين في القطب الجنوبي في الأرجنتين. وفي عام ١٩٦١ لم تكن في الأرجنتين سفارة سورية ولا سفير ولا ملحق عسكري طبعاً، لأن

الوحدة المصرية- السورية كانت قائمة. وأنشئت السفارة السورية في الأرجنتين بعد الانفصال أى بعد ٢٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٦١. وسافرت إلى هناك في أول عام ١٩٦٢، وكان كوهين- حسب مصادره- في تلك الفترة في لبنان. وحضرت حفلة عيد الميلاد في الأرجنتين وكان معي ثلاثة من أعضاء السفارة هم: المستشار عبد الرحيم الكنانى، وعبد الغنى وعبد الودود الاتاسى. وكانت هي أولى ليلة امضيتهما في الأرجنتين. وتشير السجلات الرسمية إلى أن كوهين وصل إلى دمشق يوم ١٠ كانون الثانى (يناير) ١٩٦٢. وعدت أنا إلى سوريا في ١٣ آذار (مارس) ١٩٦٣. وهذا يعنى أنه خلال سنتين كان في قارة وأنا في قارة أخرى.

- تدعى الروايات الإسرائيلية أنه كان يتردد على الأرجنتين.

* حسب مصادره قيل أنه ذهب مرة واحدة إلى الأرجنتين، وكنت أنا يومها في الحكم. وجمع كوهين تبرعات، وقالت كتبهم أنه جمع ٩ الاف دولار واضاف هو إليها الف دولار واعطانى المال تبرعاً للحزب، وقالوا أنتى «أكلت» هذا المبلغ... «تصور شلون الكذب لوين»... رئيس دولة يسرق تبرعات ويقبلها من شخص لا يعرفه!

- ماذا عن الهدايا والفراء والصور؟

* هذا من صنع الموساد. عندما عدت إلى سوريا في ١٣ آذار (مارس) ١٩٦٣ كان كوهين في دمشق. وهو لم يكن عضواً في مجلس القيادة ولا أى شئ من هذا القبيل، وأنا لم أعرف شكله إلا بعد القبض عليه بيومين. وإسرائيل تحاول استثمار قصة كوهين

باستمرار، وكل سنة يصدر كتاب أو كتابان عنه. وقمت بالرد على أول كتاب صدر عام ١٩٦٨. ولكن ماذا افعل بطوفان الكتب التي تصدر بكل اللغات عن كوهين؟ عندما أبعادوني إلى لبنان كنت انتقل بواسطة التاكسي والسرفيس. وعرضت دولة عربية استضافتي، واستضافني الأخوة اللبنانيون.

وعندما كنت في مثل هذه الحالة المالية الزرية، كانوا يشيرون عني شائعات الثراء. ومرة كنت أنتقل بالتاكسي مع بعض الأخوان في بيروت وكنت اعتمر بكوفية بيضاء، سألتنا سائق التاكسي: «من أين الأخوان؟» وقلنا له من حمص... ومر السائق أمام بناية من عشرة طوابق وقال لنا: انظروا.. هذه البناية لرئيسكم أمين الحافظ!

شائعات علاقتي بالجاسوس كوهين

دعاية أسر ولم أعرفه إلا بعد اعتقاله بيومين

- ألم ترافق ايلي كوهين بجولة ف الجولان؟

* أنشا كوهين علاقات مع بعض الضباط مثل معزة زهر الدين وهو ضابط احتياط من ادلب ولا يُعرف أشياء كثيرة عن اسرار الجيش السوري. أما بالنسبة للجولان فقد كان الوضع أنه حتى رئيس الجمهورية لا يستطيع ادخال أى مرافق له إلى هناك إلا بأذن من المخابرات، وفي هذه الحالة فإن مرافقين من أربعة اجهزة مخابرات سيرافقونه في الجولة. وحتى لو اردت ادخال أخى إلى الجبهة فإن

خمسة من المخابرات سينامون معه.

— كيف القبض عليه؟

* اخبروني بأنه منذ أيام الانفصال هناك اضبارة ولا يعرفون من أين أتت. واشتكت عدة سفارات أجنبية من وجود تشويش فى الاتصالات. واتصلنا بالسوفيات وحصلنا منهم على جهاز دقيق يرشد إلى مصدر التشويش. وكان وداد بشير مسؤولاً عن الاجهزة والتقط مع جماعته بعض الاشارات. وغلط أول الأمر فى الشقة، ثم فتشوا الشقة الثانية وضبطوه بالجرم المشهود وهو يث الرسالة. وضبطوا لديه جهازاً ثانياً للارسال.

— لماذا قررتم اعدامه بسرعة؟

* نحن تصورنا أنه عربى وخان بلده. وفى تقديرى أن معلوماته كانت أتفه منه ومن الذى أستلمها. وإسرائيل تشن علينا حرباً نفسية مستمرة منذ أيام مؤتمر بال ١٨٩٧. وتركيزهم علىّ بالذات القصد منه تشويهي. وزعم كوهين فى التحقيق أنه كان يصلى معنا فى الأرچنتين مع أنه لم يكن هناك جامع وقتذاك. وقال أنه لم يكن هناك جامع وقتذاك. وقال أنه «جامع الإسلام»، والمسلمون لا يسمون الجوامع بهذا الاسم. وكشفنا أموراً كثيرة، وتبين أنه يهودى. ونحن لم ننتزع منه الاعترافات بالقوة، بل هو اعترف بكل شئ من تلقائه بعد القاء القبض عليه. لقد تصرف الموساد بمنتهى الغباء عندما أوفدوه كمسلم وهو لا يعرف حتى سورة الفاتحة.

لنتحدث عن مرحلة نفيك إلى خارج سوريا، في لبنان وغيره.

* لقد بعث إلى الرئيس عبد الناصر يدعوني للاقامة في القاهرة.

- مع إنك هاجمته بمرارة عندما كنت في الحكم.

* هاجمته في أمور سياسية تتعلق بفلسطين والوحدة. وأنا احترم الرجل لأنه قدم خدمات لمصر والعرب، ولكنه أخطأ بالنسبة للديمقراطية وفي ضرب التيار الإسلامي بعنف رغم أنه كان تياراً وطنياً.

- هل صحيح أنك قلت له أن في مقدورك تحرير فلسطين في عدة ساعات؟

* محمد حسنين هيكل حددها في «ثلاث ساعات». لا... الصحيح هو ما كتبه شارل حلو رئيس الجمهورية اللبنانية عندما حدثت مشادة كلامية بين عبد الناصر وأبو عبدو. وذكر شارل حلو أنني قلت: يمكن تحرير فلسطين في ثلاثة أيام. وهذا هو الصحيح وهذا ما قلته. واذاع راديو إسرائيل أنني قلت يمكن تحرير فلسطين في ثلاث ساعات. وسألني الضباط في السجن عن صحة نسبة هذا القول إلى واجبتهم أنني قلت: في ثلاثة أيام. ويمكن في ثلاث ساعات إذا كان لدينا طيران قوى قادر على ضرب كل مطارات إسرائيل في وقت واحد. وفي حرب ٥ حزيران (يونيو) طبقت إسرائيل هذا الكلام على العرب وانتهت حربها في ثلاث ساعات و٢٠ دقيقة. وإذا استمر العرب على ما هم عليه الآن فإن إسرائيل قادرة على إنهاء حربها في دقائق.

تحالف المعارضة،

- لماذا لم نسمع بأى نشاطات لك منذ ١٩٦٦ وإلى ١٩٨٢ تاريخ إعلان الميثاق الوطنى لتحرير سوريا؟

* لم أخلد إلى الراحة قط، ولن أفعل حتى ولو بلغت المائة من العمر. فى لبنان اشترى لى منصور الاطرش مسدساً بـ ٣٠٠ - ٤٠٠ ليرة لا حملة. وقبلها الحاج أمين الحسينى بعث بأسلحة وبحراس.

- لماذا لم تقيموا أى تنظيم حتى عام ١٩٨٢؟

* أتصلت بالأستاذ اكرم الحواري وجماعته وبالقوميين العرب اعتباراً من عام ١٩٦٨. ثم قامت ثورة الابطال فى العراق بقيادة أبو هيثم (أحمد حسن البكر) رحمه الله، وأبو عدى (صدام حسين) الذى لن وجود الزمان بمثله خلقاً وشهامة وكرماً ومروءة وعروبة. أنه بعثى أصيل. وتلقيت رسالة تدعونى إلى العراق ولبيت الدعوة.

- سؤالى هو: بين ٦٨ و ٨٨ لم يقم تحرك جدى للمعارضة السورية، لماذا؟

* هذا موضوع آخر. التحرك الجدى ليس بيدى.

- تاريخياً، من كان أول من طرح صيغة التحالف الوطنى فى عام ١٩٨٢؟

* الأحزاب طرحت الصيغة، ودخلت كعضو عادى لا أكثر ولا أقل.

- لماذا لم يحقق التحالف ما توقعه البعض؟

* اسأل قادة التحالف وزعماء الأحزاب ومن يملك الدبابات والمدافع.

- لماذا أسقطتم الكفاح المسلح من الميثاق، ولم تعتمدوا هذا الأسلوب في المعارضة؟ أنتى اسألك بصفتك عضواً مؤسساً...

* أنا لم أكن مؤسساً، والفضل في التأسيس يعود إلى البعث والناصريين والأخوان. ودخلت فيه كعضو عادى، واخرج منه كعضو عادى.

- هل ما زلت فى التحالف؟

* يعنى...

- كيف "يعنى"؟

* أنا فيه إنسان فرد، وليس لى دور ولا أتولى قيادة، وحتى لست عضواً فى التحالف حالياً.

- لماذا خرجت هذه الفترة بالذات؟

* لقد تشكلت قيادات جديدة.

- هناك تحفظ على العسكريين يصل حد الفيتو فى معظم الأحزاب. وحببتهم أن العسكر، مهما كان حجم الخدمات التى قدموها للوطن، إلا انهم هم سبب بلاء الوطن نتيجة لتدخلهم فى السياسة، فاضاعوا فلسطين والجولان ونحروا الديمقراطية فى سوريا.

* العسكر مظلومون، وهم «مأكلون مذمومون» كما يقول المثل. والعسكر السوريون مناضلون ومن اشرف الناس، وليس الذنب ذنبهم إذا طلع من بينهم خونة وتسلطوا على البلد. ومن المفروض الأحزاب أن تقف بوجههم وتسقطهم. الديمقراطية ليست كلاماً، وهى تحتاج إلى من يحميها. ومن يدعى من الأحزاب السورية أنه

ديمقراطى عليه أن يحميها. ومن يدعى من الأحزاب السورية أنه ديمقراطى عليه أن يحميها وينزل إلى الساحة كما فعل المدنيون من حزب البعث أيام أديب الشيشكلي، ونحن العسكر وجهنا إليه الضربة الأخيرة. هناك عسكريون اودام وعسكريون ارذال، وكذلك هم المدنيون.

— أنت رمز لتدخل العسكر فى السياسة. إلا تعتقد أن تسييس الجيش السورى اضاع الروح القتالية عند قادته؟

* نحن ميسسون قبل الجيش، ويوم وقفنا فى انقلابات عسكرية فعلنا ذلك لتصحيح وضع. وأيام أديب الشيشكلي قام البعث بدور مشرف، وكنت أنا فى درعا، وانسحبنا ولم نطلب مراكز. وعندما وقعت حركة ٨ آذار (مارس) ٦٣ اقترحت أن يتحول العسكريون إلى مدنيين. فرنسا أم الحرية مع أن الجنرال ديغول عسكرى.

— لكن ديغول انتخبه الشعب وليس بمسرحية ١٩٠٩٩ بالمائة...

* انتخب كعسكرى شريف.

— تاريخياً، عندما طلب حزب البعث منكمر العودة إلى الثكنات رفضتم...

* لم يُطلب منى، وإنما عُرض رأى خاطئ، والأمور لا تحل بكلمة. عبد الناصر ضرب مثلاً صالحاً. قال لجماعته: هذا الفريق يبقى فى الجيش، والآخرون يتحولون إلى مدنيين. أنا عرضت عليهم بوجود صلاح الدين البيطار وقلت لهم: اليوم احضرتكم أمين الحافظ وصار وزيراً للداخلية وهو عميد ركن فى الجيش، ثم تقولون له: ارجع إلى الثكنة... هذا صعب.

— صعب لأنكم ذقتم حلاوة السلطة؟

* لا، أبداً. الحل الامثل، إذا جئت بالعسكريين ليشغلوا فى السياسة فأنهم يستمرون كسياسيين.

— من المسؤول تاريخياً عن توريط الجيش بالسياسة؟

* اكرم الحوارنى قائد سياسى وطنى شريف ويجب أن يسأل عن ذلك. أنا جئت قبل اكرم الحوارنى ونظمت مظاهرة عام ١٩٤٥ كمعلم مدرسة. وعندما التحقت بالكلية العسكرية عام ١٩٤٦ وتعرفت على الاشتراكيين والبعثيين وجدنا الآراء متضاربة.

— إلا تعترف موضوعياً وبنقد ذاتى أن العسكر ساهموا فى خراب سوريا وساعدوا فى ظهور نظام حافظ الأسد؟

* (مقاطعاً بحدّة): اسمع لى، العسكر أبرياء عندما ينتصر العسكرى يقطف ثمار النصر المدنيون. وإذا فشل العسكريون توجه التهمة إليهم. ضباط الجيش السورى بمن فيهم الضباط الانفصاليون هم من اشرف الناس واطهرهم. مرة واحدة ارتشى ضابط واحد بكيس سكر فخرت الدنيا وسرح من الجيش.

— انظر إلى تجربة سوار الذهب فى السودان... فهو لم يجد "صعباً" العودة إلى الثكنات بعد إعادة السلطة إلى المدنيين.

* أنا تعاونت كوزير مع الحزب وأنا فى تكوينى ديمقراطى.

— لا تعترف بمسؤولية العسكر؟

* هناك مسؤولية تاريخية على الجميع كما كل دول العالم الثالث.

كنا آخر من يعلم بمفاوضات الإخوان المسلمين مع النظام.

- وماذا عن قصة المفاوضات بين المعارضة والنظام؟ هل أنت معها أم ضدها؟

* أى نظام؟

- النظام السورى؟

* أنه نظام مجرم.

- قال لنا عدنان سعد الدين المراقب العام للأخوان أنك كنت موافقاً مبدأ التفاوض فى عام ١٩٨٤ حسب المحضر الثانى.

* ليس صحيحاً. وقلنا أننا ضد المفاوضات، ولكن يجوز الاتصال بأى حكم حتى ولو كان خائناً عن أى طريق ما عدا طريق الحزب، ونصحت بذلك. وقلت أوفدوا من تريدون لمعرفة ماذا يريد النظام واخبرونا. معرفة ما يدور فى رأى الخصم شئ والتفاوض شئ آخر.

- قال لنا عدنان سعد الدين ان قبلوكم لجماعة ابو غدة جاء نتيجة لاستمرارها فى التفاوض مع على دوبا.

* قبلنا بـ «أبو غدة» والآخرين لأننا ننظر إلى مصلحة سوريا. وعدنان سعد الدين له يد فى التحالف وهو مشكور، وله صفات طيبة. وأبو غدة عالم فاضل ولم نر منه إلا كل الخير. وبعد انشقاق الإخوان كنا همزة وصل للاتصال. التحالف رفض التفاوض وكنت أنا يومها عضواً عامة. وكان لدى الإخوان اجتهاد خاص وهذا شأنهم. نحن رحبنا بالأخوان لنكسبهم بدلاً من أن يكسبهم النظام السورى.

التفاوض «والأخوان»

- لكنكم اعطيتم الضوء الأخضر للتفاوض واستشاركم منير الغضبان وأبو غدة.

* لا نعطي ضوءاً أخضر، ولا نقبل ولم يستشرنا احد، وهذا كذب. وهم فاضوا ورجعوا وقالوا: هذا ما حصل معنا. قلنا لهم في التحالف: هذا لا يجوز والاتصال يجب أن يتم بطريق غير مباشر.

- ماذا نقل إليكم الأخوان المسلمون بشقيهم عن نتيجة المفاوضات مع على دوبا والمخابرات السورية لمدة ثلاث سنوات؟

* قال الأخوان أنهم قدموا مطالب وإخلاء سجناء والعفو العام وعودة الغائبين، وأن المخابرات وعدتهم... ولكن جماعة أبو غدة وجماعة سعد الدين اتهموا بعضهم بعضاً. ونحن لا نريد لجماعة أبو غدة حتى ولو كانوا مائة شخص أن يتحولوا إلى النظام السوري السياسي في الممكن، وعندما يأتي إلينا شخص كان من اعوان النظام فهذا كسب لنا. ونحن في الأمانة العامة اجتهدنا حتى لا نخسر الفئتين من الأخوان.

- لماذا لم تنذروا الاخوان بشقيهم بوقف التفاوض؟

* عندما حدثت المفاوضات كنا آخر من يعلم. ودخلت التحالف وكان هدفنا الاساسي جمع الناس. وسعد الدين مناضل ولا نريد ان نخسره. وأبو غدة «خرب الدين» بتفاوضه، ولكننا لا نريد أن نخسر احداً.

- ما هي مسؤولية الأخوان في انتفاضة حماة؟

* في رأيي أن جهات عربية ودولية والنظام السوري اثاروا المدينة لذبحها، ولعبوا على الأخوان.

- هل أتصل بك أحد من النظام السوري؟

* لا، ولكن أريد أن أروى لك هذه المحادثة... عندما كنت فى القيادة القومية حمل فلسطينى اسمه عبد الله خريس رسالة إلى أبو هيثم (احمد حسن البكر)، فاتصل بى أبو هيثم من حديقة القصر واطلعنى على الرسالة وهى من حافظ الأسد وطلب رأى. وقلت له رأى بصراحة، وقلت لو أن المحيط الهادى مر على يد النظام السورى لفشل فى تنظيفها...

- لماذا اختار الإخوان طريق التفاوض، هل بسبب ضعفهم؟

* فى رأى أن الأحزاب التقدمية السورية لو أخذت دورها كما يجب لما كان للأخوان هذا الدور لأن شعبنا ليس أخوان مسلمين...

- لماذا لم يطرح البعث الكفاح المسلح كوسيلة للتغيير؟

* أنا سألتهم قبلك هذا السؤال.

- ماذا كان الجواب؟

* الظروف... وكنت أتمنى أن تنزل جميع الأحزاب إلى المعركة.

- لماذا يدخل الشيوعيون المكتب السياسى فى التحالف؟

* أبو كامل (محمد مخمل) وجماعته من خيرة الناس وهناك تنسيق بينهم وبين التحالف، ولم يضع أحد فئتهم حتى عدنان سعد الدين.

- ما هو السيناريو الذى تتصوره لتغيير النظام؟

* لا أفضل من جمع الناس من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بقيادات نظيفة وحازمة بشرط الا يدخل المترددون. قيادة التحرير يجب أن تكون فى أيدي المشابرين

على النضال وليس المذبذبين الذين لهم كل يوم خط. وانا أقترب اليوم من الثمانين من عمري، ولذا تركت لغيري القيادة.

— ما هي العوامل التي تقود إلى تغيير النظام من الناحية النظرية؟

* عوامل كثيرة منها العامل الخارجى لأن النظام مدعوم خارجياً، وهناك اتفاقات مكتوبة وغير مكتوبة وأتصالات مباشرة وغير مباشرة بين النظام وحلفاء إسرائيل. وهناك العامل العربى (...) ودوره فى دعم المعارضة. والجيش له دور وأجهزة الأمن والمخابرات والعمل المسلح. والشرط الرئيسى الا تتصدر قيادة التحالف عناصر غير ثابتة الاتجاه. ومن أستيقتز وجدانه منذ خمس سنوات فقط، يجب الا يوضع فى الصف الأول فى التحالف متجاوزاً من عارض منذ عشرين سنة. وهذه العناصر يجب أن توضع فى النسق الثانى أو الثالث حتى تثبت بنضالها وتضحياتها أنها جديرة بالصف الأول.

— كيف يمكن إزالة التنظيمات العسكرية الطائفية العديدة المسيطرة على دمشق؟

* (متابعاً) أن النظام مدعوم عربياً. وأذكر مرة عندما كنت رئيساً للجمهورية أننا طلبنا قرضاً بخمسة ملايين دولار ولم نحصل عليها بينما يحصل النظام الحالى على أكثر من مليارى دولار.

— ماذا عن تقارير عودة رفعت الاسد إلى دمشق؟

* رفعت وحافظ شئ واحد.

أنا والأسد وديجول.

— عندما كنت رئيساً للجمهورية كيف كانت علاقتك بحافظ الأسد؟

* عندما كان في مجلس قيادة الثورة كان رجلاً عادياً، وأحياناً كان يغضب بسرعة. ومرة حضر إلى عام ١٩٦٦ وقال لى: يا أبو عبدوكلنا نثق فيك وأرفع يدك من القيادة، وهؤلاء ليس معهم لا مدنى ولا عسكرى، وضع يدك فى يدى ودعنا نتعاون. وأجبتته، وقد حضر القسم الأخير من ردى منصور الأطرش، وقلت له: يا أبو سليمان، إن ثقتى بالحزب وبالقيادته المدنية والعسكرية كبيرة، ويجب ألا يحدث أنقلاب ضد الحزب. وأجابنى الأسد: أنهم يتأمرن عليك. أجبت: دعهم يفعلون إذا شأوا، وأنا لا أريدهم إن يقولوا أن أبو عبدو غدر بهم. ونصيححتى لك وللشباب أن تسمعوا كلام القيادة الحزبية، ولا تتورطوا، وقل لهم الا يأتوا إلى البيت وإلا فأننى سأقاتل ولو بعشرة أشخاص!... وضحكنا. ثم حضر صلاح جديد وإبراهيم مائوس.

— ما الفرق بين صلاح جديد وحافظ الأسد؟

* ثبت أن تصرفات الأسد فى لبنان ومع الفلسطينيين أن النظام عميل وصلاح جديد أشرف بمليون مرة...

— دعنى اناقشك فى هذه النقطة بالذات. انتم تكرررون فى أدبيات المعارضة بلا انقطاع نعمة العمالة. والاحظ انكم توزعون التهم بسهولة إلى حد الأسفاف. هل تعتقد أن مثل هذه النعمة تنطلى على الناس؟

* العنصر الأساسى هو تصرف النظام. ومن سلوكه فى لبنان إلى اغتيال كمال

جنبلاط، إلى ضرب الفلسطينيين نرى أنه ينفذ مخطوياً مرسوماً، ولهذا تتدفق عليه المليارات من الدولارات.

— كيف أستمّر هذا النظام ١٨ سنة؟

* الأموال تتدفق عليه وتساعد على الأستمرار. وكما يقول المثل من يأكل خبز السلطان يضرب بسيفه. وهو مدعوم من غالبية الحكام العرب. ولكنى متفائل إذا أحسنت المعارضة السورية جمع شملها. وكما يقول الشاعر البدوي: «وأنى شقى بالثام ولا أرى شقياً بهم إلا كريم الشمائل».

— هل أقمّر معسكرات للتدريب؟

* أنشأنا معسكرات عام ١٩٦٨، ولكن القيادة الحزبية طلبت وقف التدريب، وأنا ملتزم بالأوامر.

— هل أجمعت مع الجنرال ديجول؟

* نعم، وسألنى: ما الحل لقضية الشرق الأوسط؟ وقلت له: لا يوجد حل واحد، وهناك عدة حلول. ونحن أصحاب حق. ولو أدعت كل فئة أن لها حقوقاً منذ ألف سنة، وجاءت تطالب بها الآن لتغيّرت خريطة العالم. وعلق ديجول: صح وتابعت: إذا كان اليهود قد حكموا ٥٠ - ٦٠ سنة فى قسم من فلسطين فى عهد سحيق، فكيف يدعون اليوم أن فلسطين لهم؟ والحل سهل ولكنه صعب التطبيق، وهو أقناع الصهيونية وإسرائيل بأن ما أخذوه كاف وأعنى القسم الموجود أثناء الحكم التركى وقبل عام ١٩٤٨. وفى هذه الحالة يمكن أن نقبلهم وأن يعيشوا معنا فى دولة واحدة. ومن أتى منهم بعد ١٩٤٨ يعود إلى بلده الأصيل. والبديل لهذا الحل هو الحرب. وقال ديجول: لو كنت عربياً لفعلت كما تقول

فلا حل غير ذلك عن طريق الأمم المتحدة. ولكن هل تعتقد أن العرب سيقاتلون، وهل لديهم إرادة القتال إذا وقعت الحرب؟ قلت العرب في مؤتمرات القمة قالوا أنهم يريدون التحرير. وإذا رضى اليهود. بالحسن فأنا مع الأمم المتحدة في كل شيء. وعاد ديجول يسأل بالحاح: هل العرب سيقاتلون؟ وأجبت: إذا وعدوا بالقتال ولم يقاتلوا فإن الشعب سيقاتل الحكام. وضحك ديجول. ويبدو لي أنه كان الحكام أكثر منى.

— ماذا قلت في القمة العربية عام ١٩٦٣؟

* قلت لهم: أنا لم أحضر هذه القمة للبحث في تحويل روافد نهر الأردن لأن سوريا رفضت مشروع جونستون، ولكنني جئت لأطالبكم بوضع خطة للتحرير. وطلب عبد الناصر تمديد المؤتمر حتى الثالثة بعد منتصف الليل ربما لتميع المناقشات. وأرتفعت صيحات بعضهم: لقد جعنا.

— وكيف أنتهى المؤتمر؟

* تدخل عبد السلام عارف وطرح خطوطاً عريضة للتحرير ووافق الجميع.

— وماذا حدث في قمة الأسكندرية عام ٦٤؟

* وقف على عامر وقال أن التحرير يحتاج إلى ٧٠ سنة، وأجبت: بل يحتاج إلى أكثر من ثلاثة أيام...

شبلى العيسى الأمين

العامر المساعد لحزب البعث

حوار مع شبلى العيسى

كان يسمى العيسى في سوريا «حمار الخرب» ويبدو أنه مازال في هذا الوضع لأنه حقاً متمرس بمواقفه المعروفة...

شبلى العيسى مفكر سياسى. وكاتب مهتم بالتاريخ وصدر له حتى الآن ١٢ كتاباً تعالج قضايا قومية وتاريخية. مغرق في جمع الوثائق، وساهم في اصدار الأجزاء الكبيرة من «نضال البعث». وهو منصرف بدأب لتدوين تاريخ حزب البعث. يخصص معظم وقته للقراءة والكتابة. وآخر ما كتبه هو «المرحلة الصعبة في تاريخ سوريا وتاريخ حزب البعث بين ١٩٥٨ و ١٩٦٨» وهو يحرص على عدم التدوين النهائى قبل مرور ٢٠ سنة على الحدث، حرصاً منه على الموضوعية. وهذا الحوار معه تم في مبنى القيادة القومية لحزب البعث العربى الاشتراكى. وهو يشغل مسؤولية الأمين العام المساعد للحزب منذ ١٩٦٤ وإلى اليوم.

— لنبدأ بالسؤال التقليدى: من هو شبلى العيسى؟

* أننى من مواليد محافظة السويداء عام ١٩٢٥. تخرجت من الجامعة السورية. كان بوذى التخصص في الحقوق لأنها أكثر انساجاماً مع نشاطاتى السياسية التى بدأت مبكرة. تسجلت فى كلية الحقوق وتابعت شهراً ولم أتمكن من الاستمرار لأسباب مادية. وكان معهد المعلمين العالى فى دمشق قد بدأ عمله حديثاً فى ذلك الحين فتحولت إليه لاكمال دراسات عليا على نفقة المعهد مقابل الالتزام بالتعليم مستقبلاً. تخصصت فى مادة الاجتماعيات، أى التاريخ والجغرافية، وأحمل شهادة الليسانس فى التاريخ ودبلوما فى التربية والتعليم تخرجت عام ١٩٥٠. مارست التدريس لعامين، وقبل التثبيت سرحت فى عهد حسنى الزعيم لأننى رفضت القسم بترك الحزب والعمل السياسى.

— متى أنتسبت إلى حزب البعث؟

* كنت اشترك فى الحلقات التى يعقدها الأستاذ ميشال علفق وصلاح الدين البيطار ١٩٤٢ ، وهو تاريخ إرتباطى بالحزب ، والحزبيون القدماء بمن فيهم ميشال علفق وصلاح الدين البيطار وأنا أدوا القسم عام ١٩٤٥ . أما المؤتمر التأسيسى لحزب بعث فكان فى عام ١٩٤٧ . وحضر المؤتمر التأسيسى ٢٠٠ عضواً من أصل ٤٠٠ وجهت إليهم الدعوة ولهذا اعتبر انتهاء المؤتمر كبداية لمرحلة التأسيس الرسمى للحزب .

— من الملاحظ تاريخياً أن غالبية المائتين عضو الذين حضروا المؤتمر التأسيسى لحزب البعث كانوا من المعلمين ، لأن فكر البعث بدأ أنتشاره فى أوساط هذه الفئة تحديداً... أليس كذلك؟

* صحيح . وكان هذا الأنتشار بسبب طبيعة المبادئ ذاتها ، وطبيعة الأشخاص الذين نشروها كفئة تنتمى إلى المثقفين . وفى الوطن العربى فإن طبقة المثقفين هى التى تحمل المبادئ وتبسطها ثم تنشرها فى أوساط العمال والفلاحين . وتنشأ بعد ذلك كوادى من العمال والفلاحين وتصبح هى نفسها قادرة على نشر المبادئ .

— عندما رفضت أداء القسم فى عهد حسنى الزعيم ماذا حدث؟

* تم تسريحى من التعليم . وحدث بذلك نوع من التفرغ مع أربعة أعضاء فقط بينهم واحد من دمشق وآخر من حمص والثالث من دير الزور . وكنا نتقاضى كمعلمين راتباً شهرياً قدرة ٤٠٠ ليرة سورية . وحصلنا بدلاً منه على مساعدة رمزية من الحزب وقدرها مائة ليرة . وتوجهنا إلى مناطقنا . وقمت بالتدريس فى المدارس الخاصة مثل اللعازارية فى القطاع ونلت ٨٠ ليرة بالإضافة إلى المائة ليرة ، وسلكت الأمور بهذا الشكل .

عندما يسقط نظام الأسد تقوم وحدة سورية وعراقية وأردنية،

وكنّت أقيم في السويداء وأمارس نشاطي فيها. وبعد فترة تقدمت بطلب ترخيص لفتح مدرسة فرفض. وقدم زميلي الأستاذ منصور الأطرش الطلب فقبل، وفتح مدرسة لستين، وكنّت وكنّت أتعاون معه، ونجح المشروع. وفي عهد أديب الشيشكلي أنتزعوا منا المدرسة وأعطوها لشخص موال لهم.

وشاركت في أول تظاهرة ضد الشيشكلي في السويداء وأطلقوا الرصاص باتجاهنا ولم يقتل أحد وجرح البعض وبعدها أضرت إلى التوارى بعد أن حملوني المسؤولية ولاحقوني. أختبأت في دمشق لمدة شهر ثم سافرت سرّاً إلى لبنان وكان فيها الأساتذة الثلاثة: ميشال علق وصلاح الدين البيطار وأكرم الحواري. ومكثت هناك شهرين ونصف الشهر، وتدرّبت مع بعض الأخوان على صنع المفرقات والقنابل الصوتية التي لا تؤذي أحداً عند انفجارها حتى ولو كان على بعد متر واحد منها. وبعد إنجاز مرحلة التدريب عدت عن طريق حمص متخفياً، وأمضيت ليلتي عند أحد الأصدقاء في المدينة وهو نجاة الفحام الذي أصبح وزيراً في ما بعد. ثم توجهت إلى دوماً وتسليت من هناك إلى دمشق. وأتخذنا مخبأ لنا بيتاً يستأجره ناصر الأطرش أخو منصور الأطرش وابن سلطان الأطرش ووضعنا مفرقات قرب بيت أديب الشيشكلي على بعد ٢٠ - ٣٠ متراً. وبدأت صحف لبنان، ومنها «الكفاح»، تنشر بالعنوان العريض الأحمر عن الاضطرابات والفوضى والقنابل في دمشق. وقد تجنبا كل ما من شأنه الحاق الأذى بالناس، وكنا نستهدف أحداث التأثير النفسي والمعنوي فقط.

وكنا نشكل الخلايا من خمسة إلى سبعة اشخاص، ونذهب إلى مناطق الزحام، وسط سوق الحميدية مثلاً، ويتسلق احداً على كتف الآخر ويهتف: «ليسقط الدكتاتور الشيشكلي»... ثم نختفي... ورب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه. في

ذلك الحين إذا قبض على واحد منا «يأكل الفلق» وينقضى الأمر، أما في عهد حافظ الأسد؟!

الطربوش الملوث:

- نصل إلى المرحلة التي أنتهت بثورة ٨ آذار (مارس) بواسطة انقلاب عسكري. فكيف لجأنا إلى الأسلوب الذي قاومتناه بشراسة قبل ذلك؟

* حزب البعث لم يقدر في البداية خطورة دور العسكر مع احتمالاته السلبية على الديمقراطية والحركة الشعبية. وخدع الحزب بأول انقلاب قام به حسنى الزعيم، وقد بارك الحزب حركته في بادئ الأمر. وعندما رأى الحزب أن حسنى الزعيم تحول إلى الحكم الفردى والدكتاتورى، ووقع اتفاقية التابلاين واتفاقية النقد مع فرنسا، قرر الحزب الانتقال إلى المعارضة، وقدم مذكرة شديدة اللهجة إلى حسنى الزعيم فى ٢١ ايار (مايو) ١٩٤٩. وعلى الأثر اعتقل العديدون من الحزب، واستخدم العنف ضدهم. وبعدها بأربعة شهور ونصف الشهر وقع انقلاب سامى الحناوى، واشترك الأستاذ ميشال عفلق لأول مرة فى الوزارة كوزير للمعارف. واشترك الأستاذ اكرم الحوارنى كوزير للزراعة، وصار الحكم قومياً ائتلافياً تقريباً. وبعدها بأربعة شهور ونصف الشهر أيضاً ذهب حكم الحناوى وجاء حكم الشيشكللى وكان حكماً عسكرياً مطلقاً.

وكانت بعض الأحزاب تسير مثل القوميين السوريين والشيوعيين والحزب الوطنى. ولكن فى مؤتمر، عندما وجدوا أن الأمور أخذت تنضج، بدأوا يتحركون. وذهبت مع أحد الأنخوان وهو صالح أبو عسلة وقابلنا هاشم الاتاسى ورشدى الكيخيا وناظم القدسى وحومد. وقلنا لهم أننا نحمل تفويضاً من سلطان الأطراش وحزب البعث، وأنا مستعدون للقيام

بتظاهرات من الجامع الأموى وإلى السويداء، ولكننا نريد أن تعرف رأيكم أولاً.

وأنا الآن لا أريد الدخول فى التفاصيل، لو كن وقتها رفض حزب الشعب المشاركة. قابلنا شكرى العسيلي وقال لنا: أنا لو رأيت هاشم الاتاسى وميشال عفلق وأكرم الحوارنى وسلطان الأطرش وكل أهل دمشق فى المظاهرة فأنتى لن أشارك. قلنا له: لماذا يا صبرى بك؟ أجاب: اعتبر أن الأمور لم تنضج بعد. وإذا نزلت قبل ان تنضج الأمور، وجاء شرطى «يدفشنى» ويسقط طربوشى على الأرض ويتوسخ، فأنتى اعتبر ذلك اهانة. قلنا له: ولكن هذا نضال وطنى يا صبرى بك. قال: لا وهذا يحتاج إلى... وإلى... وكان صريحاً فى طرح فكرة طلب الدعم من العراق ونورى السعيد يومذاك.

أما هاشم الاتاسى فراح يشرح لنا مواقف السعودية والعراق. ولما حضر أبنه عدنان غير الموضوع. وعندما قابلنا رشدى الكيخيا، وكان ناظم القدسى وحومد موجودين عنده، سألناه عن تقديره لم يمكن أن يكون عليه موقف العراق. وعندها انتفض الكيخيا وقال: ليس لنا علاقة بالعراق ولا ندرى ماذا سيكون عليه موقفه...

- إذن هكذا انكشف موقف الأحزاب البرجوازية المترددة والمتمسكة بطراييشها وبارتباطاتها الخارجية، مما يتعارض مع التوجهات الشعبية لحزب البعث...

* كان الخلاف نوعياً لأن حزب البعث بنى على أساس فكرى وعقائدى. وفى الأربعينيات والخمسينيات عندما كان عددنا قليلاً ويضم مجموعة من الطلاب والشباب، كانوا يتهمون علينا ويقولون أننا مجموعة أولاً بلا تجربة ونريد تحرير الأمة. كان هناك استخفاف بنا لأننا نادى بإيمان مطلق بالوحدة المترابطة مع الاشتراكية والديمقراطية والأخلاقية، والانقلابية التى تعنى الثورية والرسالة الخالدة، بمعنى أن هذه الرسالة ليست شأناً سياسياً عابراً أو طارئاً، بل لها بعد تاريخى

وحضارى ودوافع إيمانية، وليس الأمر مجرد الوصول إلى الحكم أو إلى مناصب نيابية أو وزارية.

بهذه النبرة أنتشرت الحزب فى أوساط الطبقات المثقفة من الطلاب والمعلمين بالدرجة الأولى ثم المحامين، أخذ فى التوسع. وبعد الصراع مع الشيشكلى وعملية الدمج عام ١٩٥٢ صار للحزب وجود وتأثير بين العسكريين، مما حمل الخوف إلى الحزب الوطنى وحزب الشعب. وطبعاً، كان هدف العسكريين هو الحكم وأن يتخذوا من البعث مظلة لهم. وحتى لا نظلمهم نقول أنهم ارادوا التحالف مع قوى وطنية وتقدمية وشابة فى مواجهة الفئات الحاكمة مثل حزب الشعب والحزب الوطنى الطبقة البرجوازية والاقطاعية. وأكبر دليل على ذلك أن الانقلابات العسكرية التى ادعت أنها ستعيد الحياة إلى الديمقراطية لم تفعل شيئاً من هذا، وحكموا فى ظل البعث، وفى داخل الحزب كان للعسكريين شهية الحكم.

- فى كتابك الأخير "تاريخ حزب البعث العربى الاشتراكى؛ المرحلة الصعبة ١٩٥٨ - ١٩٦٨" تحدثت على قرار حل الحزب وهو الشرط الذى وضعه عبد الناصر ثمناً للوحدة...

* حل الحزب يومذاك لا يؤخذ بمعزل عن ظرفه الذى يعطى بعض المبررات وليس كلها. وعبد الناصر كان يحكم كسخص متفرد. وفرع الحزب فى مصر كان قوياً وحذر من أن عبد الناصر لن يسمح بالديمقراطية وحرية الأحزاب. وفى المقابل فإن عبد الناصر وضع لأول مرة فى الدستور المصرى أن شعب مصر جزء من الأمة العربية وأن مصر هى جزء من الوطن العربى. وتبنى سياسة عدم الانحياز على مستوى رسمى، وقضى على النظام الملكى وحقق الاصلاح الزراعى وأمم القناة، وأخذ يتنادى بشعارات البعث بالوحدة والحرية والإشتراكية.

- لكنه لم يؤمن بترابطها التسلسلى.

* نعم، غير ترتيبها. وهذه الأجواء كلها بعد فشل العدوان الثلاثى أوجدت شعبية عبد الناصر وحدث التقارب. وجاءت ضغوط حلف بغداد وضغوط تركيا والائتلاف القومى. وقد اشترط الحزب يومها شرطين: أن تتبنى سوريا الحياد وعدم الانحياز، وأن يتحقق الإتحاد مع مصر. إذن أين الخطأ؟ الخطأ هو أن قيادة الحزب وثقت بعبد الناصر أكثر مما يجب، وكان يفترض أن تدرك طبيعته ونفسيته، وأنه لن يتغير لمجرد الجلوس معه لاقتناعه بضرورة الديمقراطية. وكانت طبيعة عبد الناصر العسكرية وتربيته وأسلوبه فى الحكم بين ١٩٥٢ و ١٩٥٨، كل ذلك كان يقدم دلائل واضحة. وفرع الحزب فى مصر، وفرع الحزب فى الأردن لم يوافقا على قرار الحل. وحدث تفرد وخطأ وأدين هذا لاختطاً وخصوصاً فى المؤتمر القومى الرابع عام ١٩٦٠. أدين بصراحة، وقيل يومها أن حل الحزب لا يعكس الإيمان به، وقيل أن الحل مؤقت ويقتصر على الجمهورية العربية المتحدة لا الوطن العربى كله. وقيل أن عبد الناصر تعهد بأن يكون الإتحاد القومى هو حزب البعث نفسه . لكن بعد تغيير التسمية، وأن المبادئ واحدة... وحدث انخداع.

- ولكن ماذا كان وضعك الشخصى؟

* تناقشوا فى وضعى وكانوا بين أمرين: إما أن أسجن، وإما أن أنفى إلى القاهرة. والرجل الذى عدل الموقف لمصلحتى هو الدكتور أمجد طرابلسى وكان بعثياً من جماعة أكرم الحوارنى، وكان وزيراً للتربية فى عهد الوحدة، وعندما أستشاره قال أنه من الأفضل ألا نتسبب بأزمة مع بداية الوحدة ورجع النفى إلى القاهرة.

الفصل الثامن

الوحدة والانفصال

الفصل الثامن

العناصر الانفصالية في دولة الوحدة لم تكن سيئة

الوحدة والانفصال

- معظم الدراسات الغربية التي صدرت عن الوحدة تضخم الخطر الشيوعي، وتتدعى ان شكري القوتلي هرع إلى عبد الناصر خوفاً من الشيوعية...

* في تقديري أن السبب الرئيسي هو «مشروع الفراغ» الذي طرحه ايزنهاور عام ١٩٥٧. وحدثت ضغوط على سوريا بسبب وجود خالد بكداش في البرلمان وتعاون الشيوعيين في ائتلاف حكومي. والسياسة الأميركية تعتبر أن وجود شيوعي واحد في حكومة ما يجعله أقوى من القوى الأخرى، لأن الشيوعيين منظمين وتدعمهم دولة كبرى، وأن الاتحاد السوفياتي يتغلغل بسرعة عبر هؤلاء الأشخاص القلائل. وفي اعتقادي أن الدعاية الأميركية المركزة في هذا الاتجاه كان هدفها الضغط على سوريا للحد من توجهها نحو الاتحاد السوفياتي. ولا أظن أن الأميركيين فاتهم حقاً تقدير الحكم الحقيقي لقوة الشيوعيين في سوريا. والدليل على ذلك أن خالد بكداش هرب من سوريا بعد قيام الوحدة لأن الشعب السوري شعب وحدوي. وكذلك حزب الشعب كان يضم وحدويين والحزب الوطني ايضاً. وصبري العسلي كان في الأصل في عصابة العمل القومي. قد يكون حزب البعث أكثر حماساً وطنيية في التخطيط للوحدة على حد تعبير محمود رياض، ولكن الشعب في سوريا كان مع الوحدة. ولم يكن في استطاعة الحزب التشبث بموقف متصلب تجاه شرط عبد الناصر بحل الحزب وعدم تدخل العسكر في السياسة. وقد ارتحنا من عدم تدخل العسكريين إلى يومنا هذا.

- إذن لماذا وقعت اطراف فاعلة في الحزب على وثيقة الانفصال؟

* الأستاذ اكرم الحوارنى يدافع حتى اليوم عن توقيعه على وثيقة الانفصال، ويقول أن السبب هو الأسلوب الدكتاتورى الذى مارسه عبد الناصر. والديمقراطية فى رأيه هى الأساس وبعودتها تعود الوحدة على أسس مدروسة.

هذه اخطاء تجربة الوحدة مع عبد الناصر،

- لماذا لم يفصل الحوارنى فوراً من الحزب؟

* فصل... لكن الحزب كان محلولاً ولم يتمكن من إعادة تنظيم نفسه قبل عام ١٩٦٢. والمعاملة التى لقيها من عبد الناصر رجل مثل صلاح الدين البيطار وكان أكثر من المندفعين والمتحمسين والمخلصين لعبد الناصر، لم تكن لائقه وقد أهمله عبد الناصر اهمالاً كبيراً فى القاهرة، وحتى أكرم الحوارنى سمعته مراراً يقول أن عبد الناصر وضعه كنائب لرئيس الجمهورية ووزير العدل، ولكن كانت تصدر القوانين ومنها ما يتعلق بسوريا دون علمه. وأنه لم يكن يمولنا إلا على فراش كان فى خدمته. وحتى هذا الفراش كان من المخابرات ويتجسس عليه! أى أن الذين وقعوا على قرار الانفصال كانوا مقهورين وتصرفوا بانفعال وعاطفية وبرغبة فى الثأر. وقد ندم البيطار فى ما بعد وحاول اصلاح الخطأ بأن يتحول إلى ناصرى تكفيراً عن خطيئته.

- فى حركة ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ لجأ حزب البعث إلى العسكر الذين التهموه فى النهاية، فكيف وقعت فى الخطأ نفسه أكثر من مرة؟

* العسكريون فى سوريا كانوا يهتمون بالسياسة منذ الأربعينيات. وفى الخمسينيات وقعت الانقلابات العسكرية المتتابة. وحزب البعث عندما اعاد تنظيم نفسه بعد

المؤتمر القومي الذي عقد في حمص عام ١٩٦٢ قرر فقرتين أساسيتين حتى يتمكن من استقطاب الحزبيين مجدداً، ومن يقبل بهما أهلاً وسهلاً، ومن يرفضهما يبقى خارج الحزب. وقبل هذا المؤتمر كانت قد عقدت عدة لقاءات تضم حزبيين من كل المناطق دون نتيجة. وحضرتك تلك اللقاءات أمثال محمد عمران وصلاح جديد وربما حافظ الأسد، وكانوا مسرّحين من الجيش.

القرار الأول الذي اتخذه مؤتمر حمص هو أن تتولى القيادة القومية في العراق اختيار ثلاثة أو أربعة اشخاص من القطر السوري لتشكيل قيادة قطرية مؤقتة تتولى إعادة تنظيم الحزب. والقرار الثاني طرح شعار إعادة الوحدة مع مصر بأسلوب جديد وصيغة جديدة مستفيدين من اخطاء التجربة السابقة.

والذين انضموا إلى الحزب كان عددهم قليلاً ولا يساوي عشر عدد الحزبيين الحقيقي. ولكن اخذنا ننمو رويداً رويداً. وكان على صالح السعدى عضواً في القيادة القطرية المؤقتة، وكذلك حمدي عبد المجيد وأنا وحمود الشوفى ووليد طالب. وفي عام ١٩٦٣ كان عددنا حوالي ٤٠٠ شخص. وخلال انقلاب ٨ آذار (مارس) قد يكون زاد عددنا قليلاً، ولكننا كنا ضعفاء. والتقينا مع العسكريين الذين كانوا في القاهرة وقد اصبحوا مدنيين بعد تسريحهم من الجيش. وقالوا لنا أنهم كانوا بعثيين ومرتبطين بالحزب.

وفي الحقيقة لم نراع الدقة في قبول العضوية، وتوفر نوع من الثقة بالعسكريين الحزبيين مثل بشير صادق وسليم حاطوم الذي كان تلميذاً خجولاً عندي، وانضباطياً طيعاً. وصلاح جديد ومحمد عمران وحافظ الأسد كانوا نشيطين. وقبل ٨ آذار كانوا يزورونني في بيتي في حي الميدان مرة ومرتين في الأسبوع. ولم تكن الرقابة عليهم شديدة. فصلاح جديد كان موظفاً في شركة بحرية، ومحمد عمران كان مسرحياً وكذلك حافظ الأسد. وكانوا على وفاق مع القيادة في التنظيم. وكنا نتشاور مع الأستاذ ميشال عفلق ومع الأستاذ

صلاح الدين البيطار، وقبلوا على هذا الأساس. وفي المؤتمر القومي الخامس أعلن أنه لم تعد لأكرم الحوراني وجماعته أية علاقة بحزب البعث، ولم نقل أنه فصل أو فصلوا.

— ما سبب هذا الإعلان؟ هل لأنه وقع وثيقة الانفصال؟

* لا... فبعد إعادة تنظيم الحزب في المؤتمر القومي الخامس في أيار (مايو) ١٩٦٢ قلنا أنه ينبغي حل قضية أكرم الحوراني ومجموعته، لأن الناس بدأت تتساءل.

حافظ الأسد،

— ضعف الحزب في تلك الفترة هل كان هو سبب اللجوء إلى العسكريين؟

* كانت قناعتنا أن العسكريين حزيون كغيرهم وجيدون، ولم نكن قد أختبرناهم بعد. وكانوا دمشق ومرنين ولا يفعلون شيئاً دون استشارتنا. وظهرت أولى أمارات الخداع عندما رفضوا إعطاءنا أسماء كل العسكريين الذين يعتبرونهم يعثيين، بحجة الخوف من أن يكشف أمرهم إذا حدث خلاف في القيادة. ولعل الثقة بالعسكريين كانت في بعض جوانبها ناجمة عن الضعف الحزبي.

— ألهذا السبب استدعيت أمين الحافظ من الأرجنتين؟

* سمعة أمين الحافظ طيبة، فهو صادق وجريء ويحفظ كلمته وساهم في انقلاب الـ ٥٤ مع الحزب وكان في محافظة حوران، مثلما ساهم وليد حمدون ومصطفى حمدون في حلب. وكان أمين الحافظ معروفاً أيضاً لدى كبار العسكريين، وأتوا به على أساس أن ملحقاً عسكرياً يتولى وزارة الداخلية ليس بالأمر الكبير. ولم ألتق بالحافظ إلا في القاهرة، وعرفتني الوثيقة كانت بالدرجة الأولى مع بشير فاضل كضابط كبير.

- لماذا سرح حافظ الأسد من الجيش خلال الوحدة؟

* لأول مرة أسمع بقصة تسريح الأسد عندما ذهب حافظ الأسد إلى القاهرة كان ملازماً أول. وكنت أنا عام ١٩٦٠ في مصر الجديدة. وحضر إلى سليم حتى (من حوران) وكان يدرس في القاهرة وقال لي أن حافظ الأسد يريد أن يزورني للتعارف. وفي تلك الحقبة لم تكن تظهر عليه أمارات الفهلوة والذكاء الشديد، وقد اكتسب القدرة على التكتكة والمناورة في ما بعد. وقبل ٢٣ شباط (فبراير) ٦٦ بحوالي سبعة أشهر زارني في مكتبي في منطقة السبتى، وكنت يومها أميناً عاماً مساعداً في القيادة القومية. وروى لي قصصاً اشتمت من خلالها رائحة الغرور. ومرة في عام ١٩٦٥ أخبرني حافظ الأسد أنهم شكلوا في القرداحة فريق كرة قدم. وأنه لم يوافق على الاشتراك به إلا إذا كان رئيساً للفريق «لأننى طموح وواثق من نفسى». وهذا أعطانى فكرة عن حبه للزعامة والبروز. وتأكد لي في ما بعد أنه من النوع الميكيا فيلى تماماً وليس عنده حلال أو حرام. وهو قد اشترط على صلاح جديد، في مقابل اشتراكه بحركة ٢٣ شباط ٦٦ أن يتولى وزارة الدفاع ولا يتدخل أحد فيها، لا صلاح جديد ولا غيره. وهذا ما فعله للسيطرة على الجيش.

- وماذا عن بروز الثلاثى عمران وجديد والأسد وسيطرتهم على بعض القطاعات يومذاك؟

* انطلق حزب البعث من رفض مطلق لأى نظرة طائفية أو عشائرية أو اقليمية. والأمور الطائفية لم تظهر إلا بعد تسلم السلطة.

- هل تعتقد أن عمران كان أكثر الثلاثة صفاء كما يظهر من خلال كتابه "تجربتي مع الثورة"؟

* عمران كان خطه الوجدوى واضحاً. هل كان ذلك تكتيكاً منه؟ صلاح جديد كان يتكلم مع القطريين (جماعة دير الزور واللاذقية)، وأبو عبدو (أمين الحافظ) كان يدارى جماعة الحوارنى. وفى تقديرى أن عمران كان مكلفاً بمسايرة الوجدويين الاشتراكيين لكسبهم، أى أنه حصل توزيع أدوار بين العسكريين.

- عندما أستلمت الحكم عام ١٩٦٣ طلبت من العسكر العودة إلى الثكنات فرفضوا. فما هي الخيارات التى كانت أمامكم كقيادة مدنية لحزب البعث؟

* كان هناك تباطؤ فى اتخاذ القرارات الحاسمة. وأضرب لك هذا المثل... فى نهاية عام ١٩٦٤ فتحت الأزمة بيننا وبين العسكريين، وأنكشف خلاف عمران مع اللجنة العسكرية، وكشف لنا أهدافها بالتسلط على الحزب والحكم والدولة. وأشتد الصراع، وأخذنا قرارات تقيد العسكريين وقلنا لهم: من يريد أن يكون سياسياً عليه أن يترك الجيش نهائياً، فرفضوا وأصروا على البقاء فى مناصبهم القيادية فى الجيش مع استمرارهم كسياسيين.

وفى تلك الفترة من عام ١٩٦٤ أحتمعنا فى بيت كمال حصنى. وحضر الاجتماع ميشال عفلق وصلاح الدين البيطار عبد الله وعبد الدايم ومجموعة من القيادات التاريخية فى الحزب وأعدنا بياناً قلنا فيه أنه لا علاقة لهذا الحكم بالحزب. وقد شعروا بأننا على وشك إصدار هذا البيان فقاموا بعملية التأميمات. وكان الجو اشتراكياً تطغى عليه الغوغائية وشعارات الفلاحين والعمال والمكتسبات الاشتراكية. وقد أصدرنا هذه التأميمات بسرعة وظهر أنها كانت مرتجلة بقصد أحراج القيادة القومية، وأظهارها أنها تخلت عن

الحكم لأنها ضد الاشتراكية. وأخرجنا فعلاً، وأجلنا إصدار البيان... ثم تسارعت الأحداث.
- هل كان صلاح جديد وحافظ الأسد هما اللذان يسيران
العسكريين؟

* اللجنة العسكرية كانت مؤلفة من ١٥ - ١٦ عسكرياً، والمشكلة أننا لم نكن
نعرف بالضبط من هم؟ قلنا أن العسكريين أختاروا هذه اللجنة وهذا شأنهم.
ولكننا لم نكن نتعاون مع جديد والأسد وعمران فقط. كنا نتعاون أيضاً مع مزيد
هنيدي وبشير صادق وسليم حاطوم وغيرهم. واللجنة العسكرية أنتخبت جديد
وعمران والأسد للقيادتين القطرية والقومية، ولم يكن في استطاعتنا أن نقول لهم
لماذا تنتخبون علويين لأن مثل هذا الأمر لم يكن وارداً في أذهاننا، ولم يكن يظهر
أى شيء يوحى بشك من هذا القبيل.

مسرحية ماخوس،

- قال أمين المحافظ في حديثه إلى "الوطن العربي" أنه حذر كمر من
وجود حركة ٢٣ شباط ١٩٦٦، ولكن كمر تردد ثم شهراً في اتخاذ أى قرار.

* كان في تقدير كل واحد منا أن استخدام السلاح لن تكون عواقبه حميدة
وستحدث مجزرة. وكانت المجموعة العسكرية مستعدة للتصدي لأمين المحافظ
وغيره باسم الشرعية. ومبدأ استخدام السلاح داخل الحزب لفض الخلافات
الفكرية كنا نعتبره سابقة خطيرة ومؤلمة. ومثلاً، قبل أيام من حركة ٢٣ شباط
كان إبراهيم ماخوس عضو قيادة قومية، وكنا متواجدين في مكتب الأمين العام
منيف الرزاز. وأقترح ماخوس إصدار تعميم على العسكريين يقول إن من يستخدم

السلاح فى فض الخلافات يكون. خائناً ومجرماً. وقلنا به: هذه فكرة جيدة. وعندما وجد أننا وافقنا تراجع وقال: لكن هذا سينبه العسكريين إلى وجود شيء ما... ولنجعل التعميم شفوياً. وقال كلمات لا أنساها. قال: «لو أن أبى سلمنى الوحدة العربية من المحيط إلى الخليج بإنقلاب عسكري فإننى أعتبر نفسى خائناً لو قبلت». وبعد أربعة أيام أتضح أنه كان على رأس الأنقلاب ومن الذين خططوا له وأشتركوا فى تنفيذه!

- إبراهيم ماخوس يعيش الآن فى الجزائر ويدعو إلى البعث الديمقراطي...

* بعد شو؟!

- قادة حركة ٢٣ شباط وضعوكم فى السجن فى كيف هربتم؟

* وضعونى مع صلاح الدين البيطار فى بيت قائد الجيش فى شارع حلب فى العباسية بحراسة ثمانية جنود، كل اثنين فى زاوية. وكانوا مطمئين، والطقس حار فى شهر آب (أغسطس)، وكانوا يعرفون أننا ننام فى فترة بعد الظهر. وترك الحراس زاوية دون حراسة. وكنا نرتدى ملابسنا تحت البيجاما. وكان الحراس الآخرون منهمكون فى مراقبة بعض النسوة فى النوافذ المجاورة. وكانت الساعة الرابعة بعد الظهر من يوم ٢٧ آب (أغسطس) عام ١٩٦٦. وقفزت من النافذة وقفز خلفى صلاح الدين البيطار، ومع أنه كان مسناً فقد وجدته أنشط منى. وفى دقيقتين كنا خارج النافذة. تسلقنا جداراً لا يزيد علوه على المترين، وقفزنا إلى بيت الجيران وخلعنا البيجاما ووضع البيطار نظارة على عينيه. وأفترقنا كل واحد فى اتجاه. وعرفنى بعض المارة لكنهم تجاهلونى عمداً. وذهبت إلى مزيد الهيندى وكان ضابطاً، وإلى شخص آخر، وأنتقلت إلى كفرسوسة فى عشرة أيام، لأنهم أقاموا

حواجز تفتيش على الطرقات. وبعدها هربني أحد أقاربنا من الضابط في سيارة عسكرية من قطنة. وتابعت متوجهاً إلى لبنان. ونمت ليلة في جبل الشيخ وكان معي مسدس وفراء. وأستقبلني بعض الأصدقاء في لبنان.

– وبين ١٩٦٦ و ١٩٧٠ اكتفت قيادة البعث بالإقامة في بعض البلدان العربية....

* قبل وبعد ٢٣ شباط ١٩٦٦ أصيب الحزب بضربات كثيرة وتشتت، مثل أنشقاق الريماوى عام ١٩٥٩، ثم أنشقاق فؤاد الركابي، ورغم ذلك ظل الحزب محافظاً على شيء من التماسك. أما حركة ٢٣ شباط فكانت ضربة كبيرة وأثرت على الحزب، ليس فقط في سوريا، بل وفي المغرب والجزيرة العربية، وحدث نوع من ردود الفعل السلبية في نفسيات الأعضاء.

وكان نشاطنا مركزاً على كيفية إعادة تنظيم الحزب ومدته بأسباب القوة، وكانت مرحلة صعبة. والذين قاموا بالحركة لم يستقطبوا الجميع. وكان هناك من بقى على الحياد، أو كان معنا ولا يدري ماذا يفعل. وكنا نحن مطاردين، وأخذت السلطات اللبنانية تضايقنا، ولم يكن نشاطنا علنياً. وبدأوا بترحيل البعض مثل وليد طالب وأحمد رستم، بالأبعاد أجبارياً إلى أسطنبول. رغم ذلك تمكنا من عقد المؤتمر القومي التاسع بحضور ممثلين من العراق ولبنان وسوريا وأقطار عربية أخرى. وأتخذ المؤتمر قرارات أبرزها التركيز على الديمقراطية، وشجب الانقلابات العسكرية والأغتيالات، والتأكيد على العمل الجبهوى، ورفض شعار الحزب القائد وشعار الحزب الواحد.

– لكن ضعف الحزب أدى بدوره إلى ضعف صلاح جديد أمام حافظ الأسد الأقل بعثية منه...

* يقول كثيرون ان لدى الأسد بقية من فكر بعثى.

- لتركز اذن على مرحلة حافظ الأسد.... أولاً، انتهاء الحزب هل كان العامل الحاسم في بقاء الأسد ١٨ سنة في الحكم؟

وثانياً، كيف بدأت وتجدرت العملية الطائفية في عهده؟

وثالثاً، هل استخدم الأجهزة للقمع أكثر من سبقة؟

ورابعاً، انحسار المد القومي وظهور الحركات السلفية هل ساهما في تدعيم النظام وإطالة عمره؟

الانحسار.... والمد،

* انحسار المد القومي الوحدوي وحصول مد ديني هما أمر ملحوظ. ولهذه الظاهرة أسباب عربية ودولية متعددة ومعقدة، وانحسار المد القومي الوحدوي يرجع بالدرجة الأولى إلى النكسات التي تعرضت لها تجارب الوحدة، ووقوع الانفصال عام ١٩٦١، ثم فشل ميثاق القاهرة الذين أعلن عام ١٩٦٣ بين العراق وسوريا ومصر. وكان القصد من الميثاق خطوة تصحيحية وتجربة جديدة، ولكن الخلافات والخلفيات كانت قوية وحادة وحافلة بالسلبيات بين البعث وعبد الناصر، مما حمله على فسخ الاتفاق. وعبد الناصر بأجهزته أساء كثيراً لحزب البعث وأضعفه. والحزب هاجم دكتاتورية عبد الناصر وفرديته وكشف مواطن الضعف في تجاربه ومنطقة وفهمه للوحدة والعمل القومي. وفوق ذلك تعثرت التجارب الاشتراكية التي كان يطرحها عبد الناصر والبعث. وحدث بسبب ذلك نوع من الفراغ.

وفي أجواء الأزمات الاقتصادية والفشل السياسي وغياب الديمقراطية والهزائم والنكسات، نشأت حالة جعلت الناس يتعلقون بالمفاهيم الغيبية السائدة لدى القواعد الواسعة والعريضة. واستغلت هذه الحالة الحركات الدينية المنظمة مثل الإخوان المسلمين وحزب

الجهاد وحزب الله، واستثمرت عواطف الجماهير التي كادت أن تكفر بمن ينادى بالإتحاد والوحدة والقومية. وزاد الأمر سوءاً أن عشرات المشاريع الإتحادية بقيت حبراً على ورق. وبعض الوحدات كان يعيش يومين، وبعضها كان يتم بواسطة الهاتف... وإذا أضفنا إلى ذلك وضع الجامعة العربية منذ ١٩٤٥ وهي لا تستطيع حل مشكلة أساسية، يكتمل فهمنا لحالة اليأس التي سادت الناس من الوحدة ودعاتها.

الحكم الدينى لا يعيش طويلاً فى أى قطر عربى؛

- ولكن تجربة التيار الدينى كانت اسوأ، كما حدث فى إيران مثلاً.

* التجربة الخمينية بدأت تكشف أن حكم رجال الدين بهذا المنطق الغيبى والغيبى والمتعصب والمتشنج، لا يمكن أن يكون عامل جذب واستقطاب للجماهير. وكنت أحياناً أقول: لنترك تجربة دينية تحكم حتى يدرك الناس الحقيقة. ونحن فى سوريا جربنا وتعثرنا. وتجربة عبد الناصر لم تحقق للأسف الآمال المعقودة عليها. وكذلك فشلت تجربة الشيوعيين فى عدن وكذلك فى العراق أيام عبد الكريم قاسم. إذن بقى التيار الدينى وحده لم يجرب فى الوطن العربى. وحكم الصادق المهدي فى السودان لا يمكن اعتباره حكماً دينياً وأن يكن يتميز بمسحة تدين محافظة، ولكنه حكم أقرب إلى الديمقراطية.

تجربة الخمينى هى التجربة الحقيقية لرجال الدين، وفيها كل الأمثلة السيئة من استبداد ورعونة وعنف غير مبرر وتخطى جوهر الإسلام. وهذه التجربة بمحصلتها النهائية كلما طال أمدّها تكشف جوانب أساسية لم يكن بالامكان كشفها بالتوعية والكلام والمحاضرات. وفى تقديرى أنه لا يمكن أن يعيش حكم دينى وقتاً طويلاً فى أى قطر عربى، والمستقبل ليس له.

- هذا ينقلنا إلى قضية "التحالف الوطنى لتحرير سوريا" الذى أعلن فى آذار (مارس) ١٩٨٢. لماذا لم تفكروا بإقامة هذه الجبهة إلا بعد مجزرة حماة؟

* من الصعب الحديث عن أسباب التأخر فى الإعلان عن «التحالف»، ولم اكن من الأشخاص الذين أجروا اتصالات فى وقت مبكر مع الإخوان. أتيت متأخراً إلى التحالف، وطلب منى حزب البعث أن أكون عضواً فى التحالف، ووافقت كرجل انضباطى. وهناك ضرورة لوضع ميثاق يحدد المبادئ الأساسية سياسياً وفكرياً فى ما يتعلق بالعمل الجمهورى المشترك.

تفوض النظام مع الإخوان المسلمين لضعافهم وتمزيق المعارضة،

ومن جملة القضايا التى حضرت جانباً منها الهيئة التأسيسية وأبدت رأى فيها قضية «دين الدولة الإسلام». وكان الإخوان المسلمون مندفعون لهذا الصيغة ولصيغة أن الشريعة هى المصدر للتشريع. وبعد جدال ونقاش اعتمدت الصيغة الموجودة فى الدستور العراقى الموقت وهى أن الشريعة الإسلامية من المصادر الأساسية للتشريع ولكنها ليست المصدر الوحيد. وكان هناك توجس وربما خيفة وعدم رغبة حيال كلمة الديمقراطية والاكتفاء بكلمة الشورى. والأساس هو المضمون، أى دولة دستورية وفصل السلطات والحريات العامة وتعددية الأحزاب. وفعلاً نص الاتفاق على مضمون الديمقراطية دون استخدام كلمة ديمقراطية أو كلمة اشتراكية، وفى المقابل فقد تبنا موضوع الوحدة تبناً صريحاً.

- هل عارض الإخوان فى استخدام كلمة الديمقراطية فى ميثاق التحالف لأنها تعنى حكم الشعب بينما هم يؤمنون بحكم الله؟

* فى تقديرى أن الإخوان المسلمين ينقسمون فى هذا الموضوع إلى أكثر من فئة.

بعض غلاتهم المتأثرين بسيد قطب والمودودي عندهم هذه النظرة، وكذلك حزب الجهاد. ولكن هناك فئات أخرى تؤمن بغير ذلك. وحتى الخمينية لم تتمكن من تجاهل العمليات الانتخابية والأحزاب لا يعترف بها الإخوان وكانت موضع نفور. وإذا استثنينا حزب الجهاد وحزب التكفير فإن جناح الإخوان المسلمين في مصر له نواب، ويتحدثون مثل التلمساني والهضبي عن الديمقراطية والاشتراكية الإسلامية. وهم يفسرون مضمون الشورى في هذا العصر بأنه يعنى الديمقراطية.

- في سوريا فصيلان للأخوان المسلمين يمثل أحدهما عدنان سعد الدين، ويمثل الثانى عبد الفتاح أبو غدة أيهما أقرب إلى المفهوم الذى نتحدث عنه؟

* عدنان سعد الدين اختبرناه كشخص من خلال وجوده معنا فى الأمانة العامة للتحالف. ولا شك فى أنه رجل منفتح ومرن سياسياً وفكرياً أكثر من الجناح الآخر فى بعض القضايا الإسلامية.

- إلا ترى أن حركة الإخوان المسلمين فى سوريا تحاول اليوم ركوب التيار فى نوع من المهادنة؟

* لقد قبل الطرفان بالميثاق وهو ينص صراحة على إقامة حكم دستورى وتعددية احزاب وفصل سلطات وحريات عامة. ولا يستطيع أحد الدخول فى النيات. ونحن لنا ما يوقعون عليه والأمور العملية. أما القول أنهم يحاولون ركوب الموجة القومية، فالواقع أن الموجة الدينية أكبر. وربما الأصح أن كل الأطراف شعرت بضعفها وعدم قدرتها على تغيير النظام منفردة، وآثروا الالتقاء لتغيير النظام الذى بطش بهم جميعاً.

- بعد أحداث حماه فإن "الأخوان" تعرضوا إلى اللوم أكثر من النظام لأنه لعبوا لعبة النظام الطائفية...

* لا شك في أن قضية حماه أضعفت الأخوان كثيراً. وجماعة عدنان عقلة زادت في انقسامهم. وهذا أضعف التحالف أيضاً الذي كان يحذر من المواقف والتصرفات الطائفية، وينذر من الاغتيالات الطائفية. وحافظ الأسد استغل الطائفة العلوية كما استغل غيرها في الحزب والجيش والسلطة.

التفاوض ... التكتكة:

- إذن لماذا جرّرت كلكر من بعثيين وناصرين واشتراكيين ومستقلين إلى قبول مبدأ الكفاح المسلح على طريقة الإخوان المسلمين؟

* في الأصل، مبدأ الكفاح المسلح للتحرير هو بمعنى تهيئة الجو لتتمرد شعبي مسلح ضد النظام وليس بطريقة الانقلابات العسكرية المعتادة. وفي الحقيقة لم تعد لي صلة تنفيذية أو تنظيمية في مثل هذه الأمور لأن للعمر استحقاقاته. ونشاطنا فكري وإعلامي وسياسي. وليست لدى تفاصيل عن النشاطات العسكرية للأخوان أو غيرهم. وعندما نشاهد عمليات مثل الأزيكية والباصات نستنكرها فيسارعون إلى القول أنهم لم يفعلوها، وجماعة أبو غدة دانت عمليات الأزيكية والباصات. وهكذا هي القضية: فعندما تظهر نتائج سلبية لبعض العمليات فإنهم لا يتبنوها ويقولون أنها عمليات خلايا في الداخل. لماذا لا تسأل عدنان سعد الدين أنه رجل صريح...

- سألناه وشرحها... ولكن الإخوان المسلمين لم يتقيدوا بتوجهات

التحالف، فهم فافوضوا مثلاً على دوبا...

* النظام الداخلي للتحالف لا يقيد نشاطات الفئات المنتسبة إليه. وهناك اجتهاد لدى الأخوان أن التفاوض مع النظام هو من النشاطات السياسية. وقبل الانشقاق كان لهم مجلس شورى لم يحرم التفاوض مع العدو من حيث المبدأ. ويستشهدون في التاريخ الإسلامي بحلف الفضول وصلاح الحديبية، والتفاوض شيء والاستسلام شيء آخر. وكانت هناك معاناة شديدة ورهيبة في الداخل، وكان من شأن هذه المفاوضات التخفيف من معاناتهم. وكانت هذه هي مبررات الأخوان قبل انقسامهم حول التفاوض. جربوا في محاولة أولى وتكررت التجربة بعد الانشقاق مع جماعة أبو غدة. وكنا نبهناهم بعد المحاولة الأولى أن النظام سيستغل المفاوضات، وأنه لا يجوز أن يكرروا الخطأ. ولكن في ضوء التجربة والنتائج أصبح من غير الممكن بعد الآن لأي طرف أن يتفاوض دون موافقة التحالف ككل. وعندما يشعر حافظ الأسد بأنه مستعد للتراجع أو يقبل بخطوة انتقالية عندها يمكن التفاوض كما حدث في فيتنام: السلاح بيد في الداخل، والتفاوض بيد في باريس.

— قال عدنان سعد الدين في مقابلته مع "الوطن العربي" إنك شخصياً وأمين حافظ وافقتما عام ١٩٨٤ على المضي في التفاوض وسلمتماً لائحة بالمطالب من النظام...

* لم أسلم لائحة ولم تكن لدى لائحة أصلاً. ولكننا نتعامل في «التحالف» بأسلوب مرن ولبق دون تأنيب أو لوم شديد. ونبهناهم وقلنا لهم أن حافظ الأسد سيستغل الموقف وهو في مركز القوة، وهو قادر على الاستفادة من العملية وأن الأخوان سيخسرون. وكانت النتيجة كما قلنا لهم. ومن يومها اتفقنا على أن من يفوض

يعتبر خارج التحالف.

- لماذا تفاوض النظام مع الإخوان؟ هل لأنه أصيب بالوهن ويحاول جلب هذه العناصر لتقوية النظام؟ أم أنه قوى وأرسل مخابراته ليجلب هؤلاء الضعفاء ويكون مثلاً لغيرهم؟

* جماعة النظام يجيدون التكتكة. وعندما يتمكنون من إصابة خصومهم بالشلل فإنهم لا يترددون. قادة الإخوان ليس لديهم الدهاء والخبرة السياسية. وقد يكون الاحتمالان واردان. وقد يكون النظام شعر بأن الوقت ملائم بعد قضية حماه وانشقاق الإخوان وظهور جماعة عدنان عقلة. والنظام أوفد رسلاً إلى جماعات من التحالف وقالوا: «تفضلوا نتفاهم».

- هل تلقيت شخصياً عرضاً من هذا النوع؟

* لا، ليس شخصياً، ولكن وصلت عروض إلى أشخاص مقيمين في القاهرة وبغداد ورفضوا. وبيدوا أن مبادرة النظام بالتفاوض مع الإخوان كان بهدف اضعافهم، وكل لقاء حدث كانت تبث حوله الشائعات لأحداث البلبلة في صفوف الإخوان والمعارضة، ويزداد الأذى خصوصاً في الداخل. ورغم تفاوض الإخوان مع على دوبا فإن تعاونهم مع النظام غير وارد في اعتقادي. وهم يتفاوضون من منطق الضرورات القصوى لتخفيف الأعباء عن جماعتهم.

- ولكن إيران هي التي توسطت لإعادة عدنان عقلة إلى سوريا...

* لأول مرة أسمع بذلك. والأخوان المسلمون في سوريا كانت لهم صلات مع الخميني عندما كان معارضاً، وفي السنة الأولى بعد وصوله إلى السلطة، ثم اختلفوا بعد الحرب.

- تحدثت في التحالف عن الأخوان دون سواهم... فماذا عن الفئات الأخرى؟

* الناصريون عددياً كثيرون ولكن قياداتهم متعددة كمجموعة جمال الاتاسي مثلاً. وهم غير قادرين على التحرك والاستقطاب والتوسع، مثل جماعة صلاح جديد والحزب الشيوعي. ونظراً لطبيعة الحكم الأرهابي في الداخل لا توجد قوة أو حركة بارزة بين الجماهير. وحتى البيانات يتم تداولها على نطاق محدود.

الحوارنى يعتقد أن صبغة المعارضة لن تحقق نتائج،

- لماذا خرج اكرم الحوارنى من التحالف؟

* اسأله...

- سنحاول، ولكن إلا تعرف لماذا خرج؟

* عندما تسأل اكرم الحوارنى يقول لك أن الأسباب صحيحة. وفي اعتقادى أنه بعد التحليل وصل إلى اقتناع بأن مثل هذه الصيغ لا تحقق نتائج. وهو عادة يريد أن تتم الأمور بسرعة.

- المر يطرح بدائل؟

* لم يحدد البديل بالضبط. ومع تقديرى للأستاذ اكرم الحوارنى، فإنه يقيم وزناً كبيراً للظروف العربية والدولية وفي تحليله أن النظام مدعوم عربياً وشرقاً وغرباً.

- وجود مصطفى حمدون في الأمانة العامة للتحالف إلا يعتبر أنه يمثل الحوارنى؟

* لا أظن، مصطفى حمدون ليس تابعاً للحوارنى، وهناك طبعاً صلات ود واحترام

لا صلات بالمعنى التنظيمى أو الحزبى.

- مصطفى حمدون عسكرى، فلماذا تعيدون تجربة ادخال العسكرين إلى الأمانة العامة للتحالف؟

* أنه مدنى الآن...

- ألم تشترك فى انقلاب عسكرى؟

* معلش... وأنا سمعت منه نقداً شديداً للانقلابات العسكرية والتدخل العسكرى.

- لماذا لم توجهوا الدعوة إذن إلى عبد الحميد السراج للاشتراك فى التحالف؟

* عرضوا عليه ذلك، لكن ظروفه ولا أوضاعه الصحية تسمح بالقيام بأى نشاط.

- لماذا لم يدخل الحزب الشيوعى (المكتب السياسى) فى التحالف؟

* هناك مساع لإدخالهم.

الحوارنى والآخرون

- مضت ست سنوات ولم تنجحوا فى ادخالهم بعد...

* العقبة ليست منا، وهم لهم ظروفهم. ونحن نتحاور مع الحزب الشيوعى (المكتب

السياسى)، وملتقى مع أحمد محفل عندما نذهب إلى باريس ونتشاور وتبادل

الرأى وهو معارض، وملتقى معاً فى أمور كثيرة.

- وماذا عن جماعة "البعث الديمقراطي" في الجزائر أى جماعة إبراهيم ماخوس؟

* أعتقد أنه لم يعد لهم وجود أو تأثير شعبى، ولا أدرى ما إذا كانت لهم اتصالات مع بعض الضباط العلويين، ولكنهم تعرضوا لانشقاقات كثيرة.

- أنهر يحاولون إقامة جبهة معارضة...

* نحن نشكرهم على هذه الجهود...

- هل جرى حوار بينكم وبينهم؟

* حدث لقاء معهم ومع إبراهيم ماخوس منذ عدة سنوات من أخوان كانوا يترددون على الجزائر. ويتبين من خلال تصوراتهم الجديدة أنهم جنحوا أكثر نحو الماركسية سياسياً وفكرياً. أما تنظيمياً فينتابهم الضعف أو تخلت قيادتهم عنهم. وحبيب حداد اختلف مع ماخوس، وهناك حمود القباني وغيره...

- هل طلبتم منهم الانضمام إلى التحالف، أم أنهر طلبوا ورفضتم؟

* حدث حوار، وتبين وجود خلاف فى نقاط كثيرة وكانوا متشنجين ضد العراق وضد «الأخوان» وكانوا سلبيين عموماً. ونحن نحملهم مسؤولية أمور كثيرة. والآثار القديمة لا تساعد على اللقاء.

- شعارات حزب البعث هي: الوحدة والحرية والاشتراكية. لا الوحدة تحققت، والحرية داس عليها العسكر، والاشتراكية تمر كست وفشلت. ما تعليقك كأمين عام مساعد لحزب البعث؟

* تعثر تطبيق المبادئ لا يعنى أن المبادئ غير صحيحة. وإذا انتكست الوحدة أعوام

٦١ و٦٣ و٦٨ وغيرها فهي لم تكن كلها من صنع البعث. ويحدث أحياناً أن يتغير الأشخاص عندما يصلون إلى السلطة، والحكم له مغرباته وتراجع حينذاك الاعتبار العقائدية. وكما قال عبد الناصر مرة: عندما تنادى بالوحدة وتتفق لا نتعرض لأخطار ثورة الاستعمار والصهيونية. ولكن عندما نحقق ولو خطوة عملية واحدة تتجه إلينا كل السهام بقوة وعنف... وما قاله عبد الناصر صحيح لأن الوحدة العربية هي الخطر الحقيقي في نظر إسرائيل وأميركا.

زعماء إسرائيل يقولون أنهم لا يحاربون إلا عند أحياء الجبهة الشرقية، أو عند اسقاط نظام صديق لهم، أو عند اقامة خطوة وحدوية. والمصيبة أن معظم الفئات الحاكمة في الوطن العربي هي من أصول عسكرية.

أن الديمقراطية والوحدة هما من القضايا الخطيرة في نظر إسرائيل والاستعمار والحكام المستمتعين بالبقاء في إطار قطري والشرعية القطرية. والحالة القطرية صار لها تقاليد وقوانينها واشخاصها وطبقتها وحكامها. وطبعاً لا يخطر في بالهم أن أى دولة قطرية لن يكون في وسعها العيش وحدها حتى في مدى عام قريب هو العام ٢٠٠٠، ولن يكون في مقدورها ضمان أمنها وغذائها وكيانها السياسي أو الثقافي أو...

الحاكم القطري يفكر فقط في كيفية بقائه في السلطة لعشر سنوات أو لعشرين سنة. وحتى المشاريع الاتحادية التي يفكرون بها تكون تضامنية لحماية أنظمتهم وبقائهم في السلطة. وتنازلاتهم في خطوات وحدوية تكون شكلية فقط وهم غير مستعدين لاقامة دولة واحدة ذات شخصية دولية واحدة، وأن تتحول بقية الاقطار إلى ولايات... مع أنه في الصيغة اللامركزية أو الاتحاد الفدرالي يبقى الحاكم في قطره كنائب للرئيس، ولكنهم يريدون أن يكونوا كل شيء في السلطة.

أما الاشتراكية كما طرحها حزب البعث فمن الصعب أن تتحقق وتعطي ثمارها التي

تجذب الجماهير، ما لم تتم في إطار قومي. الاشتراكية في كل قطر وحده غير ممكنة. الاشتراكية في معناها التخطيط والعدالة وتكافؤ الفرص، ولكن الاشتراكية في التجارب القطرية إلى اشتراكية - راسمالية الدولة، أي رأسمالية الحكام. وجاء العسكر فأفسدوا القضية. عام ١٩٦٤ أمنا في سوريا ٩٨ شركة وكان أمين الحافظ رئيساً للجمهورية. ولا يزال أبو عبدو يدافع عن ذلك القرار ويقول أنه لم يكن ارتجالياً. وأنا أقول أنه كان أكثر من ارتجالي إذا تبين أن هناك ٢٨ شركة من التي أمت لم يكن لها وجود، ومسجلة فقط في دليل الهاتف.

عندما كنت وزيراً للإصلاح الزراعي ذهبت في زيارة إلى الجزائر. وكان الأستاذ ميشال عفلق وصلاح جديد ومحمد عمران قد اتفقوا على تعيين أحمد أبو صلاح وكلاً لوزارة الزراعة وكان ميالاً للعسكر، وأمره بأن يصدر قرار الإصلاح الزراعي في غيابنا الذي أعدته أنا بصفتي وزيراً للزراعة.

- إذن فشل التطبيق الاشتراكي في سوريا؟

* ليس تماماً. بل تعثر، رغم أن التطبيق الاشتراكي بمفهومه المثالي فشل حتى في الإتحاد السوفياتي، خصوصاً في ما يتعلق بالصناعات. عدم التركيز على الحواجز الفردية كان خطأ كبيراً. البيطار انتبه إلى ذلك، فكانوا يضايقونه ويتهمونهم باليمينية والرجعية. وكانت المزايدات هي السائدة للاخراج.

النظرية والتطبيق

- هل هناك إعادة نظر جذرية في مفاهيم البعث بعد أن اتضح أن التطبيق في الماضي كان لمصلحة الطبقة الحاكمة؟

* لا، لا هي إعادة نظر جذرية ولا هي لمصلحة الطبقة الحاكمة. عند التطبيق تظهر عقبات كثيرة فنية ومالية وإنسانية بالدرجة الأولى. وليس كل من تحمس للشعارات الاشتراكية قادرة على تطبيقها. المصانع تحتاج إلى الأفراد وإلى الخبرة أيضاً مع وعى عقلانى لمفهوم الاشتراكية. مثلاً: عين العسكر محافظاً لحمص هو هلال رسلان، وأول عمل قام به هو تأمين... الأفران! وخطط لتأمين الفنادق والمطاعم والدكاكين. وكان وراء ذلك مفهوم يسارى طفولى وعدم نضج وتكتل ومزايدة بقصد التنافس على مراكز الدولة. لذلك اختلط الحابل بالنابل وسادت الفوضى. ولم تكن فى الحزب الكوادر الكافية لاملأ المراكز الشاغرة فى المصانع والتعاونيات. ودخل الحزب فى دوامات المظاهرات والخصومات مع الناصريين والقوى الرجعية والأخوان المسلمين وقضية حماه وقصة الشام... وكانت العناصر القيادية قليلة، واضطرت إلى استلام ثلاث وزارات هى الاصلاح الزراعى والتربية والتعليم والثقافة فى وقت لم يكن يتجرأ أحد على استلام وزارة. وكنت فى عضوية قيادة قطرية بعد فترة عضوية فى القيادة القومية. ولم يكن فى استطاعتى القيام بكل هذه الأعباء على الوجه الأكمل.

- نقرأ فى أدبيات المعارضة اليوم أنه لا يوجد حزب بعث فى سوريا حالياً. كيف تفسر ذلك؟

* البعث هو الوحدة والحرية والاشتراكية. وهو الحد الأدنى من الاخلاق والمصادقية. والنظام السورى دعوته إلى الوحدة لفظية وفى التطبيق يفعل العكس. وكل خطوة وحدوية قابلة للتحقيق يحبطها ويفشلها. والتضامن العربى الضرورى لأية خطوات إتحادية يفشلها أيضاً. وأى معنى لموقف نظام «وحدوى» مزعوم أن يدعم دولة أجنبية مثل إيران معتدية على دولة عربية مثل العراق، وهو البلد الذى كانت له مواقف

وطنية وقومية واضحة واشتراك في القتال إلى جانب سوريا عام ١٩٧٣ ، وقبله . هذا الموقف السوري غير مبرر لا قومياً ولا وحدوياً، وهو مناقض لأبسط مبادئ الحزب .

وحزب البعث مع القضية الفلسطينية، وكلنا يعرف موقف النظام السوري من منظمة التحرير ومحاولات شقها متذرعاً بخصومته لأبو عمار . ويأسر عرفات مرناً ولكنه اصطدم برغبة النظام السوري في وضع الفلسطينيين تحت إبطه، ويساوم عليهم .

أما الحرية فليس لأحد أن يدعى بوجودها في ظل النظام السوري . ومجلس الشعب السوري أشبه بالمجلس أيام الأتراك ومهمته أن يقول «نعم افندم» . وليس له أو للوزارة أو للجبهة الوطنية إلا الموافقة في إطار الشكليات . فضلاً عن أنه نظام غير رحيم قصف شعبه برجمات الصواريخ في حماه وسقط أكثر من ثلاثين ألف ضحية . وعندما يدعى أنه يحارب الفساد ويظهر أن أركان النظام هم أركان الفساد، يلفلف القضية .

— لماذا يصير النظام السوري على القول أن زكي الأرسوزي هو مؤسس حزب البعث؟

* ذلك حتى يقال أن للعلويين أيضاً دور في تأسيس الحزب وهذا استغلال طائفي بشع . وزكي الأرسوزي رجل وطني وقاد الحركة الوطنية لمنع سلخ لواء الاسكندرون، ولكن ليس له أي دور في بناء حزب البعث وتأسيسه اطلاقاً . كان موجوداً في دمشق، وكل الذين انتسبوا إلى الحزب في محافظة اللاذقية من المتأثرين بالأرسوزي، فعلوا ذلك أفرادياً مثل صدقي إسماعيل وفايز إسماعيل . ثم أن الأرسوزي لم يكن يدعو إلى الاشتراكية ولا يربط بين الحرية والوحدة والاشتراكية . وإذا كان أحد طلاب الأرسوزي قد أنشأ جريدة حائط اسمها البعث، فليس معنى ذلك أنها تعني الحزب، وكلمة البعث موجودة في اللغة وفي القرآن الكريم . ولساطع الحصري فضل كبير على الأرسوزي وسمعت من الأستاذ

عفلق أن الارسوزى كان يرى أن الوحدة العربية لا تتحقق إلا بدعم دولة أجنبية كبرى.

وكان حزب البعث يدعم ثورة رشيد عالي الكيلانى عام ١٩٤١ ويدعم حركة نصرة العراق، بينما كان الارسوزى يعتبرها حركة انكليزية مشبوهة. والارسوزى يعتبر أن الجاهلية هي العصر الذهبي للعرب، بينما يعتبر البعث أن الإسلام هو الذى وحد العرب والإسلام.

— هل الأرسوزى عنصري؟

* قد تكون عنده مفاهيم عنصرية، وجاء فى كتبه أن مفهومه للقومية العربية يقوم على أساس العرق.

ليس مستحيلاً أن يختلف العلويون عمران

اغتيال وجديد فى السجن ورفعت فى المنفى

— كيف تتصورون سيناريو سقوط النظام السورى ما دمتم تستبعدون فكرة الانقلاب العسكرى والعمل المسلح؟

* هذا النظام أنكشف بالنسبة للشعارات التى يعلنها. واستمراره فى سياسة البطش بكل القوى يكسبه عدااء تلك القوى. وهناك الأزمة الاقتصادية المتفاقمة، وحالة التآكل من الداخل. وهناك المنافسات داخل النظام والخلافات بين أقطابه كما حدث مع رفعت الأسد الذى اضطر إلى مغادرة سوريا وهو نائب للرئيس وشقيق له، مما يعنى أن الأزمة حقيقة.

وهناك من يقول أنه من المستحيل أن يختلف العلويون وهذا غير صحيح. والدليل أن

عمران اغتيال وصلاح جديد وجماعته فى السجن منذ ١٨ سنة، ورفعت الأسد فى المنفى. وهذا الوضع لا يحتاج إلى ثورة مسلحة عارمة، بل يحتاج إلى أن تظهر المعارضة نفسها مترابطة ومتفاهمة وتنشط اعلامياً وسياسياً. وعند الضرورة تقوم بتحركات شعبية عندما تسمح الظروف بذلك، وهذا ممكن وليس مستحيلاً. من كان يعتقد مثلاً بإمكانية حدوث الانتفاضة الفلسطينية الشعبية؟ ومن كان يظن أنه يمكن الاطاحة بنميرى فى السودان بحركة شعبية؟ أو بالسادات؟

هناك بوارق أمل. وعندما يتحسن الوضع العربى يتحسن وضع المعارضة. وإذا نجحت بتغيير النظام السورى فإن الكثير من القضايا القومية والوحدوية سيتغير. وأى حكم وطنى وحدوى بين سوريا والعراق والأردن، وهذا يقطع يظهر إسرائيل.

بعد عودة رفعت الأسد إلى دمشق ستتفجر أوضاع كثيرة:

— لكن ما هى نقطة الفصل فى سقوط النظام؟

* البعض ينظر إليه الأوضاع الصحية المتدهورة لحافظ الأسد. وهناك من يراقب عودة رفعت الأسد إلى سوريا، لأن ذلك يعنى توافر قوة ضاغطة تمكنه من العودة وتحميه وعندها قد تنفجر أمور كثيرة.

— هل اتصل التحالف برفعت الأسد؟

* لا، لم يتصل به....

الفصل التاسع

تغيير النظام السورى

الفصل التاسع

محمد الجراح الأمين العام
للإتحاد الاشتراكي الناصريون

تغيير النظام السوري ممكن بانتفاضات شعبية متتابعة؛

الجراح كان يعرف بأنه نابليون دمشق.... وكان كل يوم في عزة عسكريته يصطف
له الجند لتحيه وعندما انهار حكمه ضرب قفاه بالكندره... أو البطار...

- من هو محمد الجراح؟

* سؤالك عام وغامض....

- أعني: من أنت، متى ولدت، كيف كانت نشأتك، وما هو مستواك
الثقافي.. نظرة سريعة عن حياتك.

* محمد الجراح مولود في التل في دمشق عام ١٩١٨. أصلى فلاح وأكملت
الدراسة الثانوية في دمشق. دخلت مدرسة دار المعلمين، وبعدها مدرسة ضباط
الدرك. ودرست الحقوق في جامعة دمشق. وعملت في سلك الدرك قائد فيصل.
دخلت السلك عام ١٩٤٤ وبقيت فيه إلى ١٩٥٤. ونقلت إلى ملاك الجيش
لأن الشيشكلي جعل الدرك تابعاً للجيش. وكنت النائب العام العسكري بين
١٩٥٤ و١٩٥٨. وفي أثناء الوحدة أعدت إلى ملاك وزارة الداخلية واستلمت
قيادة قوى الأمن في سوريا وكانت تتألف من رجال شرطة للمدن ورجال درك
للأرياف، وبقيت في هذا المنصب حتى وقع الانفصال. وانخرطت في العمل
السياسي مع فريق الوجدوين الذي اطلق عليه «الجبهة العربية المتحدة» كتنظيم

لأنها لم تكن حزباً في الأصل. وكان هدف هذا التجمع العمل على إعادة الوحدة. وعندما سقطت حكومة الانفصال الأولى في ٨ آذار (مارس) ١٩٦٣ نشب خلاف مع الحزب الحاكم في سوريا، وقامت حركة ١٨ تموز (يوليو) ١٩٦٣ التي قادها الأستاذ جاسم علوان، فتم اعتقاله وبقيت في السجن، وخرجت في أواخر حزيران (يونيو) ١٩٦٤.

— وجاسم علوان؟

* التقينا في السجن، وصدر أمر بالحكم علينا بالاعدام غيابياً، وتم رصد جائزة قدرها عشرة آلاف ليرة سورية لمن يأتي بأى واحد منا حياً أو ميتاً. وقد أخرجوا المسجونين على دفعات وخرجنا معهم، وأبعد جاسم علوان إلى خارج الحدود مباشرة.

في ١٩٦٤ أعلن عن قيام الإتحاد الاشتراكي العربي في مؤتمره التأسيسي في بيروت، وتولى رئاسة المكتب السياسي الأستاذ نهاد القاسم رحمه الله. وانضم إليه افرقاء من القوميين العرب والجبهة العربية المتحدة والوحدويين والاشتراكيين وعناصر منفصلة عن البعث بينهم لؤي الأتاسي.

— بعد الإفراج عنك ماذا فعلت؟

* بقيت في سوريا. وعندما أعلن عن قيام الإتحاد الاشتراكي انتسبت إليه مع جمال الأتاسي، وأقمنا الإتحاد الاشتراكي داخل سوريا وانتخبنا قيادة مؤقتة. وبعد سنة تلقينا دعوة إلى أول مؤتمر للإتحاد الاشتراكي في القاهرة، ولم نتتمكن من إيفاد أحد لأن من يخرج لا يعود. وفي هذا المؤتمر انتخب جاسم علوان أميناً عاماً للإتحاد، واعتذر نهاد القاسم عن عدم متابعة مسؤوليته كعضو في الإتحاد.

بدأ التفكير بإنشاء الإتحاد بعد ستة شهور من الانفصال تقريباً من عناصر القوميين العرب وبقايا البعثيين مثل جمال ولؤى الأتاسى. وخرج من الإتحاد فى البداية الـوحدويون الاشتراكيون مثل فايز إسماعيل.

— لماذا؟

* لم تسخن الأرض تحتهم. اجتهدوا وقالوا أنه من الأفضل الرجوع إلى حزب البعث والعمل من الداخل، بدل الممارسة من الخارج. وقد استخدموا الكلمة الدارجة «التأوير» وهى الكلمة التى تطلق على عملية افراغ الكوسى عند تجهيزه للطبخ. والبعض اتهم هذه الحركة بأنها تخريبية. وقواعد الـوحدويين الاشتراكيين لم تكن بعثية بل ناصرية. وحدث التمزق. والبعض اجتهد من مصلحة فكرية، والبعض الآخر من مصلحة وظيفية، وأخيراً عادوا.

— فى أى سنة بالضبط؟

* عادوا بعد عام ١٩٧٣.

— ماذا حدث بعد حركة شباط (فبراير) ١٩٦٦؟

* بعد الـوحدويين الاشتراكيين، خرج القوميون العرب من الإتحاد الاشتراكي. وحدث تناقض تنظيمى بعد التناقض الفكرى غير المعلن. وكنا نشاهد فى الممارسة تصادم القواعد ببعضها بعضاً. وكانت هنالك خلافات دائمة بين قواعد القوميين العرب وقياداتهم.

بعد أن تشكلت قيادة فى الداخل مستقلة عن الخارج، لعدم قدرة الخارج على القيادة، بقى نوع من التنسيق السياسى الرمزي. وتشكلت قيادة ثلاثية فى الداخل تضم جمال الأتاسى، وشخص من عائلة الضلّى وكان موظفاً فى وزارة التربية، وأنا. وكان

الضلي قد حل محل أسامة الهندي شقيق هاني الهندي، بعد أن أعتقل أسامة عام ١٩٦٥.

— لماذا وقع الانشقاق؟

* الوضع الداخلي كان انفصالياً فكرياً وسياسياً. وعقد المؤتمر العادي للإتحاد الاشتراكي لطرد القوميين العرب، ولم يحضروا المؤتمر، وتغيبهم كان يعنى فصلهم.

القوميون العرب

— وهذا أحدث هزة في الإتحاد طبعاً...

* لا شك في ذلك. لكنه في الأصل لم يكن ممكناً تنظيم القوميين العرب... وقد انتهوا فعلاً.

— كيف؟

* لم يبق شيء اسمه «القوميون العرب». توزعوا بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية. وفي الكويت إنقسموا إلى جناحين أحدهما يساري متطرف وأقرب إلى الشيوعية، والثاني منطقته ناصري. وبعد خروجهم من الإتحاد الاشتراكي صدرت في صحيفتهم «الحرية» عدة دراسات تؤرخ للقوميين العرب. وفحوى هذه الدراسات يقول أنهم عاشوا العمل النضالي في ثلاثة وجوه: فقد كانوا أمام الجماهير من الناصريين، وأمام القواعد كانوا من اليسار الناصري، وبين بعضهم بعضاً كانوا ماركسيين. وخلصوا إلى هذه النتيجة، وهي أنه آن الأوان للأعلان عن وجههم الحقيقي... الماركسي! وقلنا لهم: لو أعلنتم ذلك من البداية لخففتم عنا وعنكم!

القوميون العرب عاشوا النضال بثلاثة وجوه:

وبعد خروج القومييين العرب بفترة وقع تناقض داخل الإتحاد الاشتراكي حول قضية جمال الأتاسي الأمين العام المساعد للإتحاد. وقد أخذنا بالأجماع موقفاً سلبياً من تصرفاته وسلوكه. فمثلاً، قبل حرب ١٩٦٧ بقليل اجتمعنا وقلنا أنه ينبغي إنهاء التناقض مؤقتاً مع النظام لأن المعركة قادمة. وخولت اللجنة المركزية جمال الأتاسي صلاحيات إستثنائية بصفتة الأمين العام المساعد. وقررنا بعد التداول توجيه مذكرة علنية إلى السلطة نقول فيها أن النظام في سوريا لا يستطيع خوض الحرب بهذه التركيبة وهذه القيادة. وقدما المذكرة في أواخر أيار (مايو) وقبل حوالي ١٢ يوماً من بداية الحرب في ٥ حزيران (يونيو)، وطرحناها أنا. وطالبنا بإدخال العناصر الفعالة في المواجهة. وأحضرت مذكرة إلى الدكتور جمال الأتاسي موقعة من ٢٥ شخصاً وأنا منهم ليتولى أمر الصياغة... ولكنه أختفى بعد ذلك ولم يظهر إلا في اليوم الثالث لبداية الحرب. وعندما سألناه عن الأمر قال أنه لم يقدم المذكرة لأن لؤي الأتاسي لم يوافق عليها. وقلنا له إن لؤي الأتاسي ليس هو مرجعنا. وأختلفنا في هذه النقطة.

وكانت في دمشق مجموعة ناصرية برئاسة ثابت المهاني (التنظيم الناصري)، والتقينا معها. وكان المهاني من القومييين العرب وأنشق عنهم في أيام الوحدة. وبعد الحرب، دخل المهاني وجماعته في الإتحاد. وطلبت منا السلطة الاشتراك في وفد يقوم بجولة في الدول العربية لتثبيت الحالة المعنوية للسوريين في الخارج ولجمع التبرعات. وطرحنا هذا الأمر على الإتحاد الاشتراكي، وتحملت مسؤولية مرافقة وفد السلطة الذي كان برئاسة عبد الله الأحمر. وذهبنا إلى ليبيا وقلنا للسوريين هناك أن النظام لم يحارب، وأعطينا الصورة الحقيقية للوضع. ثم ذهبنا إلى مصر، وهناك اتصلت سراً مع جاسم علوان واجتمعنا ساعتين.

انضمام ثابت المهائني للإتحاد الاشتراكي كان المداخل للقطيعة بيننا وبين جمال الأتاسي. وكان عدد أعضاء اللجنة المركزية للإتحاد عشرة. وعندما عدت من السفر اجتمعت مع جمال الأتاسي، وأبلغني بأنه يرفض الجلوس مع ثابت المهائني عضو اللجنة المركزية. وفي اجتماع اللجنة أنقسمنا: ٦ ضد ٤ مع الأتاسي. وأنتهى الأمر بالانقسام في أوائل عام ١٩٦٨. وبعدها أستقال جاسم علوان كأمين عام وطلبناه بالرجوع عن الاستقالة. وبعدها بعشرين يوماً عقد جمال الأتاسي مؤتمراً وانتخبوه أميناً عاماً للإتحاد الاشتراكي (الأمانة العامة). واستمر الوضع على هذا الشكل. وحاولنا توحيد الإتحادين بعد موت عبد الناصر عام ١٩٧٠.

- وماذا حدث لكم بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠؟

* طلبنا من جاسم علوان أن يعود لتولى منصب الأمين العام فرفض. ومع ذلك فقد عقدنا مؤتمراً وانتخبناه أميناً عاماً وأنا كنائب للأمين العام. وقد أصر علوان على الرفض، وأنقسم الإتحاد وتعايشنا مع ذلك.

أذكر أنني زرت جمال الأتاسي مرة، بعد أول خلاف بين حافظ الأسد وصلاح جديد. وتداولت معه في أمر القيام بحركة ما فأجاب أنه لا يستطيع خوفاً من وقوع حرب أهلية.

- ماذا كان موقفكم كناصريين من حركة حافظ الأسد التصحيحية عام ١٩٧٠؟

* كنا نعتبر أن الخط هو نفسه، ولكن عندما دعا مجموعة لوضع ميثاق الجبهة طلبنا أن نكون طرفاً في لجنة الميثاق. ولم نطلب ذلك عن اقتناع بل كنوع من الحماية السياسية وحتى لا تتهم بالسلبية. وكان رأينا أنه إذا جاء الميثاق جيداً نكون وصلنا إلى ما نريد، وإذا لم يكن مناسباً فإننا نخرج من الجبهة ونسجل موقفنا. وصدر

الميثاق ولم تقبله.

وكان حافظ الأسد وقتها رئيس الوزراء، وكان أحمد الخطيب رئيس الدولة. وروى لي جمال الأتاسي أنه التقى مرة مع الأسد وسأله: من أين جئتم بأحمد الخطيب؟ ألم تجدوا شخصية أفضل منه لرئاسة الدولة؟ وأجاب الأسد: من نضع غيره في الرئاسة؟ ورد الأتاسي: بما أنك قمت بالحركة فاستلم أنت رئاسة الجمهورية. ويبدو الأسد كان متردداً في تولي الرئاسة في ذلك الحين ربما لاعتبارات انتمائه الطائفي.

عندما شارك جمال الأتاسي في الجبهة امتعض فريق من القواعد واتصلوا بنا وأبدوا الاستعداد للانضمام إلينا، لكننا نصحبناهم بالبقاء في أماكنهم. وبعدها بدأ التحضير لإعلان الدستور الجديد. وفي تلك الفترة توجهت إلى ليبيا لحضور المؤتمر التأسيسي للإتحاد الاشتراكي. واصدرنا بياناً ضد الدستور. واعتقل من تنظيمنا عشرون شخصاً وفي مقدمتهم عدنان عثمان عضو اللجنة التنفيذية. ثم ارتفع عدد المعتقلين منا إلى ٤٠ شخصاً. وصدر أمر باعتقاله. وبعث إلى بعض عناصر التنظيم ينصح بتأخير عودتي إلى سوريا. وبقيت عشر سنوات في ليبيا من ١٩٧٣ وحتى ١٩٨٢.

الناصرية،

— لماذا غادرت ليبيا؟

* اقمنا في ليبيا على اساس أنها ناصرية، ولكن علاقاتها توثقت مع سوريا إلى درجة طرح فكرة الوحدة. ولم يعد في الأماكن التعايش من هذا الوضع. وغادرت إلى أوروبا.

الناصرية "نهمة" اطلقها الانتصاليون على الوجدوين؛

- ولكن تنظيمكم يعتبر الآن فى حكم المنتهى، اليس كذلك؟
- * أنه لا يزال فى سوريا ويعمل تحت الأرض والقيادات غير معلنة.
- هل اقترع خطوط اتصال مع جمال الاتاسى؟
- * لا، ويمكن أن تكون هناك مشاورات فى الداخل بشكل شخصى.
- هناك من يقول أن الناصرية انتهت فى مصر نفسها فكيف يمكن أن تستمر فى سوريا؟ ثم ماذا عن مشاركة "الناصرية" ممثلة بشخص جمال الاتاسى فى الحكم؟
- * نحن اعتبرنا مشاركة الاتاسى أنها تتعارض مع الموقف الوطنى. ونحن لا نطعن بوطنيته ولكن باجتهاده. أما الناصرية فنعتبر أنها أصدق بعد عبد الناصر لأن عبد الناصر كشخص زال، ومن كان يريد التقرب منه أو المتاجرة به فى حياته فقد انتهى، ولم يبق إلا الناصرى الذى يؤمن بناصريته كحل قومى ووطنى.
- الذين ينتقدون الناصرية يتهمونها بالدكتاتورية وعبادة الفرد ويحملونها مسؤولية فك الوحدة؟
- * لم يكن هناك شئ اسمه ناصرية فى زمن الوحدة. اخترع هذه الكلمة فريق من الصحافيين الانفصاليين، وكان القصد منها الاتهام والانتقاص واللمز. وراجت الكلمة واصبحت رمزاً لتيار. أما عن الاتهامات الموجهة إلى الناصرية فأقول أن عبد الناصر لم يأت إلى سوريا فاتحاً بقوة الغزو العسكرى، بل أن السوريين من مدنيين وعسكريين هم الذين ذهبوا إليه وطلبوها منه. وعبد الناصر وضع شروطه ضمن ظروفه، ولم يعد بالديمقراطية. وهو النفى الأحزاب وأنا لا أوافق على ذلك رغم أننى ناصرى. وهم قبلوا بحل الأحزاب. وحده الحزب الشيوعى رفض وتحمل

مسؤولية قراره، ورفض التصويت على الوحدة. وكنا نتساءل دائماً: هل الانفصال ثورة أم مؤامرة؟

الشيوعيون روجوا صوراً مزورة فاضحة لعبد الناصر وعامر:

وعلى كل حال فإن الأجهزة في زمن الوحدة لم تفعل شيئاً أكثر مما فعلته قبل الوحدة وبعدها. وكنت أول من دخل السجن بعد الانفصال وتبعني عبد الحميد السراج، وكان في السجن ٨٣ شيوعياً بالتحديد. وكان الشيوعيون يتصدون علناً لعبد الناصر بكل الوسائل، إلى درجة أنهم كانوا يروجون صوراً مزورة لعبد الناصر وعبد الحكيم عامر مع بعض الفنانات.

رصدوا جائرة لمن يأتى برأسى خياً أو مبيتاً.

– الانتقادات العنيفة إلى "دولة المخابرات" لا تزال تتردد حتى اليوم، لماذا؟

* لأسباب كثيرة منها أن الاستعمار وجد في الوحدة حدثاً خطيراً لا يمكن السكوت عليه. والدليل على ذلك أن الوحدة أستقبلت بمؤامرة لأغتيال عبد الناصر وهي التي كشفها السراج. وقد تكون جدت بتجاوزات في زمن الوحدة. وأنا أعرف كنائب عام عسكري حقائقي الأمور. وما حدث مثلاً بعد اغتيال عدنان المالكي كان أكثر بكثير مما حصل في عهد الوحدة، فمثلاً اعتقل منير العجلاني وهو نائب يتمتع بالحصانة.

ثم الوحدة كان مؤامرة كشفها عبد الحميد السراج.

– إذن ما كتب في الصحافة اللبنانية عن التذويب بالأسيد وعن

تدخلات السراج كان اختلافاً ضد الوحدة؟

* لقد كنت مسؤولاً عن الشرطة والدرك أثناء الوحدة. وكان جهاز المخابرات مرتبطاً برئاسة الجمهورية وبالسراج شخصياً وليس بصفته وزيراً للداخلية. وسجن السراج سبعة أشهر، وأقيم عليه ما أقيم من الدعاوى. وكان أحمد زهير العابدي مسؤولاً عن التحقيق. والقرار الوحيد الذى صدر ضده هو أن أحد مساعديه أساء استغلال النفوذ مع امرأة. ولم يظهر أى قرار اتهام غيايى أو وجاهى ضد السراج. وأنا لا أدافع عنه وما يمينى هو الحملة على الوحدة من خلال السراج.

— هل اجتمعت مع السراج؟ وكيف هرب؟

* نعم، اجتمعت به، ولم أسأله كيف هرب. والبعض يقول أن أحد عناصر السجن سهل فراره إلى بيروت.

— لماذا أثر السراج العزلة ولم ينخرط فى العمل السياسى؟

* السراج ناصرى، ولا أعرف لماذا لم ينخرط بالعمل السياسى. وبعد انشاء «التحالف» لم تتح لى فرصة الاجتماع به.

التحالف

— لماذا وافقتم على دخول «التحالف» جنباً إلى جنب مع أحزاب كانت مسؤولة عما حلّ بكم؟

* لا ننكر وجود الخلافات والصراعات بين الأحزاب، وبعضها كان دموياً كما حدث فى تموز (يوليو) ١٩٦٣. ونحن نعتقد أن الإخوان المسلمين والبعثيين أطرافاً وطنية. وحزب البعث كان ملغوماً، وأثاره لا تزال بادية إلى اليوم فى سوريا.

وأنا أعرف أن البعث لم يحكم سوريا ولا قياداته. ومأخذنا عليه أنه كان جسراً لوصول الآخرين إلى الحكم. وحافظ الأسد لم يترك شيئاً لأحد. والصراع بين البعث والناصريين لم يكن أصيلاً، ونحن نشترك في الشعارات نفسها: الحرية والوحدة والأشترابية.

أما الإخوان المسلمون فقد حاولوا اغتيال عبد الناصر، ونحن الآن نقيم العلاقة على أساس الشخص بل على أساس الوطن.

- هل تعاونتم مع "الأخوان" لأن خليفة عبد الناصر كانت أخوانية؟

* لا، ولست متأكداً من أن عبد الناصر كانت له خلفية أخوانية. وليس من المستبعد أن يكون بعض السياسيين قد تعاطفوا مع الإخوان كقوة متحركة ووطنية ومعارضة للنظام الملكي مثلاً.

- ألا تعتقد أن هناك نوعاً من التضخيم للتيارات السلفية والدينية يجعلها أكبر من حجمها الحقيقي؟

* هناك تسميات خاطئة. وهناك فئات متطرفة فهمت الإسلام فهماً متطرفاً أطلق عليه أسم السلفية. و«الأخوان» حركة سياسية وفكرية معاً، ولكن فهمهم للقضية القومية كان خاطئاً، وبعضهم لا يزال يعتبر أن مفهوم القومية مناقض لمفهوم الدين. عدنان سعد الدين وجماعته توصلوا معنا إلى أنه لا تناقض، وأن القومية مكمل للدين، ويجب أن يكون في الدين قومية عربية. بعض «الأخوان» أخذوا بطروحات منسوبة إلى الفكر القومي واعتبروها مناقضة للإسلام مثل الأشترابية والعلمانية. وهذه الطروحات لا علاقة لها بالقومية العربية القائمة على مفهوم وحدوى. والآن يستشهد «الأخوان» بأقوال حسن البنا حول القومية العربية.

- ولكن مواقف عدنان سعد الدين هذه هي التي قادت إلى انشقاق الإخوان.

* الخلاف داخل الإخوان هو خلاف تنظيمي رافقته مواقف سياسية، منها مثلاً قضية التفاوض مع النظام، ولكن لا توجد خلافات فكرية. وحدث مرة حوار بحضور جاسم علوان بحضور عدنان سعد الدين وحسن الهويدي. ودار الحديث عن الديمقراطية. وقال هويدي: نحن لا نؤمن بالديمقراطية لأنها مناقضة للأسلام. وقلت له: هذا يعني قبولاً ضمنيّاً بالديكتاتورية. رد هويدي: الديكتاتورية تعني سيادة الشعب والسيادة هي لله. قلنا: نحن كمسلمين نؤمن بالسيادة لله على الكون كله، ولكن الشورى في الأسلام تعني الديمقراطية ذاتها. قال هويدي: ولكن الشعب يواصل إلى السلطة من يقيم أحكاماً تتناقض مع الأسلام. قلنا له: كل ما يتناقض مع الأسلام نرفضه.

- إذن كيف قبلتم الاشتراك معهم في "التحالف"؟

* في أوروبا يوجد الاشتراكي والرأسمالي. ونحن نقول أن للإخوان موقفاً متخرجاً من الديمقراطية والوحدة، ونعتقد أن هذا الحرج سيزول.

- تفردهم بالتفاوض ألا يدل على أنهم متفردون بالموقف؟

* هذا الأمر لا دخل للأسلام فيه، وهو موقف سياسي لنقل أنه خطأ. وأخيراً أتخذ قرار بأنه لا يحق لأي طرف التفاوض إلا بقرار من «التحالف». أن عملنا جبهوي وليس حزبياً.

- أحد تنظيمي "الإخوان" أنتخبه التنظيم العالمي للإخوان وهو لا علاقة له بسوريا، فكيف توافقون على قبوله في الأمانة العامة للتحالف؟

* نعرف جميعاً أن للأخوان أمتداد بسوريا، وعدنان سعد الدين المراقب العام مقيم في مصر. وهو دخل في التفاوض عام ١٩٨٤.

- أنه يقول عكس ذلك.

* لا، أبداً، بل أنه رفض قطع المفاوضات. وحتى مفاوضات ١٩٨٧ تمت بقرار من الأكثرية.

- هل كنت على علم بالمفاوضات بين الإخوان والنظام؟

* الأمور كانت غامضة. وهناك مسؤوليات مشتركة. ويومها كنت مسافراً وعندما عدت وعرفت بها كنت أرى أن نقطعها، لأن قرار السلم والحرب ينبغي أن يكون في يد التحالف. والمفاوضات هي السلم.

- ما رأيك بأسلوب الكفاح المسلح لتغيير النظام؟

* حتى الأمم المتحدة أقرت بشرعية هذا الأسلوب. وقالت أنه من أجل الحصول على الحرية والديمقراطية فإنه يجوز اللجوء إلى العنف. ونحن لا نريد العنف إلا إذا انعدمت جميع الوسائل الأخرى.

- هل للناصرين قوة مسلحة في الداخل؟

* لا، وهذا الأمر يحتاج إلى إمكانات غير متوفرة لدينا. ولا نريد أن يسقط ابرياء نتيجة حسابات خاطئة.

- وهل حاسبتهم "الأخوان" عن الضحايا البريئة التي سقطت بسببهم؟

* لقد قاموا بعملياتهم قبل قيام التحالف، ونفوا أنهم قاموا بعملية الباصات، وقال عدنان سعد الدين: أنني أبرأ إلى الله ورسوله من هذه العمليات.

- إذن من قام بها؟

* لا أعرف. والمعارضة السورية ليست وفقاً على «التحالف». وهناك معارضة معروفة وأخرى غير معروفة.. مثلاً: جمال الأناسى معارضة، والحزب الشيوعي معارضة...

- لماذا لم توافقوا على دخول جماعة صلاح جديد في التحالف؟

* هم رفضوا الدخول ووضعوا «فيتو» على «الأخوان» وانقسموا على بعضهم.

- قبول النظام بالتفاوض هو إشارة قوة أو ضعف؟

* النظام لم ينته ويجب ألا نخدع أنفسنا. وهو راسخ بقوة الدبابات، والتفاوض خطيئة وليس خطأ وحسب.

- هل تعتقد أن لدى المخابرات السورية معلومات عن المعارضة، وهل انتم مهددون بالاغتيال؟

* نفترض أن لدى النظام معلومات عن الأشخاص، وهو يعرف القيادات العليا والوسطى، ويعرف الجميع.

- لماذا استهدف النظام اغتيال صلاح الدين البيطار دون سواه؟

* لا أعرف أنه استهدف الآخرين. ولعله اختار البيطار لأنه من مؤسسي البعث ولا يستطيع أن يوجه إليه الاتهامات كما فعل مع الأخوان. وكان البيطار ينشط إعلامياً وله تأثير خارجي وتأثير داخلي كحزبي. وما أعرفه أن الحماية ربانية. ولا أهمية للحرس.

- لماذا انسحب أكرم الحوراني من التحالف؟

* ليس لدى تحليل لذلك. وهو ترك فجأة، وكان عضواً في الهيئة التأسيسية والأمانة

العامة، وغاب لفترة طويلة واعتبر مركزه شاغراً.

— المريرسل للتحالف تبريراً لغيابه؟

* قال: «أتركوني استريح»، ولكنه لم يقطع الصلة.

— لماذا لا يوجد رأس تاريخي للتحالف؟

* لم نجد ضرورة لانتخاب رئيس للتحالف واختارنا القيادة الجماعية.

— كيف تتصورون حدوث التغيير في سوريا؟

* عن طريق الضغوط الجماهيرية، وقد لا تنجح على الفور ولكنها مؤثرة. والسوابق في التاريخ معروفة. والثورة علم، أما ردود الفعل التلقائية فهي ليست ثورة، كما حدث في حماه. وعندما تخسر معركة غير مستوفية الشروط يكون ضررها كبيراً. وعندما يراد لأمر ما أن يكون حاسماً ولا يحسم، فإنه يعطى مزايا للخصم.

أن حدوث انتفاضات شعبية متتالية سيؤثر بالنهاية على النظام.

— هل ساعد الأخوان في اللعبة الطائفية؟

* الأخوان لم يلعبوا لعبة طائفية، والنظام هو الذي اسماها هكذا. وانتفاضة حماه قامت ليس لأسباب طائفية بل لأسباب وطنية ومنها تسليم الجولان وحرب ٦٧. ولا علاقة للطائفة العلوية بجرائم النظام.

— لماذا لم تنزل الأحزاب إلى الشارع أثناء حوادث حماه؟

* عندما لا تكون هناك علاقات نضالية بين الأحزاب فمن الصعب أن يحدث مجاوب. والأخوان كانوا يعتمدون على أنفسهم فقط. ونحن نادينا بقيام الجبهة أو

التحالف قبل عام ١٩٨٢.

القذافي بدأ ناصرياً وتغير.. ويعاونه الآن سوريون خبراء في شؤون المؤامرات،

— عندما كنت في ليبيا هل اجتمعت مع القذافي؟

* نعم، مراراً.

— هل هو كما يقال عنه؟

* حتى عامي ٧٥ و٧٦ كانت الشخصية الناصرية تغلب عليه. وبعد مؤامرة المحيشي ظهر وضع متميز وخاص. وقال أن الناصرية لن تدان ولكنها لن تتكرر. وبعدها بدأ يتبين من خطبه أنه يعتقد نفسه صاحب رسالة. وإذا اعتقد رجل في السلطة أنه مرسل يصبح الأمر خطيراً.

— هل تناقشت معه؟

* مرة كنا نجتمع معه ومع بعض الفلسطينيين وقلت له أن القضية الفلسطينية إذا لم تصبح سورية- فلسطينية فإن كل جهودهم ضائعة. وقال لي: لماذا لا تذهب إلى سوريا وتقول ذلك إلى الأسد؟

وأنا أعتقد أن مخاوفه من المؤامرات ضده هي مخاوف حقيقية ولهذا انفتح على سوريا، وهو بحاجة إلى الدعم السوري والخبراء السوريين في شؤون المؤامرات، ولعل السوفيات نصحوه بذلك.

— هل تنظيمكم لا يزال حياً، وما هو عددكم؟

* تنظيمنا حي وعددنا سر.

— لماذا لم يدخل الحزب الشيوعي- المكتب السياسي إلى التحالف؟

* لقد تمت الموافقة على دخوله التحالف، ولكن عندهم نوع من تسوية الأمور،

وفى استطاعة التحالف أن يستوعب كل المعارضة السورية، والباب مفتوح أمام الجميع.

- هل تقبلون الأحزاب السورية التي كانت قائمة قبل الانقلابات؟

* لقد اندثرت هذه الأحزاب والباب مفتوح أمام الشخصيات الباقية منها.

- هل يمكن أن تقبلوا حيدر الكزبري الانفصالي في "التحالف"؟

* نقبله... «ليش لأ» ١٢.

ردود على "ملفات المعارضة السورية".

قرأت الحوار الصحافي بين تمام البرازي وحمود الشوفي عضو التحالف الوطني لتحرير سوريا الذي نشرته «الوطن العربي» في العددين ٥٨٧ و ٥٨٨ بتاريخ ١٣ و ٢٠-٥-١٩٨٨. ونظراً لاطلاعي على مجمل الأحداث التي تناولها هذا الحوار، الشجاع أحياناً، اعرض ملاحظاتي التالية:

- ١- يقول الشوفي أن التيار الإسلامي لم يتعرض للأرهاب في سوريا من عام ١٩٦٦ إلى عام ١٩٧٩، والحقيقة هي غير ذلك، فمنذ عام ١٩٦٤ والتيار الإسلامي يتعرض لحملات الاعتقال والسجن والطرْد (اقتحام المسجد الأموي واضرابات دمشق المشهورة ٦٤-٦٥ واعتقالات الأخوان المسلمين المستمرة أعوام ٦٥-٦٦-٦٧ في حمص واللاذقية وحماء. واقتحام مسجد السلطان في حماه ومساجد حماه وحمص واللاذقية، ثم ما بعد عام ١٩٦٧ أحداث واشتباكات حمص واللاذقية في عيد المولد النبوي الشريف في عامي ٧١-١٩٧٢ واعتقال العشرات من قيادات الأخوان المسلمين وانصارهم وطرْد المئات من وظائف التعليم والجيش والشرطة.

٢- حركة الشهيد مروان حديد لم تكن فورة وانتهت بل هي جهاد استمر منذ عام ١٩٧٤ وحتى عام ١٩٨٤-١٩٨٥، قدمت فيه سوريا مئات من الشهداء أبناء التيار الإسلامي وانصاره، وتجاوبت مع هذه الحركة الجهادية مدن وقرى سورية.

٣- اتهام المجاهد، عدنان عقله، بالتبعية إلى إيران والتصالح مع النظام السوري والخيانة، اتهامات باطلة وهو المجاهد القائد الذي وجه ضربات شجاعة وقوية وشريفة للنظام الطائفي في سوريا، وهو المجاهد القائد في الصفوف الأولى وقد غدر به البعض ولا ندرى أشهيد هو أم سجين! ولو هو عميل لإيران حقاً ومتواطئ معها ومع حافظ الأسد لأظهرته وسائل الإعلام السورية كما اظهرت بعض العملاء وبعض الذين تساقطوا ولم يستمروا في الجهاد والنضال والكفاح! وهاتوا دليلكم على خيانتهم!

٤- أديب الشيشكلي، رحمه الله، أول من حذر ونبه إلى مؤامرات وخفايا الباطنية والطائفية والتسلل النصيري في الجيش السوري، واعتقد أنه كان الرجل الصادق وأنه كان خدماً سوريا لما تنبه له الاستعمار وعملاؤه والطائفون قاموا بالتآمر عليه، وحفاظاً منه لسفك الدماء وهو القائد المسيطر على سوريا والجيش، تخلى وصان الدماء.

٥- تجاهل حوار القادة الحقيقيين لثورة ٨ آذار ١٩٦٣ فالأكثريّة كانت وحدوية ناصرية فالقادة هم: اللواء محمد الصوفى، اللواء راشد قطيني، اللواء زياد الحريري، اللواء لؤي الاتاسي، العقيد أسعد الحكيم، العقيد فواز محارب، المقدم مصطفى الشريفي، هؤلاء مع غيرهم كانوا فعلاً القادة وأصحاب الثورة مع بعض البعثيين أمثال سليم حاطوم ومحمد رباح الطويل والجندى.

٦- اخفى الحوار حقائق الصراع في حزب البعث وقياداته منذ عام ١٩٦٥ وحتى

استلام حافظ الأسد السلطة عام ١٩٧٠ فكان الصراع بين مجموعات وطوائف: مجموعة سليم حاطوم والشاعر (السويداء) ومجموعة عبد الكريم الجندی وسامی الجندی (السليمة) ومجموعة محمد عمران ومجموعة صلاح جديد ومجموعة حافظ الأسد (النصيرية). ولا شك في أن حزب البعث هو الذي جاء بالحكم العسكري بعد سيطرته على الوضع في سوريا على أثر حركة وثورة ٨ آذار ١٩٦٣ وبعد تصفية الناصرية والوحدوية في هذه الثورة!

٧- تجاهل الحوار ضربات البعث المتكررة للتيار الإسلامي وللمسلمين في سوريا منذ عام ١٩٦٥ وفي كل عهود البعث اليميني واليساري ابتداء بأمين الحافظ ونور الدين الاتاسي وصلاح جديد ويوسف زعين وسليم حاطوم وعبد الكريم الجندی وانتهاء بحافظ الأسد وطائفته النصيرية.

٨- تجاهل الحوار الحقائق حول حرب ١٩٦٧ وسقوط الجولان واتفاقيات فصل القوات، فإذا كان الأستاذ الشوفي قد نسي دور إبراهيم ماحوس ووزير الدفاع حافظ الأسد ومحافظ القنيطرة عبد الحليم خدام في سقوط الجولان فليرجع إلى كتب وأحاديث سامي الجندی البعثي الكبير وإلى كتب مدير المخابرات العسكرية في الجولان المقدم خليل بريز رحمه الله.

رود خاصة:

- عبد الجبار عبد المنتقم (بغداد- الجمهورية العراقية) كم كنا نودّ لو أنك صحّحت أوراقك الحجة بالحجة في كتابتك عن الزميلين تمام البرازي وغسان الإمام، بدل أن تعتمد إلى استخدام كلمات غير لائقة.

- محمد أمين (الدوحة- قطر) نعتقد أن سلسلة ملفات المعارضة السورية، كانت

كافية للأجابة على ما طلبت بشأن ما يجرى الآن في سوريا، وأحداث مجزرة حماة بالذات هذه المدينة الباسلة.

الفصل العاشر



Division of the Alexandria Library '92
Bibliothèque d'Alexandrie

انشقاق الأخوان المسلمين

الفصل العاشر

أحمد محفل (الحزب الشيوعي - المكتب السياسي)

مستعدون للتعاون مع "الأخوان المسلمين"

١. شيوعي غير ملحد هذا في عجائب حلب... لكن في مشي مع بكداش عقوداً لا يمكن أن يتخلى عن بكداشيته بسرعة..

قبل أن نبدأ بطرح الأسئلة على أحمد محفل (الحزب الشيوعي السوري - المكتب السياسي) بادر بالحديث محذراً فقال: «الحزب الشيوعي يعيش في إطار سرى داخل سوريا. وهو معرض يومياً إلى ضربات النظام، واستشهد أكثر من رفيق لنا تحت التعذيب. ورياض الترك الأمين العام للحزب استيقظ من الغيبوبة الشديدة منذ شهر واحد فقط. وقد اشارت منظمة العفو الدولية والبرلمان الأوروبي إلى هذه الوقائع... لذلك أرجو أن تأخذ «الوطن العربي» هذا الأمر بعين الاعتبار خلال الحوار».

«الوطن العربي»: حسناً... لنقدم نبذة تعريف عن أحمد محفل.

أحمد محفل: في اعتقادي أن الفرد ليس هو المهم، بل الدور الذي يلعبه في الحركات السياسية ومدى تأثيره في حركة التاريخ (...). ولدت عام ١٩٢٣ في مدينة حلب من عائلة صناعية. وانتسبت إلى حزب الشيوعي عام ١٩٤٥، ودخلت السجن عام ١٩٤٩. وعشت حياة سرية في عهد أديب الشيشكلي. وأمضيت معظم الوقت سجيناً خلال فترة الوحدة بين سوريا ومصر في معتقل المزة في دمشق، أي منذ أواخر عام ١٩٥٩ وحتى آذار (مارس) ١٩٦٢.

— غادرت سوريا عام ١٩٧٦، لماذا؟

* خرجت بقرار حزبي في مهمة تنسيق بين القوى السياسية.

— هل مارست أى مهنة قبل ذلك؟

* تخرجت من جامعة دمشق عام ١٩٤٥ حاملاً إجازة في الحقوق، ومارست المحاماة وخصوصاً للدفاع عن الطبقة العاملة والفلاحين في حلب حتى عام ١٩٧٦.

— فكرة الشيوعى ترتبط بالذهن العربى بثلاثة أمور: الاتحاد ومعارضة الوحدة السورية- المصرية، والتبعية لموسكو. كيف تأسس الحزب الشيوعى السورى ولماذا؟

* تأسس الحزب الشيوعى فى سوريا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٤. أسسه المرحوم فؤاد الشمال، وهو من بكفيا فى لبنان، بالتعاون مع عناصر أخرى من سوريا لا أود تسميتها لارتباطها بخصوصيات قد تتعلق بالوضع القائم اليوم.

— حتى بعد مرور ستين سنة وأكثر؟

* نعم... هناك أوضاع خاصة لا أود التطرق إليها. وعندما أنشئ الحزب عام ١٩٢٤ حدد لنفسه عدة مهمات فى مقدمتها الدفاع عن مطالب الطبقة العاملة التى بدأت تتكون من خلال العمل النقابى وتجمعات الدفاع عن الفلاحين، والنضال ضد المستعمر. وشارك الحزب الشيوعى فى ثورة سوريا الكبرى عام ١٩٢٥، وكان أحد الأقنية التى تهرب السلاح إلى جبل الدروز.

— من تجاوب معكم فى سوريا المسلمة التى كانت تفهم الشيوعية بأنها

الحاد؟

* تجاوزت العناصر الوطنية من كل الطوائف في سوريا ولبنان بنسب متفاوتة، وقسم كبير من المثقفين وليس العمال والفلاحون فقط.

- قصدت بسؤالى الأساسى معرفة ما إذا كان انشاء الحزب الشيوعى هو مجرد صدى لفكرة الأهمية التى بشرت بها الثورة البولشفية، وهل تأسس بدافع خارجى أم داخلى؟

* أعتقد أن دياكتيك تطور العوامل، التاريخية الداخلية والخارجية يصعب فصله. كانت العوامل الداخلية تفترض قيام حزب يدافع عن العمال والفلاحين. وهذا لا يعنى بأن التفاعل على النطاق العالمى لم يكن قائماً، وخصوصاً مع ثورة أكتوبر (تشرين أول) الاشتراكية.

- ما تسميه أنت "تفاعل" يسميه البعض "أوامر" صدرت اليك من موسكو، وهى التهمة التى ترافقكم منذ أكثر من ستين سنة.

* بالتأكيد لم تكن هناك أوامر من موسكو، وسترى ذلك حين أترج فى شرح تطور الحزب. كنا منذ الثلاثينيات أول من طرح القضية القومية العربية طرحاً علمياً كتابياً. وقد أتيت بهذه الوثيقة (وأبرز وثيقة يعود تاريخها إلى عام ١٩٣٣) وهى تثبت أننا سبقنا أى حزب أو فئة فى سوريا ولبنان فى هذا المجال. وما حصل بعد ذلك بتأثير خالد بكداش سنصل إليه رويداً رويداً. وهذه الوثيقة تطرح ضرورة وحدة الأمة العربية فى مواجهة الامبريالية والاستعمار.

الحزب الشيوعي السوري أسسه اللبناني فؤاد الشامي،

- في العشرينيات لم يطرح الحزب الشيوعي قضية القومية العربية، ولم يبادر إلى ذلك إلا بعد أن أبرز حزب البعث هذا الطرح.

* أننى أقدم وثيقة مكتوبة ومنشورة فى سجل الوثائق العالمى وتعود إلى سنة ١٩٣٣، ولا يعينى بعد ذلك أن أقول متى طرح البعث هذه القضية.

- أرى أن الوثيقة نشرت فى صحيفة "نضال الشعب" عاد ١٩٧٤، فلماذا لم تنشر قبل ذلك؟

* نشرت مراراً، وأعدنا نشرها لمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس الحزب.

- أنتم كشيوعيين تدعون إلى وحدة الطبقة وليس إلى وحدة الأمة.

* الوثيقة تتحدث عن وحدة أمة، وما صدر عن مؤتمرنا الخامس، بعد الانشقاق عن خالد بكداش، يؤكد هذا الاتجاه. وهذه وثيقة ثانية (وأبرز محاضر المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي السوري فى كانون أول (ديسمبر) ١٩٧٩ وقد انعقد تحت شعار: تحرير، ديمقراطية، اشتراكية، وحدة عربية، وتقع فى ٣١ صفحة مطبوعة) ... وهذه الوثائق تثبت مواقفنا.

- قلت أن الشخص لا أهمية له فى حزبكم...

* (مقاطعاً) قلت أن العامل الشخصى ليس هو المؤثر الرئيسى فى الحزب.

- لكن خالد بكداش صبغ الحزب بشخصيته اليس كذلك؟

* خالد بكداش دخل الحركة عام ١٩٣٣، وعاد إلى سوريا عام ١٩٣٥ من موسكو واستلم الحزب اعتباراً من ذلك التاريخ.

- كيف يمكن لشخص مثل بكداش أن يتولى قيادة الحزب؟ ما هي مؤهلاته وما هي مبررات هذا الاختيار؟

* حتى لا نظلم أحداً نقول أن لخالد بكداش مؤهلات كثيرة ثقافية وسياسية ونظرية. رغم إتنى أقف في وجه الحد من دوره الذي أصاب بالضرر الحركة الشيوعية في سوريا، لا بل في العالم العربي. والأجواء عام ١٩٣٥ كانت أممية. ولا شك في أن دوره في العمل الأممي بين الأحزاب الشيوعية كان له الأثر في انتخابه في سوريا ولبنان. وليس صحيحاً أن «عبادة الفرد» سادت زمناً طويلاً. قد تكون وجدت بعض الوقت، ولولا ذلك لما تم الانشقاق عن بكداش.

- لماذا كان هناك غموض في نضالكم ضد الاستعمار الفرنسي؟

* في هذه النقطة يجب أن نأخذ بعين الاعتبار التركيب الطبقي للمجتمع السوري. الطبقة العاملة كانت ضعيفة جداً في مرحلة النضال من أجل الاستقلال. والطبقة الفلاحية لم يكن لها دور كبير في المجتمع. الدور الكبير كان للبرجوازية الوطنية الناشئة. وهذا مفهوم في كل العالم الثالث، وحتى اليوم لا يستطيع القول أن الطبقة العاملة في سوريا لها الوزن الرئيسي في تقرير مصير الحياة الوطنية والسياسية.

- ما كان ثقلكم قبل الاستقلال... عشرات؟ مئات؟

* كان العشرات في سجون المستعمرين في حلب ودمشق والرقّة من رفاقنا. وشاركنا في كل المظاهرات الوطنية وفي إصدار البيانات. ولدى الوثائق التي تظهر مراحل نضال الحزب منذ ١٩٢٤ وإلى ١٩٧٤.

- ما أريد قوله هو أن دوركم كان هامشياً في نيل الاستقلال. كيف تطور عددكم في ربع قرن؟

* الحركات السياسية لا تقاس بالعدد فقط. وليس لدى احصاء فعلى بالعدد.

عارضنا انقلاب حسنى الزعيم ليلة وقوعه،

- تقول وثيقة بريطانية تعود إلى عام ١٩٤٩ أن بريطانيا كانت مرتاحة لانقلاب حسنى الزعيم لأنه ضرب الشيوعيين، بينما تعاملت معه الأحزاب الأخرى.

* عشت مرحلة حسنى الزعيم فى سجن المزة وكان عددا فيه ٢٥٠ شخصاً. وكان هناك أيضاً الأستاذ ميشال عفلق والأستاذ صلاح الدين البيطار وبعثيون آخرون مثل فيصل الركبى. ولا استطيع القول أن الأستاذ اكرم الحوراني تعاون مع حسنى الزعيم بقصد تثبيت الدكتاتورية العسكرية فى سوريا.

- دوافع ضرب الشيوعيين هل كانت خارجية فقط؟

* حين وقع انقلاب حسنى الزعيم اصدر الحزب الشيوعى السورى بياناً فى الليلة نفسها شرحنا فيه خفايا الانقلاب وارتباطاته مع بريطانيا ومع أميركا لاحقاً وأوضحنا مضار الانقلابات العسكرية على الحياة الوطنية والديمقراطية. وطيلة حكم حسنى الزعيم كنا موزعين بين السجن والعمل السرى لاسقاط دكتاتوريته. أما الذين رأوا أنهم يستطيعون عبر الانقلاب العسكرى أن يحققوا بعض أفكارهم وطروحاتهم السياسية، فاترك للتاريخ أن يحكم عليهم.

- ماذا حقق الحزب الشيوعى فى الخمسينيات، بعد سقوط حسنى

الزعيم؟

* فى الانتخابات التى تلت سقوط حسنى الزعيم شارك الحزب الشيوعى فيها وحصل على اصوات لا بأس بها وخصوصاً فى المدن الكبرى مثل دمشق وحلب

وطرطوس واللاذقية، ولكن لم يفز أى نائب عن الحزب فى ذلك الحين: - لماذا؟
 * ربما لأن الطبقة العاملة عام ١٩٤٩ كانت ضعيفة ولم تأخذ دورها فى المجتمع
 السورى.

- هل يعنى هذا إنكم لم تجدوا الشعبية إلا لدى الأقليات مثل
 الأكراد والشركس؟

* الحزب الشيوعى السورى نشأ وانتشر فى الأحياء الشعبية العميقة فى شكل خاص،
 وكذلك فى المدن الكبرى مثل دمشق وحلب وحمص.

-... وليس فى حملا؟

* تأخرت نشوء الحزب فى حملا إلى مرحلة تالية. وتابع الحزب التركيز على الأحياء
 الشعبية العميقة حتى لا أقول الإسلامية. وهذه الأحياء هى أفضل وصف لمجتمعنا.
 فيها الفقير وفيها من هو من البرجوازية الوطنية الصغيرة. وهى أحياء تضم مختلف
 فئات الشعب. ونجح أول نائب لنا عام ١٩٥٤.

- وكان خالد بكداش بالطبع....

* نعم، وكدت أنجح فى حلب، وكان فارق الأصوات بينى وبين أحمد قنبر من
 حزب الشعب، ضئيلا للغاية. وحصلنا على نسبة كبيرة من الأصوات فى
 طرطوس.

- لكنك تعترف بأن الأكراد فى الأحياء الشعبية العميقة كانوا هم
 اعتمادكم الرئيسى، اليس كذلك؟

* كان الحزب فى دمشق مركزاً فى حى الميدان والشاغور. وقد يكون لوضع خالد

بكداش في حي الأكراد بعض الأثر. ولنكن دقيقين، فإن حي الأكراد لم يكن له طابع كردى صرف، واقترب من خصائص كل أحيائنا في دمشق العربية.

- خلال ٣٠ سنة من النضال لم تتجحوا إلا بإيصال خالد بكداش وحده إلى البرلمان، على عكس حزب البعث الذى تمكن بين ١٩٤٧ و١٩٥٤ من تحقيق انتصارات كبيرة. لماذا؟ هل لأنكم لم تتجاوزوا مع تطلعات سوريا العربية، وتوقعتم داخل الماركسية- اللينينية؟

* لنكن أكثر دقة. وينبغى التمييز بين حزب البعث والأستاذ اكرم الحوراني وتياره. ولا بد أنك تعلم بخصائص الحوراني ونوابه في حماه وريفها. وأرجو إلا تخرجنى أكثر فى شرح هذه الخصائص.

الوحدة بالاجماع

- تردد كثيراً القول أن السبب الرئيسى للوحدة كان هو الاعتقاد بأن الشيوعيين ابتلعوا البلد. ما تعليقك؟

* هنا ينبغى التفريق بين موقف الحزب الشيوعى وموقف خالد بكداش شخصياً. القرارات المركزية التى إتخذناها حتى على أعتاب الوحدة، كانت واضحة كل الوضوح. وقلنا أن الوحدة العربية ضرورة قومية. والموقف السلبي الذى أتخذه بكداش خلافاً لرأى اللجنة المركزية الحق اضراً فادحة بالحزب.

- هل جرى التصويت على الوحدة داخل المؤسسات العليا للحزب وفى المكتب السياسى؟

* طرح التصويت فى اللجنة المركزية. وحسب النظام الداخلى فإن اللجنة المركزية هى السلطة العليا والمكتب السياسى تنفذ قراراتها. وكانت اللجنة تضم فى ذلك

الحين عشرين عضواً، وتم التصويت على الوحدة بالاجماع بمن في ذلك خالد بكداش. لذلك افرق بين قرارات اللجنة المركزية وممارسات بكداش.

— لماذا يتهم الحزب إذن بأنه كان ضد الوحدة؟

* لا يمكن الحكم على حزب إلا من خلال وثائقه وبياناته وكتابه. وتاريخياً هكذا كان الموقف. ونحن في الحزب ليست لدينا باطنية. ولم تعرف سوريا الباطنية إلا مؤخراً. والامبريالية كانت دائماً تلوج بـ «الخطر الشيوعي». وفي الخمسينيات لم يكن هنالك خوف من الشيوعيين. ولم يكن من أهداف الحزب في تلك المرحلة استلام السلطة.

— كانوا يتحدثون يومذاك عن مؤامرة شيوعية دولية...

* التهديد الذي كان يواجه سوريا يومذاك كان تهديداً أميركياً-بريطانياً-تركياً. وكان دور الإتحاد السوفياتي دعم النضال الوطني السوري ضد مشاريع البيان الثلاثي وحلف بغداد ومعاهدة الدفاع المشترك ومشروع ايزنهاور.

— لماذا إذن لم تشتركوا مع الأحزاب الأخرى التي ذهبت إلى مصر وطلبت الوحدة؟

* أعلننا موقف الحزب في بيان مركزي، ووزعناه في منشورات، وابلغناه إلى الأحزاب الأخرى. ولا بأس من أن اكشف سراً من اسرار الحزب... عندما دعى مجلس النواب إلى جلسة لطرح مشروع الوحدة، اجتمعت اللجنة المركزية وقررت ان يحضر خالد بكداش الجلسة، وأن يصوت على الوحدة، مع الايضاح بأننا نتمنى أن تعمق الوحدة الخصائص الديمقراطية في سوريا ومصر حفاظاً على الوحدة واستمرارها، وجلباً لبقية الأقطار العربية. وللأسف، فإن ما تم كان مخالفاً لقرار

اللجنة المركزية، وسافر بكداش في الليلة نفسها دون أن يُعلم أحداً منا، وتوجه إلى إيطاليا وخطب في ميلانو وقال كلاماً لا ينسجم إطلاقاً مع قرار اللجنة المركزية.

«عبادة الفرد» كانت سائد في الحركة الشيوعية،

— لماذا لم تفصلوه إذن؟

* هنا نصل إلى نقطة ثانية، وهي «عبادة الفرد» التي كانت قائمة ليس في حزبنا فقط بل في جميع الأحزاب الشيوعية العالمية، واضرت بنا اضراراً كبيراً، ويجب أن نعترف بهذا انصافاً للتاريخ وللحزب، ولما ظهر بعد ذلك من بوادر انشقاق الحزب.

— ماذا كانت حجج خالد بكداش في معارضة الوحدة؟

* لم يستطع بكداش اقناع أحد منا بصواب رؤية. وأروى لك حادثة أخرى... في عام ١٩٥٨، وبعد قيام الوحدة، انعقد مؤتمر الحزب الشيوعي البلغاري، وأوفدني الحزب الشيوعي السوري لحضور المؤتمر، وكان هناك خالد بكداش. وتحدثت طويلاً معه، وقلت له أن اللجنة المركزية لا تزال متمسكة بموقفها من الوحدة، وطلبت منه الانصياع إلى توجهاتها، ولكنه رفض، ربما بتأثير ما كان سائداً في الحزب من اجواء «عبادة الفرد».

— كيف برر موقفه؟

* برره بالقول أن هذه الوحدة ستقضي على الديمقراطية، وعلى الدور الوطني لسوريا وعقد اجتماع في بلغاريا حضره خروتشوف وكل أطراف الأحزاب الشيوعية العربية، وقال خروتشوف وكل أطراف الأحزاب الشيوعية العربية، وقال خروتشوف إلى خالد بكداش ما معناه: «على مهلك علينا يا أبو عمار (لقب

بكداش) ... نحن نحاول مع عبد الناصر المساعدة على توطيد العمل الوطنى فى البلاد العربية، وتخرجنا بمواقفك، ورغم ذلك أصر بكداش على موقفه.

— لكن الإتحاد السوفياتى وقف ضد الوحدة.

* أنا لا أقول ذلك.

— هل دعمها؟

* أنا سمعت بنفسى خروتشوف يقول ما رويته لك. وقد يكون حدث صراع داخلى الإتحاد السوفياتى حول مفهوم خروتشوف لدعم الوحدة، ودعم عبد الناصر وصدرت فى الإتحاد السوفياتى إراء لا تنسجم مع الوحدة. ونشرناها مع تعليقات المنظرين السوفيات على الخلاف بيننا وبين خالد بكداش حول مفهوم الوحدة والأمة العربية. وكنا ضد آراء هؤلاء المنظرين السوفيات، وأشارنا إليها فى قضايا الخلاف الذى نشرناه فى مجلد خاص. لذلك أريد أن أفرق وأميز موقف حزبنا عن مواقف بعض الأطراف السوفياتية.

انشقاق الإخوان المسلمين أسبابه تنظيمية لا فكرية.

— لماذا لم يطرد بكداش إذن رغم كل هذه المخالفات؟

* الفترة التى نتحدث عنها كانت فترة سيادة الستالينية على جميع الأحزاب الشيوعية. ولم يطرد بكداش آنذاك لأنه لم يكن فى الامكان، تنظيمياً أن يحدث ذلك فى ظروف هيمنة الستالينية على الحركة الشيوعية العربية والدولية. كان هناك

وضع خاص قائم في الحركة الشيوعية العالمية بأجماعها حول «عبادة الفرد». وبعد أن مررنا ببعض المآسي القومية، أدى هذا الوضع إلى زرع بذور الانشقاق في الحزب الشيوعي السوري. ولم ينشق الحزب مزاجياً عبر صراع حول المصالح الفردية، بل انشق نتيجة خلاف عميق حول القضايا الداخلية والعربية والقومية والدولية. وفي القضايا العربية والقومية، كان هناك صراع قوى بين مفهومنا الذي طرحناه في المؤتمر الخامس، ورأى خالد بكداش الذي كان يرى أن الإقليمية والانفصالية تتماشى أكثر مع مزاجه السياسي، ولا يزال كذلك حتى اليوم. ولذا نراه مع النظام الحالي بنهجه الطائفي.

— لماذا لم تجتمعوا مع عبد الناصر خلال الوحدة؟

* كيف تجتمع معه ونحن في السجن؟ كانت غالبية أعضاء اللجنة المركزية في السجن مثل مندر شمع وبدر الطويل وميشال عيسى وأنا وغيرى من الرفاق.

— هل حقق الانفصال آمنيات بكداش؟

* مع الانفصال بدأ الصراع فعلياً وجدياً. وأخذ طابعه السياسي والعلنى في المؤتمر السادس ١٩٦٩.

— بين ١٩٦١ و١٩٦٩ وقعت أحداث كثيرة...

* في هذه الفترة تحديداً كنا نسعى إلى اقناع الأكثرية الساحقة من حزبنا بمفهومنا حول الوحدة والقومية العربية والقضية الفلسطينية والاستقلالية ضمن الحركة الشيوعية العالمية.

- هل وجد الحزب الشيوعي في ثورة ٨ آذار (مارس) ١٩٦٢ تحولاً جذرياً نحو الاشتراكية، أم اعتبرها مجرد قفزة برجوازية لا تثير الاهتمام؟

* اعتقد أن الطابع الغالب على حركة ٨ آذار هو أنها حركة عسكرية بحتة، أو هكذا كانت في البداية. ولا شك في أنها أخذت منحى في بعض القضايا الاقتصادية مثل التأمينات وإنشاء القطاع العام. ويؤسفني القول أنها لم تتم بصورة سليمة ولم يكن لها ضرورة إطلاقاً. وأنا الماركسي أقول ذلك.

- مثلاً؟

* مثلاً، جرى تأمين معمل الكبريت في حلب، وكان عبارة عن دكان صغير برأسمال لا يتجاوز خمسة آلاف ليرة سورية، ويصنع الكبريت بطريقة حرفية.

التأمينات يجب أن تدرس في ضوء المصلحة وتطور الاقتصاد. ولكن التأمينات كانت هي البقرة الحلوب لتلك الشرائع الفاسدة والمفسدة المحيطة بالنظام.

- لكنك تعترف بأن الإصلاح الزراعي كان ثورة في حد ذاته؟

* لا شك في أن قانون الإصلاح الزراعي كان ايجابياً في كثير من الوجوه، لكنه لم يتحول إلى حركة ديناميكية للنهوض بالزراعة. فقد جرى تقسيم الأرض دون العمل على إنشاء تعاونيات إنتاجية، لا تعاونيات استهلاكية كما كان سائداً.

- ماذا قدمتم في هذه الفترة؟

* شارك الحزب في الحكم. ورأى في هذه المشاركة يختلف بحسب المرحلة. في عام ١٩٦٤-١٩٦٥ كانت للمشاركة آفاق ايجابية. وشغلنا عدة وزارات بينها المواصلات، وساهم فيها سميح عطية وعمر السباعي وواصل فيصل. ومع ذلك كان يجب أن تكون مشاركة الحزب ناتجة عن دراسة أعمق لتوفر على سوريا بعض

السلبيات. بعض التأميمات كان ضرورياً مثل المصارف، والبعض الآخر كان من الممكن أن ينتظر.

- هل تعمق الانقسام في الحزب بعد حركة شباط (فبراير) ١٩٦٦؟

* بدأ يبرز الانقسام بعمق أكثر لأسباب عديدة. أولاً، لأن الكادر الرئيسى في الحزب بدأ يعي اصالة المجتمع بشكل أعمق. وثانياً، لأن سلبيات ممارسة الحكم تركت أثرها على قواعد الحزب.

ونعتقد أن حركة شباط كانت مغامرة برجوازية صغيرة نجحت في القفز إلى الحكم.

أسباب الانشقاق

- ما هي العوامل التي دفعتكم إلى رفض الاستمرار تحت زعامة بكداش بين ١٩٦٦ و ١٩٦٩؟

* منذ عام ١٩٦٩ بدأ يتضح وجود تيارين في الحزب: التيار الذي نمثله نحن والتيار الذي يمثله بكداش.

- أي جماعة أحمد محفل....

* لا، لا، لا... نرفض القول بجماعة أحمد محفل أو رياض الترك. نحن نقول «الحزب الشيوعي». والبعض يضيف «المكتب السياسى» لتمييزنا عن الآخرين.

- بماذا تميزتم عن تيار بكداش؟

* تميزنا أولاً بالقضية القومية ومفتاحها المسألة الفلسطينية. ودعمنا قيام دولة

فلسطينية ورفضنا الأقرار بواقع قيام إسرائيل . بينما كان بكداش يصر على ضرورة الاعتراف بإسرائيل كأمر واقع وانسجماً منه مع السياسة السوفياتية .

وتميزنا بالتوجه الواحدى وكان بكداش قطرياً اقليمياً . وعلى الصعيد الحزبى كنا نرى من يضع تكتيك الحزب واستراتيجيته هو الحزب نفسه ودون تدخل أو سيطرة أو وصاية أحد . وننظر إلى الحركة الشيوعية العالمية بما يفيدنا فى قضايانا القومية ، دون أن نكون مجبرين على تبنى رؤية الأحزاب الشيوعية الأخرى . ورأينا المعارض للمنظرين السوفيات فى قضية الوحدة العربية كان سبباً من أسباب القطيعة مع الإتحاد السوفياتى . وأخذنا موقفاً من القضايا الافغانية والكمبودية والبولندية .

- لكنكم لم تستطيعوا الاطاحة ببكداش .

* كنا نود لو أننا استطعنا أن نحرك كل كادرات الحزب ونقنعها بمواقفنا ونعزل بكداش . وأقول للتاريخ أننا لم نستطيع . لكننا تمكنا من اقناع الأكثرية الساحقة من الكوادر والقواعد والمكتب السياسى . ومن هنا كانت التسمية «الحزب الشيوعى - المكتب السياسى» ، لأن الأكثرية الساحقة من هذا المكتب صوتت مع اللجنة المركزية إلى جانب طروحاتنا .

- لكن تمتعتم في ظل حركة- شباط بحرية الحركة...

* نعم، تمتعنا بحرية نسبية ولكنها ثقل عن حريتنا قبل هذا التاريخ. وشاركنا في الحكم بشخص عمر السباعي كوزير للمواصلات.

- وصلنا الآن إلى عام ١٩٧٠. هل ساهمت حركة حافظ الأسد التصحيحية في اذكاء انشقاق الحزب؟

* نعم، برز الانشقاق أكثر لأننا وقفنا ضده. التيار الذي كنا نتعاطف معه عام ١٩٦٩ اتخذ موقفاً غير ايجابي من حافظ الأسد منذ البداية. واستغل بكداش الموقف للتحريض ونقل إليه موقف كل واحد منا وأقواله في اللجنة المركزية من نظام الأسد. وكان هذا مؤسفاً.

- لماذا وقفتم ضد نظام الأسد؟

* كان قد بدأ يتضح النهج الطائفي الذي سيؤدي، في رأينا، إلى تدمير المجتمع، مع بروز نزعة أرهابية.

- لكن الأسد عرض عليكم الدخول في الجبهة القومية.

* نعم، وحدث صراع أدى إلى الانشقاق الذي تم في ٥ نيسان (إبريل) ١٩٧٢.

- كيف حدث؟

* لم نكن المبادرين. وكنا نعمل حتى لا نخسر أكثرية قواعد الحزب. بكداش هو الذي بادر حين رأى أن الحزب بدأ يفلت من بين يديه. وصادر بياناً في ٧٢/٤/٥ وحرّض علينا السلطة واتهمنا بأننا نغامر بالحزب ومصيره، وبالانتهازية وبالإنحراف عن نهج الشيوعية العالمية ومعاداة النظام. وكان هذا البيان في

صفحتين . ورددنا عليه بما أسلفت .

- وماذا حدث تنظيماً؟

* حدث انشقاق عمودي: ٦٠ بالمائة من اللجنة المركزية و ٨٠ بالمائة من المكتب السياسى أيدت موقفنا. وتجاوزت معنا قواعد الحزب بنسبة ٧٠٪. وانتخب رياض الترك أميناً عاماً، وهو منذ ٨ سنوات فى قبضة النظام ويعانى الأمرين.

- لماذا لم تحاولوا إعادة توحيد الحزب؟

* لأن الأسد لم يعد يسمح لنا بحرية الحركة. وفرضت علينا المراقبة ولكننا لم نوضع فى السجن، واعتقل بعض الأفراد منا. ولكن ما حدث من انشقاقات أخرى لدى بكداش يؤكد أننا كنا على حق. وتيار بكداش اليوم منشق إلى أربعة تيارات اعتباراً من عام ١٩٨٣. والانشقاق الثانى قاده مراد يوسف. والانشقاق الثالث يحدث حالياً ويقوده يوسف فيصل.

وبكداش ثابت فى نهجه الفكرى المرتبط بمواقف السوفيات. وقال فى المؤتمر الأخير: عندما نرى ما يعانى به الشعب يفترض أن نكون فى المعارضة، لكن عندما ننظر إلى مواقف النظام من القضايا الوطنية والقومية والعلاقات مع الإتحاد السوفياتى فلا بد أن نؤيده.

ولكن النظام لم يكن له أى دور فى الانشقاق اطلاقاً، فى ما يتعلق بنا. ولكن النظام نجح فى شق تيار بكداش عبر حركة يوسف فيصل ومراد يوسف. كما نجح فى شق أحزاب أخرى. وهذا هدف دائم لحافظ الأسد.

- لماذا خرجت من سوريا عام ١٩٧٦ وبقي رياض الترك؟

* لم أخرج مزاجياً عام ٧٦. كلفت كعضو في اللجنة المركزية بمهمة في الخارج. وبقي رياض الترك لاعتقاده بأن وجوده في الداخل مع الكوادر يساعد في دفع النضال إلى الأمام، ويعمل على توحيد القوى الوطنية، وهي رؤية صحيحة. وكان يعرف أنه مهدد بالاعتقال. وفي بداية عام ٧٦ دخل في حياة شبه سرية، وصلت إلى حياة سرية كاملة عام ١٩٧٨، واعتقل وهو في هذه الحالة. أما كيف تمكنوا من الوصول إليه في مخبأه السري فهذه قصة أخرى.

— هل تم ذلك بسبب وشاية؟

* أرجو ألا تخرجني، رغم أننا وضعنا يدنا اليوم على البوادر التي تشير إلى من سلم الرفيق رياض الترك.

— يعني أنك كنتم مخترقين من قبل النظام...

* لم أقل ذلك إطلاقاً. ولسنا حزباً مخترقاً رغم أن الأسد يسعى إلى اختراق كل الأحزاب.

— ويوسف فيصل؟

* منذ عام ١٩٧٢ كان يوسف فيصل مع تيار بكداش.

— تجارب الحزب الشيوعي في الحكم لم تكن ناجحة في اليمن الجنوبي كانت قبيلة. وفي السودان كانت دكتاتورية، كيف تفسر ذلك؟

* الحزب الشيوعي في السودان كان له دور كبير في إدراك اصالة المجتمع السوداني. وفي اليمن الجنوبي كانت ممارسة الحزب الشيوعي ممارسة طفولية يسارية. واليمن الجنوبي مجتمع صعب. وتاريخياً فإن الحركة القومية في عدن هي التي تحولت إلى

ماركسية واستلمت الحكم والقول أن المجتمعات العربية لا تتقبل الشيوعية ناجم في قسم كبير منه عن ممارسات بكداش وآثارها السلبية.

- هل تعتقد أن التوجه الإسلامى فى الوطن العربى ينمو على حساب كل من التوجه اليسارى والقومى العربى؟

* اطرح القضية بشكل آخر. الحركة التقدمية اليسارية لم تستطيع أن تحدد حلولاً لتطوير مجتمعنا العربى ليكون نموذجاً تتمحور حوله الحركة القومية فى بناء الوحدة العربية. وهذا فشل لنا جميعاً ومن الطبيعى إذن أن تمهض حركات أخرى تستقطب الجماهير وإذا لم تضع فى مقدمة اهتمامها تقديم لنموذج لتطوير المجتمع العربى، فإنها ستفشل كما فشلنا عاجلاً أو آجلاً.

ومن هذا المنطلق، طرح الحزب الشيوعى اعتباراً من عام ١٩٨٠ القضية الوطنية وضرورة صيانتها من التمزق وتلاعب النظام بها. وطرحنا قيام جبهة ديمقراطية شعبية إسلامية.

- ... تجمع الأخوان المسلمين والشيوعيين فى سوريا؟

* نريد أن نجتمع من يتفق على الحد الأدنى لانقاذ سوريا من هذا النظام الذى يمثل خطراً على وحدة مجتمعنا السورى وعلى مجمل القضية القومية. وهذا النظام يلتقى فى نظرنا مع أهداف تمزق المنطقة وبلقنتها، دون أن يجلس بالضرورة إلى طاولة واحدة مع اصحاب تلك الأهداف. وهذا هو المخرج لانقاذ سوريا.

- عندما يتحدث الشيوعى عن الديمقراطية والقومية والإسلام يبدو حديثه مستغرباً. كيف تفسر ذلك؟

* أننا نبته جديدة فى الحركة الشيوعية، وندفع الثمن من الشهداء والمعتقلين. وهى

نبته وضعنا لها إطاراً نظرياً وسياسياً وتنظيماً مستقلاً، يقوم على أساس الإيمان بأصالة المجتمع والقومية العربية والوحدة العربية والديمقراطية والتحرير والاشتراكية. نحن فيصل جديد بمفهوم جديد.

- هل يعنى هذا إنكم افرغتم الحزب الشيوعى من مفاهيمه التقليدية حول الصراع الطبقي وحكم البروليتاريا؟ وكيف ينسجم ذلك مع حديثكم عن التعاون مع الأخوان المسلمين؟

* الموقف النظرى لا علاقة له بالموضوع الثانى، وهو كيف ننقد سوريا من هذا النظام. وفى الحركة الإسلامية نفسها اليوم تمايز وتناقض وحوار. والمطلوب أن تشترك الحركة الإسلامية بكل أطرافها إلى اتفاق الحد الأدنى لانقاذ سوريا مع الأطراف الوطنية الأخرى، والاتفاق على مفهوم دستورى للمستقبل.

- أى إنكم تتفقون مرحلياً وتختلفون فى ما بعد؟

* القول أنها مرحلة صحيح. وبالمفهوم الماركسى نسميها المرحلة الديمقراطية الوطنية، وهى قد تستمر نسبياً لفترة أخرى.

- لكن لماذا لا نرى ديمقراطية فى أى دولة شيوعية؟

* الديمقراطية لها مفهومان. ما يتعلق بالشق الاقتصادى وتأمين حياة الإنسان فى العمل والسكن والتعليم وما إلى ذلك، فهو موجود. أما الشق السياسى فأرى أن تجربة الأقطار الشيوعية فى هذا المجال تحتاج إلى مراجعة كبيرة. ولعل ما يجرى اليوم فى الإتحاد السوفياتى يتم فى هذا الإطار.

- من يسمع هذا الكلام لا يمكن أن يتصور صدوره عن شيوعيين. فهل وجودكم فى أوروبا كان له تأثير على تطور أفكاركم؟

* منذ البداية طلبت أن يحكم علينا من خلال وثائقنا. نحن شيوعيون نختلف في نظرتنا عن الحركة الشيوعية العالمية. ولناخذ الحزب الشيوعي الايطالي مثلاً... فبالرغم من أن حزبهم كبير وحزبنا صغير، وبالرغم من أن قطرهم أكبر من قطرنا، فإننا سبقنا الغير في الحركة الشيوعية العالمية إلى موقف اتخذوه بعدنا. ونحن نعتبر أن الماركسية- اللينينية ليست قضايا جامدة بل معرضة للنقد والاغناء، وفيها ايجابيات وسلبيات.

- لماذا لم يعقد حتى الآن مؤتمر شيوعي عربي لمناقشة هذه القضايا؟

* فعلاً، لم تنجح حتى الآن في نقل تجربتنا إلى باقي الأحزاب الشيوعية العربية. وإذا نشأ مثل هذا التيار في الأحزاب فسيكون ذلك بداية لقيام حركة شيوعية عربية واحدة. والأحزاب الشيوعية لا تلتقى مع بعضها بعضاً بصورة دورية، بل من وقت إلى آخر، في قبرص أو لبنان، وليس بالضرورة على هامش مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي.

التحالف الوطني

- لننتقل إلى "التحالف الوطني لتحرير سوريا". قيل لنا انكم ستشتركون في التحالف. لماذا لم تفعلوا ذلك حتى الآن؟

* اقول بكل وضوح أن الحزب الشيوعي السوري هو طرف في التجمع الوطني الديمقراطي الذي ضم عندما قام عام ١٩٨٠ الاتحاد الاشتراكي بزعامة الدكتور جمال الاتاسي، والاشتراكيين العرب، وحزب العمال الثوري الذي كان بزعامة ياسين حافظ قبل وفاته وخلفه آخر في القيادة، وتنظيم ٢٣ شباط.

الحزب الشيوعي السوري هو طرف في هذا التجمع وليس طرفاً في التحالف الوطني

لتحرير سوريا. وإطراف التجمع أحزاب موجودة في الداخل ومعرضة يومياً للسحق.

لقد طلب من الحزب الشيوعي مراراً الانضمام للتحالف. والمشكلة ليست أن ننضم إليكم أو تنضمون إلينا، بل هي في كيفية عمل «التجمع»، وكيفية عمل «التحالف».

— ما هي تحفظاتكم على ميثاق التحالف؟

* نقوم اليوم بمراجعة نقدية لهذه الطروحات ونسعى إلى بلورتها، وتقديم برنامج حد أدنى. واعتقد أن التحالف يقوم اليوم بمراجعة لطروحاته أيضاً. وما نصل إليه أو يصل إليه التحالف من نتائج لن يكون سراً. ولم أقل أن أى طرف سينضم للآخر، بل قلت أننا نسعى لفتح الحوار بقصد التقاء القوى الوطنية الديمقراطية بكاملها. وهناك قوى أخرى غير التجمع والتحالف، مثل نقابات المحامين والأطباء والمهندسين والعمال والشخصيات المستقلة.

— هل الحوار مستمر بين التجمع والتحالف؟

* الآن ليس هنالك حوار.

— وهل يوجد حوار بين الحزب الشيوعي والتحالف؟

* هناك بعض الاتصالات غير المباشرة عندما يطرح الحزب رأيه على هذا الطرف أو ذاك من التحالف.

— لماذا لا تزال جماعة صلاح جديد خارج التجمع والتحالف معاً؟ لقد كانوا معكم وخرجوا، لماذا؟

* حتى الآن لا نستطيع القول أنهم خرجوا من التجمع. حدث انشقاق بينهم. ولا

استطيع الجزم ما إذا كانوا خارج التجمع أو داخله.

- كيف ترى سيناريو سقوط النظام؟ بانتفاضة شعبية شاملة أو بالكفاح المسلح أو ماذا؟

* فى رأى أن من يريد تحمل مسؤولية جذرية لاجراء تغيير جذرى، والاطاحة بالنظام، عليه أن يهبط نهوض حركة شعبية تصل إلى مستوى الانتفاضة. وواجب التجمع والتحالف النظر بشكل رئيسى إلى ما ينبغى عمله لانهاض الشارع من الداخل، ورفع الحركة إلى مستوى الانتفاضة الشعبية الموحدة. وبدون ذلك ستواجهنا مصاعب كثيرة إذا لم نلتفت إلى بناء العمل السياسى من الداخل.

- إذن لا تؤمنون بالكفاح المسلح؟

* هذا الشعار تقرره الظروف الموضوعية الثورية للنهوض بال جماهير، وبدون ذلك تبقى شعارات دون مضمون.

- هل تعتقدون أن الكفاح المسلح الذي قام به الإخوان المسلمون كان حركة نضالية أم دخلاً فى اللعبة الطائفية؟

* أقول، حتى لا أثير حساسيات أحد، أن الإخوان لو عملوا بوعى سياسى أكبر، مع الامكانيات التى كانت متاحة لهم لتوصلوا إلى نتائج أفضل. ولو وافقوا فى ذلك الوقت على الحوار مع جميع القوى الوطنية فى سوريا لكان سقوط الشهداء أثمر أكثر.

وفى تقديرى أن فريقاً من الإخوان كان يعتقد أن لديه امكانية الأفراد بالحكم واسقاط النظام. ولكن كان عليهم أن يتبصروا أكثر.

- وقضية التفاوض مع النظام؟

* لقد قمنا بإبلاغ الطرف الذي تفاوض بأننا ضد التفاوض، في وضع مثل وضع المعارضة السورية التي لم تستطع أن تلم صفوفها. وهذا مثال بسيط: لقد تفاوض عدنان عقله مع النظام ومصيره معروف في سوريا. وقسم من جماعته في الإقامة الجبرية، وقسم تحول إلى مرتزقة. لقد اخترقهم النظام. ولست متأكداً من وضع عدنان عقله شخصياً وهل هو في الإقامة الجبرية.

قبل أى تفاوض يجب النظر إلى ميزان القوى. وأنا أفهم المبررات والحجج الإنسانية، ولكن أقول أن الطرف الذي تفاوض أضربنا جميعاً.

- هل حاول النظام التفاوض معكم؟

* لقد حاولوا منذ ثلاث سنوات ووجدوا الطريق مسدوداً.

- هل يطلب النظام التفاوض من موقع قوة أو من موقع ضعف؟

* علينا أن نرى وضع النظام بوضوح وبحسب المعلومات التي تتقاطع عندنا. النظام السوري اليوم معزول عزلة كبيرة داخلياً، وبدأ يبرز صراع مراكز القوى دون الادعاء بأنها وصلت إلى درجة الانفجار. ولو لم يكن النظام معزولاً لما طرح فكرة التفاوض. لذلك أقول: قبل التفاوض يجب أن نرص الصفوف.

- اسمح لي بطرح بعض الأسئلة ولو بدت ساذجة...

* تفضل...

- هل أنت ملحد؟

* أنا مؤمن.

- بمن؟ بماركس ولينين؟

* مؤمن بالله وكتبه السماوية ورسالته. وليس هناك ما يمنع الشيوعى أن يكون مؤمناً ومسلماً يمارس الفروض جميعاً. وكمناضل شيوعى ليست منتهى البحث عما قاله ماركس فى الدين، بل مهمتى النظر إلى اصاله مجتمعى. ولو كنت ماركسياً غيباً لأصبحت مثل خالد بكداش.

- هل تتصور إنك قادر على الجلوس بعد التحرير مع الإخوان المسلمين فى وزارة واحدة؟

* لا أطمح إلى أى وزارة أو حكومة. وقد جلست مع الإخوان المسلمين فى الماضى، واجلس معهم اليوم ومستقبلاً. وإذا لم نتعظ بكل التجارب التى مرت على سوريا والوطن العربى فعلىنا أن نزول جميعاً.

الفصل الحادى عشر

الأمانة العامة للتحالف

الفصل الحادى عشر

محمد عمر برهان (من الأمانة العامة)

«التحالف» من الداخل :

هذا الرجل بيروقراطى بعثى مقيم فى بغداد...

عندما إحتججت على عدم ذكر الديموقراطية فى ميثاق التحالف وعدنى أن يضيفها له وفعلاً اضافها فى عام ١٩٨٨ على رغم إحتجاج الأخوان المسلمين ...

الرجل المتحرك محمد عمر برهان هو ممثل حزب البعث العربى الاشتراكى فى الأمانة العامة لـ «التحالف الوطنى لتحرير سوريا». وهو الرجل الذى يتصدى للأزمات ويقرب وجهات النظر، ويطرح الحلول، وهو الوسيط بين الأحزاب والأطراف المختلفة. وهو فى الوقت نفسه مطلع على كل صغيرة وكبيرة، وهو تاريخ متجول للتحالف الوطنى منذ أنشائه فى ١١ آذار (مارس) ١٩٨٢ وحتى هذه اللحظة.

— حول قضية التفاوض فهمنا من المقابلات أن الأخوان المسلمين اطلعوا التحالف الوطنى لتحرير سوريا عليه، وأنت كنت حاضراً وزودتهم بلائحة المطالب، فهل تشرح لنا ما حدث فعلاً؟

* نحن فى الأمانة العامة لم نستشر اطلاقاً حول التفاوض منذ ١٩٨٤. منير الغضبان ممثل الأخوان المسلمين فى الأمانة العامة تدخل فى أحد الإجتماعات المخصصة لأزمة النظام وقال: «يا جماعة، لدينا الآن بوادر اتصالات، ويحاولون الاتصال بالأردن، ونحن نريد أن نعرف الموقف» قلنا له: نحن لدينا مبادئ ومتفقون عليها، إذا اتصلت بنا مراكز القوى فى سوريا. وبالفعل جلنا له هذه المبادئ وأخرجناها من الملف السرى.

– إذن لم يقولوا أنهم ذاهبون للتفاوض؟

* لم يقولوا ذلك، ونحن نمانع فى المفاوضات.

– لماذا يكررون القول أنكم وافقتم على المفاوضات؟

* جماعة أبو غده موجودة فى التحالف منذ ١١ أذار (مارس) ١٩٨٢، تحت اسم «الجهة الإسلامية». وعلى البيانونى كان عضو قيادة فى الإخوان المسلمين، ومنير الغضبان، كذلك وقد قضى البيانونى عمره كنائب للمراقب العام للأخوان المسلمين للشؤون الإدارية والتنظيمية. وعدنان سعد الدين يمثل دائماً الشؤون السياسية. ووجودهم فى التحالف أمر شرعى وقانونى. ولما حدث الانقسام بين الطرفين كان عدنان سعد الدين الوحيد فى الأمانة العامة، وكان الغضبان ذهب ليعمل فى السعودية والجهة الإسلامية انسحبت من التحالف فى العام ١٩٨٥.

– ولماذا انسحبوا؟

* لأنشغالهم وعدم متابعتهم لقضية التحالف.

– لكن ما هى الأسباب الرئيسية لانسحابهم فى رأيك؟

* لقد وجهنا لهم كتاباً قلنا فيه ما معناه: «هذا لا يصير، وأنتم جماعة مجاهدون مناضلون، فلم يردوا.

– ولكن ما هو سبب الانسحاب الحقيقى؟

* أن سبب انسحاب «الجهة الإسلامية» هو الخلافات الشخصية بين عدنان سعد الدين وعلى البيانونى. وترك أبو غده الجهة الإسلامية وصار مراقباً عاماً للأخوان المسلمين.

- هل أن التفاوض هو السبب الرئيسى للأقسام أمر أن هناك تنافساً على الزعامة؟

* عندما نسال عدنان سعد الدين يقول أن السبب الرئيسى هو المفاوضات. وعندما نسال جماعة أبو غده يقولون: عندما فاضنا فى ١٩٨٤ كان سعد الدين موجوداً موافقاً. وحسن الهويدى قال أمام الجميع فى اجتماع الهيئة التأسيسية للتحالف: إذا كان موضوع المفاوضات هو المشكلة أو الذريعة للانشقاق، فإن مبدأ المفاوضات قد أقر بالاجماع فى مجلس الشورى فى قيادة الأخوان المسلمين وعدنان سعد الدين قال: أننى مع التفاوض حتى العظم.

ونحن لا نستطيع أن نكذب أحداً. واعتقد أن الخلافات بينهم سببها الرئيسى شخصى. ولا شك فى أن عدنان سعد الدين سياسى ويمكن أن يرضى أى تنظيم.

- هل صحيح أن جماعة أبو غده وضعت فيتو على كلمة "الديمقراطية" فى ميثاق التحالف؟

* موضوع الديمقراطية غير مستساغ لدى الأخوان المسلمين. والديمقراطية عندهم يعبرون عنها بالشورى وتعطى المعنى نفسه.

- إذن، لم يرفضوا الديمقراطية لأنها تعنى حكر الشعب فيما هم يريدون حكر الله؟

* فى أى حال هذه الفكرة ليست دقيقة لأنهم أقرروا مبدأ ميثاق التحالف، وهم من مؤسسيه مثل عدنان سعد الدين وحسن الهويدى وعلى البيانونى ويمكنك أن توجه السؤال إليهم.

اتصالات أمر مفاوضات

— إذن ماذا حدث؟

* لا، لم يخرج أحد. وأختلفوا فقط منذ ستين. وعدنان سعد الدين كان مراقباً للأخوان أكثر من فترة. أننا فى التحالف نحرص على الأخوان ووجدتهم.

— هل يمكن الأطلاع على محضر ما جرى فى التحالف حول المفاوضات مع النظام السورى؟

* نعقد جلسات مستمرة، كل أسبوع أو عشرة أيام. وإذا قال سعد الدين أنهم استشاروا التحالف فأنى أريد الإيضاح أن منير الغضبان وعدنان سعد الدين كانا فى الأمانة العامة عندما كان حافظ الأسد فى غيبوبة. وقال الغضبان: «ما رأيكم إذا حدث الاتصال بنا؟». وهناك فرق لدينا بين الاتصال والتفاوض. فقلنا له: «أننا وضعنا مبادئ حول أى اتصال مع الأطراف الأخرى وسنطلعك على هذه المبادئ». وأخذ منير الغضبان المبادئ وذهل. وبعد فترة سمعنا من جهات أخرى أن الأخوان المسلمين بدأوا التفاوض فى المانيا. وعندما عادوا قالوا لنا: كيف تتفاوضون معهم؟ فقالوا: لقد استشرناكم. قلنا: أن المبادئ هى حول ما إذا جرى اتصال. وليس للدخول فى مفاوضات مع المخابرات السورية وعلى دوبا.

— لماذا لم تطردهم من التحالف بعد هذا الخرق الصريح؟

* نعم خرقوا، ولكننا فى الحقيقة حرصنا على وحدة التحالف ووحدة فصائل المعارضة لأننا كحزب بعث نتحمل أعباء الغير وتتساهل معهم. نحن هذا مبدأنا لأننا نحن الذين حققنا التحالف وسعينا له منذ ١٩٦٩ وحتى الآن، لأجل التقاء الأطراف مع بعضها. ولذلك لا بد من أن نتنازل أحياناً أمام عقبات تعترضنا، ومنها

قولهم أنهم اخذوا رأينا. أن عدنان سعد الدين اصدر بياناً فى ١٩٨٥ باسم المكتب السياسى للأخوان وعرض فيه مواقفهم.

- وجاءت فى هذا البيان عبارة "بعد استشارة حلفائنا"، أى أنتم؟

* نعم قال أنهم استشاروا حلفاءهم وأصدقاءهم. لقد اثبتوا ذلك فى البيان. وهذا من جملة ما تحملناه نحن وقبلنا أن يقولوا أنهم استشارونا، مع العلم أنهم قالوا لنا أن هناك اتصالات وليس مفاوضات ويجب أن يكون ذلك واضحاً.

وعندما قالوا: لا ابدأ. استشرناكم قلنا: «معلش». لأننا لا نريد أن تناقش، إذ ما هى النتيجة؟ هل نقول لهم: روحوا مع النظام!؟

- ولكن عندما حصل الانشقاق واستمرت جماعة أبو غده فى الاتصالات فى عامى ١٩٨٥ - ١٩٨٧ فى ألمانيا، لماذا لم تحذروهم؟

* لما حصل الانشقاق فى صفوف الإخوان بقى عدنان سعد الدين معنا فى الأمانة العامة، بعد أن تركها منير الغضبان وسافر. واصدروا، بعد حصول الانشقاق، بيانات وفصلوا بعضهم بعضاً. وحصلت أمور كثيرة. أما عدنان سعد الدين فاستمر معنا وكان يضع قيتو بأنه لن يحضر إذا دخل طرف أبو غده. ومنذ سنة ونصف السنة وجماعة سعد الدين معنا، والآخرين خارج التحالف. كان الآخرون يفاوضون ونحن لم نكن نحاسبهم لأنهم كانوا خارج التحالف.

- لكن أبو غده كان فى التحالف فى الماضى؟

* لقد كان أبو غده يمثل «الجبهة الإسلامية» وقد انسحب من التحالف منذ ١٩٨٥ أو بداية ١٩٨٦.

— لماذا؟

* انسحبت «الجبهة الإسلامية» من التحالف بقرار من مجلس الشورى لا أقدر أن أخوض فيه.

— المر يبرروا انسحابهم من التحالف؟

* كتابهم موجود فى الأمانة العامة.

— وهل التحالف مقهى يدخل إليه المرء متى يشاء ويخرج متى يشاء؟

* لا، ولكن هكذا هى ظروفهم.

— ماهى ظروفهم؟

* دعنى أقول بصراحة: نحن طلبنا منهم أن يشاركوا بشكل فعلى فى مؤسسات التحالف وشاركوا كجبهة إسلامية، وكان لهم ثلاثة ممثلين منهم محمد أبو النصر البيانونى شقيق على البيانونى الذى كان الأمين العام للجبهة الإسلامية وعضواً فى الأمانة العامة للتحالف. وكان الآخرون يحضرون اجتماعات الهيئة التأسيسية كل ستة أشهر.

للتحالف الوطنى لتحرير سوريا مكاتب ولجان خارجية فى كل دولة تضم عناصر بعثية وأخوانية وناصرية ومستقلة، وطلبنا من الجبهة الإسلامية أن تشارك فعلياً بتسمية ممثلين عنها فى مكاتب التحالف وألحنا عليهم أكثر من سنتين: وسألناهم: أين قوتكم التى تتكلمون عنها؟ فقالوا: أن تنظيمنا سرى ولا نقدر. لكن يبدو أن لهم ظروفهم الخاصة.

— لماذا أدخلتموهم التحالف بعد مفاوضاتهم لعلى دوبا وغيره لسنوات

عديدة ؟

* لم يكونوا داخل التحالف وكيف يمكن أن ننصحهم أو نحاسبهم أو نلزمهم بعدم التفاوض إذا كانوا خارج التحالف ؟ دعونا الطرفين، أى جماعة سعد الدين وجماعة أبو غده لحضور اجتماعات الأمانة العامة. وإذا كانت لديهم خلافات داخلية فنحن لا نتدخل فى شؤونهم الداخلية. وكل واحد يقول رأيه ويقبل الهيئة التأسيسية كحكم . أما الاستمرار كطرفين، واستمرار طرف أو ادانه طرف، فهو حكم ندعه للهيئة التأسيسية للتحالف التى فيها البعثى والناصرى والمستقل والأخوانى.

- كم عدد أعضاء الهيئة التأسيسية للتحالف الوطنى؟

* ٣٢ عضوا. وقد أبلغناهم هذا القرار لكن عدنان سعد الدين رفض وقال: أنا لا أجلس مع جماعة أبو غده لأنهم تفاوضوا عم النظام. ولا نعرف الخلفيات الأخرى. وفى أول اجتماع للهيئة التأسيسية فى دورتها الثامنة عقدناه فى ١٤ نيسان (إبريل) ١٩٨٨ درسنا هذا الموضوع فى غياب سعد الدين. ونوقش موضوع التفاوض ولم ندخل فى الخلافات الشخصية. وقد بررت جماعة أبو غده موقفها بالقول أنهم تفاوضوا لأن لديهم عناصر مسجونة وطلب الأهالى منهم ذلك. وأضافوا: «حتى لا ندع لهؤلاء الناس الكلام، قرر مجلس الشورى للأخوان أنه لا مانع من حمل السلاح بيد والتفاوض فى الوقت نفسه». هذه وجهة نظرهم. أما نحن فقلنا لهم: «أنكم ضعفاء وعلى ماذا يفاوضكم النظام الذى يريدكم أن تكونوا صاغرين له، ولا يمنحكم أى حق بالكلام أو يقبل مطالب منكم؟».

وبعد المداولات التى استمرت خمس ساعات خرجنا من الهيئة التأسيسية للتحالف بقرار اجماعى هو عدم التفاوض والكف نهائياً عن المفاوضات وإذا طرح هذا الموضوع

فيجب أن يطرح فى الأمانة العامة والهيئة التأسيسية للتحالف والوطنى. وفى حال اقراره بالاجماع يمكن عندها أن يصير تفاوض.

- وإذا تفاوضوا بدون علمكم مرة أخرى؟

* عندها لكم حادث حديث. ونحن الآن متفقون على قرار عدم التفاوض الذى وقع عليه أبو غده وعلى البيانونى، والتزم الجميع بعدم اجراء مفاوضات اطلاقاً، وأن تطرح القضية أولاً على التحالف. وإذا ظهر أنهم تفاوضوا سراً وبدون علم التحالف فستتخذ القرارات المناسبة.

- استمرار عدنان سعد الدين فى رفض اجتماعات التحالف هل يعنى انسحابه منه؟

* لا، لم ينسحب بل رفض الحضور وقال أنه لن يجلس مع أناس تفاوضوا. ونحن نقلنا له قرار عدم المفاوضات وموافقتهم عليه، لكنه مصر على موقفه. عدنان سعد الدين موجود حالياً فى التحالف مع جماعته ولهم مقعد شاغر حالياً فى قيادة التحالف. وهم اعضاء طبيعيون فى الهيئة التأسيسية ولظروف معينة لم يتمكنوا من حضور الدورة الثامنة، ونتوقع حضورهم فى الدورة التاسعة. ومازال هؤلاء يشاركون فى كل مكاتب التحالف.

الكفاح المسلح،

- لماذا أخرجتم أمين الحافظ (أبو عبدو)؟

* نحن لم نخرج أبو عبدو ابدأ بل هو اعتذر عن عدم الاستمرار فى قيادة التحالف لكنه مازال موجوداً فى الهيئة التأسيسية.

— لماذا؟

* له ظروفه الخاصة ووجهات نظر لا تنسجم مع الآخرين.

— مثل ماذا؟

* لديه تصور لموضوع الكفاح المسلح. ونحن هنا الغينا الكفاح المسلح الآن.

— لماذا الغيتم عبارة "الكفاح المسلح" من الميثاق؟

* الغينا الكفاح المسلح واستبدلناها بـ «الكفاح النضالى».

— من اجبركم على هذا؟

* لم يجبرنا أحد.

— إذن من طرح الالغاء؟

* هذه العبارة تؤذينا عندما نكون فى المحافل الدولية حيث يقولون لنا أننا نستخدم الكفاح المسلح وهذا «يخوف الناس».

— هل ازلتم هذه الكلمة لأن الأخوان المسلمين كانوا الرئيسيين فى هذه العمليات؟

* نحن ازلنا عبارة «الكفاح المسلح» لأنهم قالوا لنا أننا أرهاييون فى عدة لقاءات دولية واجتماعات لـ «حقوق الإنسان». ولذلك عدلنا هذه العبارة إلى «عمل نضالى».

— إذن لا يحق لأى طرف فى التحالف استخدام الكفاح المسلح داخل سوريا بعد الآن؟

- * حالياً لا يحق لأى فريق أن يستخدم ذلك إلا بقرار من التحالف.
- ماذا يحدث إذا خالف احدهم ذلك؟ هل لديكم مجلس تأديبى.
- * لا، ليس لدينا مجلس تأديبى.
- ماذا حذفتم أيضاً أو أضفتم إلى ميثاق التحالف؟
- * لا شئ.
- بعض الأطراف طلب حذف كلمة "ديمقراطية" لأنها تعنى حكم الشعب، وتلك الأطراف تؤمن فقط بحكم الله.
- * هذا كلام غير صحيح. إن المبدأ الأول للميثاق يقول: «العمل الجاد والدؤوب لاسقاط النظام الحالى باعتماد كافة الوسائل السياسية والإعلامية والجماهيرية والعسكرية، وعلى رأس هذه الوسائل: الكفاح المسلح. ولاحظنا أن هذه العبارة زائدة فاكتفينا باعتماد «كافة الوسائل السياسية والإعلامية والجماهيرية والنضالية» واسقطنا كلمة «العسكرية».
- وماذا عن «الديمقراطية» اين هى فى الميثاق الوطنى لتحرير سوريا؟
- * هى فى قولنا باقامة حكم برلمانى دستورى وتحقيق الحرية لكل المواطنين.
- كيف تنازلتم عن الديمقراطية؟
- * لا لم نتنازل عن الديمقراطية وعملنا على توحيد فصائل المعارضة التى كان بينها عدااء تاريخى، ووضعها فى تحالف واحد.
- كيف تتخلون عن كلمة حكم الشعب، أى الديمقراطية، من أجل

إبقاء أى فصيل؟ وما أهمية أى حزب أو حركة لا تؤمن بالديمقراطية؟

* حسب اعتقادهم أن لفظة ديمقراطية مستوردة.

- لماذا لم تعتمدوا مثلاً عبارة "حكر الشعب"؟

* على كل حال قلنا بنظام نيابى دستورى، والشعب يقرر الدستور ومواده ونحن هنا لا نقرر ما يريد الشعب.

- لكن المر يطرح احد عبارة "حكر الشعب لنفسه بنفسه"؟

* إذا كانت هذه العبارة هى المشكلة فمن الممكن اضافتها. (وبالفعل بعد أسبوع من هذا الحديث أضيفت كلمة «الديمقراطية» عندما قدم أحد أعضاء الهيئة التأسيسية طلباً بذلك ووضعت فى الميثاق).

- لننتقل إلى موضوع آخر، هناك ٣٢ عضواً فى الهيئة التأسيسية

للتحالف. هل تعتقدون أنكمر، فى نيسان (إبريل) ١٩٨٨، قادرون على توجيه ضربات للنظام، واصبحت لديكم خبرة أكبر من السنوات الست الماضية؟ وهل لديكم سيناريو لإزالة نظام الأسد؟

* أن طموحنا ليس أن نكون ٣٢ عضواً فى الهيئة التأسيسية، بل أن تكون هذه الهيئة ممثلة لكل شرائح الشعب السوري وأن تكون برلماناً حقيقياً يتألف من ٢٠٠ شخصية سورية تمثل الأحزاب والتنظيمات والمجموعات والاتجاهات. وهذا هو الهدف. نحن مهتمنا الأساسية فى الوقت الحاضر تدعيم هذا التحالف وإضافة عناصر جديدة إليه. والباب مفتوح للدخول فيه. بالإضافة إلى التقاء الزعماء يجب التقاء الناس. فالبعثيون والأخوان موجودون على مستوى القيادة ويجب تثقيف القاعدة على مبادئ التحالف. وهذه مهمة كبيرة، وموضوع الحكم هو فى الدرجة

الثانية لأننا لا نريد أن نقلب نظام الحكم ونبدأ بالصراع داخل التحالف، بل يجب الاتفاق بين العناصر والكوادر فى الأحزاب، أن شعب سوريا لم يعد يحتمل الصراعات الحزبية. واليوم نرى نتيجة فشل تجربة حكم الحزب الواحد. ونحن نقول أن سوريا للسوريين كلهم من الصغير إلى الكبير وهذا مبدأنا وهذه قناعتنا كحزب بعث. أن الشعب السورى هو الحكم وإذا فاز الإخوان المسلمون بالأكثرية فدعهم يحكمون سوريا، وإذا فاز البعثيون فليحكموا. أى أننا نترك للشعب الحكم بين الأحزاب عبر انتخابات نيابية. ولا أحد هنا يدعى أو يقدر أن يقول أنه يمثل الشعب السورى. لكن نحن، ضمن امكانياتنا، نرى أن شريحة الإخوان المسلمين والتيارات الناصرية والبعث الموجود فى التحالف مع بعض الشخصيات المستقلة قادرة على كسب أكبر عدد ممكن. هذه امكانياتنا ولا ندعى أن التحالف يمثل كل الشعب السورى.

— تتهم المعارضة السورية بالتبعية لهذه الدولة أو تلك ما رأيك؟

* نشاطاتنا السياسية غير كافية ولعلنا مقصرون، ولم نشكل وفوداً لنعرض قضيتنا على الدول الكبرى، ولكن بعد مرحلة ربما سننشط أكثر.

— لماذا نرى أن شخصية تاريخية مثل أكرم الحواري انسحبت من التحالف، وكذلك أمين الحافظ الرئيس السورى السابق، فيما دخلت عناصر هامشية؟

* أكرم الحواري كان موجوداً فى بداية التحالف فى ١٩٨٢ واستمر لثلاث سنوات وأكثر. وحتى الآن لم ينسحب من التحالف. لكن وضعه الصحى ووجوده فى باريس لا يسمحان له بالتحرك.

- لماذا لا يرسل إلى التحالف بمبعوث يمثله، هل كل معاونه مرضى؟
 * لا، ابدأ. عندما دخل اكرم الحوارنى التحالف قال: أنا لست داخلاً كحزب وليس لدى حزب بل أدخل بشخصى وباسمى ولا أنيب احداً عنى. هذا كلام مثبت عندنا فى التحالف.

- لماذا لم يدخل كممثل للحزب الاشتراكى؟
 * قال أنه ليس لديه حزب. وبعد خروجه من سوريا حدثت انشقاقات فى حزبه وتخلى ولم يعد عنده حزب، ودخل التحالف باسمه الشخصى.

- إذن، مازال فى التحالف؟
 * إن اكرم الحوارنى لم يطلب الخروج من التحالف ووضع الصحن لا يسمح له بالمجئ، وهو خارج التحالف الآن.

- وماذا عن أمين الحافظ؟
 * لم يخرج من التحالف ومازال يناقش فى الهيئة التأسيسية فى كل القضايا المطروحة، وله آرائه فى هذه القضايا. وعندما لا تنسجم معه يقول: «هذه قناعتى...».

- اراد أمين الحافظ فى نهاية الستينيات انشاء جيش لتحرير سوريا، فهل منع من تشكيل هذا الجيش؟

* لا أجيب عن هذا السؤال لأننى لا أعرف. أن «أبو عبدو» لم ينسحب من التحالف وقد طلب عدم الاستمرار فى الأمانة العامة لأن لديه اعتراضات على مسيرة التحالف. وكان من المصرين على انضمام الشيخ عبد الفتاح أبو غده

مسيرة التحالف. وكان من المصيرين على انضمام الشيخ عبد الفتاح أبو غده للتحالف، وعندها خرج عدنان سعد الدين، فذهب أمين الحافظ إلى بيت سعد الدين وكان اكرم الحوارنى هناك، ولم يقتنع معه. كما أن لدى أمين الحافظ وجهات نظر حول الكفاح المسلح وتشكيل معسكرات. لكن الظروف لا تسمح، ولسنا على أرض سوريا. ولك ما يطرح يجب وضعه ضمن ظروفنا، ولا يمكننا عربياً ودولياً أن ننشئ جيشاً لتحرير سوريا فى أية دولة عربية.

سيناريو

— إذن ما هو السيناريو للاطاحة بالنظام ولو كان نظرياً؟

* أننا نجتمع الامكانيات لاعداد فصائل جاهزة للعمل النضالى على الساحة السورية. ومن خلال وضع سوريا الاقتصادى، من الممكن تعبئة شعبية للجماهير كتحالف يضم أخواناً مسلمين وبعثيين وناصريين ومستقلين، ويعمل كل فى اتجاهه. ونحن لنا تنظيمات على الساحة السورية ويمكن أن نوجهها لتعبئة الجماهير السورية للاطاحة بالنظام وهذا ما نفكر حالياً به، ولن نعدم وسيلة، وحتى العمل النضالى نخوضه إذا تطلب الأمر ذلك.

— حتى العمل العسكرى؟

* ممكن ... ممكن.

— لكن السيناريون غير مقنع. هناك من يقول أن السنة تعاملوا مع النظام الحالى أكثر من العلويين؟

* لم نقل سوى أن النظام استغل الطائفية السياسية لحساب مصلحته. وليس كل العلويين يشاركون معه. أن الأسد يحكم سوريا من خلال ما يسمى بحزب

كل الجيش علوياً. لكن المراكز الأساسية التى تمسك بزمام الأمور هى علوية.

- إذن يوجد هناك بعثيون حقيقون فى سوريا؟

* نحن لا نعترف بوجود حزب بعث فى سوريا الأسد يحكم باسم حزب بعث. ونحن نتلكم عن الشرعية الحزبية. ما حصل فى شباط (فبراير) ١٩٦٦ هو أن مجموعة حزبية انقلبت ضد القيادة القومية والشرعية الحزبية، وظل الحزب مجيراً لهم بالقوة.

- فى المستقبل، هل هناك امكانية أن يتحد الحزب الحاكم فى سوريا مع البعث الشرعى؟

* لا اعتقد بوجود امكانية هذا النوع، إلا مع عناصر اساسية حزبية من قبل نكسة ٢٣ شباط (فبراير)، مازالوا فى سوريا، ولم يتورطوا مع النظام، ولم يقبلوا التعاون معه. هذه الفئات البعثية مازالت بعثية والظروف مرهونة بالمستقبل وربما اقتضت المصلحة مستقبلاً توحيد الحزب.

- كبعثيين عقائديين، هل مازال لديكم حلم أن الجماهير البعثية فى سوريا ستتحدهم معكم؟

* نعم.

- لماذا لم يدخل "البعث الديمقراطى" أى جماعة ماخوس؟

* ليس لدينا اعتراض على البعث الديمقراطى الذى يمثل إبراهيم ماخوس. وفى السابق كان لنا اعتراض قبل تبديل اسمهم (البعث الديمقراطى) واقترحنا تغيير الاسم فى بداية الثمانينيات فرفضوا وحالياً لم ينقطع الحوار ومازلنا نتشاور

معهم من وقت إلى آخر. لكنهم متشرذمون ومتشددون فى الطروحات حول الطائفية، ومازال ماخوس يتشبث بموضوع الجيش وعد المساس به. والمشكلة أنهم انقسموا إلى ثلاثة أقسام ولم يبق هناك حزب، وصار عندهم مجموعة محمود القبانى ومجموعة مصلح سالم ومجموعة ماخوس، واصبحوا شللاً. واعتقد أن سبب الانقسامات فى «البعث الديمقراطى» شخصى، ويعود فى الدرجة الأولى إلى تسلط ودكتاتورية إبراهيم ماخوس الذى يعتبر نفسه هو الحزب والقاعدة والقيادة. من هنا بدأت الخلافات بينهم.

- هل مازال له اتباع فى الداخل؟ وهل وجهت لهم الدعوة للدخول فى التحالف؟

* لا أعرف عن قوتهم فى الداخل. لكن إذا وافقوا على ميثاق التحالف وطلبوا الدخول فمرحباً بهم مثل أية شريحة من شرائح الشعب السورى.

- ولن يضع أى فصيل فى التحالف (ثيتو) ضدهم؟

* فى الماضى كان من اعترض على وجودهم فى الهيئة التأسيسية. لكن الآن أن قبول أى عضو جديد أصبح من مهام الأمانة العامة والتصويت يتم بأغلبية الثلثين.

- من تضرر الأمانة العامة فى تشكيلتها الجديدة بعد الدورة الثامنة؟

* تضم ٢ من الأخوان، ٢ من البعثيين (شبلى العيسى ومحمد برهان)، واحد من الناصريين (محمد الجراح)، و٢ من المستقلين (أحمد سليمان الأحمد ومصطفى حمدون).

- إذن لم يدخل أحمد سليمان الأحمد باسم الحزب الوطني الديمقراطي؟

* دخل كمستقل.

- ومصطفى حمدون؟

* مصطفى حمدون قاد حركة انقلاب فى الخمسينيات ضد حكم الشيشكلى وهو ليس حزبياً الآن، وهو خارج الجيش منذ ٣٠ سنة.

- لماذا لم يدخل الشيوعيون (المكتب السياسى) التحالف؟

* ربما لظروفهم. وحاورناهم وبيننا وبينهم كحزب علاقات. والاحتمال الأكبر أنهم سيتواجدون فى الدورة التاسعة للتحالف.

- لكن ما الذى حال دون انضمام الشيوعيين فى الدورة الثامنة؟

* يجب أن تسألهم ولا أقدر أن أجيب نيابة عنهم.

تعقيب من الأمانة العامة للتحالف

هذه السلسلة من المقابلات التى أجرتها «الوطن العربى» مع أركان المعارضة السورية، لاقت أصداً واسعة فى الأوساط العربية شعبياً ورسمياً، وفى أوساط المعارضة نفسها. وجاءنا هذا البيان من الأمانة العامة ننشره دون تعليق الآن، ولنا عودة شاملة عند الانتهاء من نشر المقابلات.

صرح ناطق رسمى باسم الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا بما يلى:

«أن الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا ناقشت فى جلستها المنعقدة فى تاريخ ١٩٨٨/٧/٢ ما نشرته مجلة «الوطن العربى» من مقابلات مع بعض أعضاء التحالف وما ورد على السنتهم من تعرض للتحالف ول بعض أطرافه، وجلاء لحقيقة موقف التحالف من هذا الأمر وتوضيحاً للأخوة المواطنين بأن الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا تعقب على هذه المقابلات بما يلى:

فى الوقت الذى تتلاحق فيه المحن والشدائد على شعبنا الصامد فى سوريا حيث يعيش كل الوان القهر والفقر والأذلال تحت حكم الخيانة الأسدى، وفى الوقت الذى يبدو فيه شعبنا أحوج ما يكون إلى رص الصفوف وتوحيد الكلمة وجمع الجهود لأنقاذ الوطن من براثن الطغمة الحاكمة الجائمة على صدره حسب ما عبرت عن ذلك الهيئة التأسيسية للتحالف الوطنى لتحرير سوريا فى دورة اجتماعاتها الأخيرة، فى هذا الوقت بالذات، طلعت علينا مجلة «الوطن العربى» بعدد من المقابلات الصحافية أجرتها مع بعض رجال التحالف أستجر فيها بعضهم إلى معارك جانبية بعيداً عن ساحة الصراع الحقيقية مع النظام، وتناول فيها بعض أطراف التحالف ورجالاته ممن يقر الجميع بفضلهم وتشهد ساحات النضال

بسابقتهم. إن الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا تأسف لكل عبارة صدرت فى هذه المقابلات تمس التحالف الوطنى والمعارضة السورية أو أى طرف من أطرافها وتؤكد أن هذه العبارات لا يمكن أن تعبر عن رأى الأمانة العامة أو تتفق مع تقويمها العالى لقيادات التحالف جميعاً وإنما هى فى حالة ثبوتها مجرد رأى شخصى. أن قادة المعارضة السورية وجميع الأحزاب والشخصيات المشاركة فى التحالف الوطنى لتحرير سوريا تتمثل فى هذه المرحلة التحريرية الحاسمة الحس الوطنى الصادق لضمير شعبنا وموقف أمتنا وأنهم جميعاً أفراداً ومجتمعين فوق كل ما قيل فى تلك المقابلات.

أن الأمانة العامة إذ توصى جميع أعضاء التحالف وجميع أبناء شعبنا فى سوريا أن يوحّدوا جهودهم ويوفروها للمعركة الحقيقية مع النظام الجاثم على صدر وطننا الحبيب ولا يستجروا إلى معارك جانبية لا يستفيد منها إلا هذا النظام الخائن وأن يأخذوا أنفسهم جميعاً يقول الله عز وجل: «وقل لعبادى قولوا التى هى أحسن، إن الشيطان ينزع بينهم»، لنؤكد للمواطنين جميعاً ولجميع أبناء أمتنا بهذه المناسبة أن أطراف التحالف هم اليوم أشد تماسكاً وأكثر أصراراً على متابعة معركة التحرير وإن التحالف الوطنى ما زال ساعياً لتوسيع أطاره لاستيعاب جميع القوى الخيرة المناضلة ضد عدو الشعب والأنسانية حليف الصهيونية وكل أعداء الأمة حافظ الأسد وهو بهذا. أنما يتحرك مستهدياً بتطلعاتكم نحو الوحدة الوطنية الشاملة، مستلزماً البسالة والصبر من جمود شعبنا وتضحياته والسلام عليكم ورحمة الله.

الأمانة العامة للتحالف الوطنى لتحرير سوريا.

وقفة مع "ملفات المعارضة السورية"

ملفات المعارضة السورية التى تفردت «الوطن العربى» بنشرها، تقترب من نهايتها. وكما كنا نتوقع، فقد أثارت هذه الملفات ضجة كبرى واهتماماً واسعاً لدى القراء السوريين تحديداً والعرب عموماً، من مؤيدى النظام السورى، وهم قلة، ومن معارضيه. وقد تجلّى هذا الاهتمام عبر عشرات الرسائل التى وردتنا من جمهور عريض، وبعضها يحمل تواقع لشخصيات معروفة ومرموقة، وشاركت أحياناً فى صنع الأحداث. وتدخل أصحاب هذه الرسائل لتصحيح معلومة هنا أو رواية هناك، أو لإبداء رأى إضافى بالنظام أو حتى بالمعارضة نفسها وبعض شخصياتها.

وقد فرزنا هذه الرسائل إلى مجموعتين. المجموعة الأولى وهى التعليقات السريعة، وسننشرها فى بريد القراء. أما المجموعة الثانية التى يمكن أن نطلق عليها وصف «المدرسة» فإننا سننشرها فى حلقات مكملة لملفات المعارضة السورية، وهى تستحق ذلك لأنها تشكل إضافة حقيقة للملفات. ولذلك نلفت انظار السادة القراء الذين تطفوا بالكتابة إلينا حول هذا الموضوع أن يعذرونا لتأخرنا فى نشر تعليقاتهم ورسائلهم. وقد كان هذا التأخير نتيجة للترتيب الذى اتخذناه، فلا يظن أحد منهم أننا أهملنا النشر، خصوصاً وأن بعض الرسائل المهمة سيحملنا على تخصيص عدة صفحات لها فى كل عدد.

أما الحلقة المنشورة فى هذا العدد من «الملفات» فهى مخصصة لشخصية بارزة فى المعارضة السورية ولها تاريخ فى مجالات العمل الوطنى والقومى، الشاعر الأستاذ أحمد سليمان الأحمد. والحوار معه جرى عميقاً هادئاً صريحاً متكاملأ، ولذلك سننشره على حلقتين.

وعلى الرغم من أن الأستاذ أحمد سليمان الأحمد له تحفظات شديدة على بعض الظواهر الطائفية، أو البحث من منطلقاتها، وفاء منه لثوابته الوطنية والقومية، إلا أنه تسلىح بسعة الصدر واجاب عن الاسئلة المتعلقة بالطائفة العلوية الكريمة فى سوريا. ويكتسى حديثه عنها اهمية خاصة، ليس فقط لأنه احد أبنائها ونجل أمام الطائفة وشقيق الشاعر الكبير بدوى الجبل، بل لأنه القى أضواء ساطعة على حقيقة الطائفة ومعتقداتها وتاريخها، ورد على كثير من المزاعم والاثهامات التى تلصق بها زوراً.

ونترك القراء يتابعون الحوار الشيق مع الأستاذ أحمد سليمان الأحمد.

أحمد سليمان الأحمد بعد أن أجريت الحوار معه اتصل بصاحب مجلة الوطن العربى ورشاه... وحرف بالمقابلة كما يريد وهاجمنى بها... واستقلت لاسبوعين فى مجلة الوطن العربى بسبب التحريف ولكن الرجل توفى مؤخراً فى منفاه فى هنجاريه رحمه الله...

الفصل الثاني عشر

أسرار وحقائق الطائفة العلوية

الفصل الثاني عشر

اسرار وحقائق الطائفة العلوية

«الوطن العربي» تحاور ابن أمان الطائفة أحمد سليم:

«الوطن العربي»: السؤال التقليدي: من هو الدكتور أحمد سليمان الأحمد؟

أحمد سليمان الأحمد: بكلمات، أحمد سليمان الأحمد هو مواطن عربي ولد في أسرة معروفة بالعلم والفقه والاصلاح والارشاد، ونشأ في هذا الجو فاستطاع أن يتربى على كثير من مبادئ أخلاقية وعلمية ووطنية وقومية حققة.

- في أي عام ولدت؟

* ولدت عام ١٩٢٦ في قرية صغيرة من أعمال اللاذقية تُسمى «السلطنة». وهو اسم غريب، ولكن القرية، بالمقابل، جميلة جداً، ينبسط أمامها البحر ولو على بعد، وفي جانبها الآخر يشمخ الجبل بغاباته وقممته. وربما من هذا الجمال الطبيعي الأخاذ يتولد لدى الإنسان الكثير من المشاعر المرفهة والنقية. وفي أسرتنا برزت أسماء كبيرة في محيطها وكان لها أثر في جيلها وأجيال لاحقة. وبعض هذه الأسماء تجاوزت المساحة الإقليمية ليمتد على نطاق الوطن العربي مثل والدي العلامة الإمام الشيخ سليمان الأحمد عضو المجمع العلمي العربي بدمشق والشاعر والفقيه والعالم اللغوي والمصلح، وأخي الكبير هو الشاعر العربي المعروف بدوي الجبل. وقد انتقل والدي إلى جوار ربه وأنا ما أزال في حدود السادسة عشر ومع ذلك فقد قرأت على يديه أهم كتب الأدب واللغة والشعر مثل الكتاب لسبويه، وأدب الكاتب لابن قتيبة، والكامل للمبرد، والأمالى لأبي علي المقالي، والحماسة لأبي تمام، وعشرات الدواوين لشعراء الجاهلية والإسلام. وتابعت دراساتي

الجامعية ونلت الدكتوراه في علم الاجتماع الأدبي من جامعة السوربون (باريس) ثم كنت العربى الأول، وربما الوحيد حتى الآن، الذى حصل على الدكتوراه العليا فى علوم اللغة وآدابها من أكاديمية العلوم بموسكو (الإتحاد السوفياتى). ولم أمارس الأعمال الوظيفية. ولكنى عملت أستاذاً جامعياً خارج سورية بين ١٩٥٩ و١٩٦٤، ثم أستاذاً فى جامعة دمشق من عام ١٩٦٦ وحتى ١٩٨٠ وهو تاريخ مغادرتى سورية.

— ماذا كنت تدرّس فى جامعة دمشق؟

* كنت أدرس فيها الأدب الحديث والنقد الأوروبى. ولدى مؤلفات شعرية وفكرية وأدبية كثيرة.

— منها؟

* فى حقل الشعر استطيع أن أذكر: «الكلمة للشمس والشهيد»، و«أغان صيفية» و«الرحيل إلى مدينة التذكار»، و«بستان السحب» و«أرواد... وحلم فى العيون» و«لل كلمات جهات تقصدها عمداً». وقد كتبت مسرحيتين شعريتين هما «م وزين» وهى من الأدب الكردى المكنون فى العراق، و«المأمونية» وهى قصة المغنية العباسية الشهيرة عريب التى خلع عليها المأمون اسمه لمحبه لها وإعجابه بها. كما كتب مسرحية شاعرية تعرض بدماءً واحداً والخندق وأسميتها «أغنية تقاوم أثنى عشر غراباً». وأول ديوان نشر لى فى مدينة اللاذقية وأنا فى السادسة عشر من عمري. وقد صدر مؤخراً جزآن من أعمالى الشعرية الكاملة التى تحتل - حتى الآن - خمسة أجزاء، أرجو أن تنتهى طباعتها خلال عام. ولدى دراسات أدبية استعانت بها عدة جامعات عربية وأعيدت طباعتها مراراً مثل: «الشعر العربى والقضية الفلسطينية» و«هذا الشعر الحديث» و«المجتمع والمسرح العربى الشعرى».

وصدرت لى بالفرنسية مجموعتان شعريتان ترجمتهما المستشرقة الفرنسية المعروفة أوديت بتى. وصدرت لى ثلاثة دواوين باللغة البلغارية. وترجمت قصائدى إلى أهم اللغات العالمية بما فيها الفرنسية والإنكليزية والروسية والأسبانية والالمانية. كما صدرت لى دراسة عن الشعر العربى الحديث فى كتيب بالروسية.

- من هذا السرد الموجز لأعمالك الأدبية، فمن الذى قادك إلى السياسة بحق الله؟

* قبل كل شئ أريد أن أطمئنك إلى أن السياسة التى تعنى لم ولن أنقاد إليها. ولم أفكر ولم أقبل فى حياتى أبداً أن أخوض ميدان مثل هذه السياسة. ولهذا قضيت هذه الفترة الطويلة فى مجالات الأدب والفكر. ومع ذلك، وبالمقابل، فأنى لم أفكر لحظة واحدة بالابتعاد عن قضايا الشعب والأمة، لأنى أعيشها بكل حواسى، ولأنها تشكل بالنسبة لى مبرراً للوجود والعمل فى أوسع مفاهيمه. ولم أفهم الأدب والشعر والفكر سبيلاً إلى الشهرة والمجد الشخصى. صحيح إن الشعر العظيم خالد، والدليل على ذلك ما نحفظه وما نستشهد به بعد مئات السنين، وما سيحفظه ويستشهد به الناس بعد مئات وألوف أخرى. ولكنى لا أريد لنفسى ولا للآخرين أن تكون الشهرة والمجد الشخصى غاية. أنى أضع الأدب والشعر والفكر فى خدمة الناس. ومن هنا يتخذ الفن عموماً جماله وجلاله، روعته وجداه، ومن هنا يكتسب آفاقه اللامحدودة التى يمدّها الألهة الذى لا ينفد.

ولكى أرد مباشرة على تساؤلك الذى يبدو محقاً ومشروعاً فسوف أقول أنى وجدت ضرورة أن أتى ميدان النضال الاجتماعى والسياسى رغم أنى ما أردت أن أجيئه سياسياً لولا ظروف معينة أحاطت بسورية وبوطننا العربى ككل. وقد كنت أؤثر أن يقوم غيرى بما أنتدبت نفسى إليه، مكتفياً بأن أدمع هذا الفرد أو هذه الجماعة، ولكن الأمر كان أهم

وأقوى، ويقتضى أن أخوض أنا بنفسى غمار هذه المعركة، فلم أكسل ولم أتردد. وأنى مرتاح لكونى اؤدى واجباً قومياً ووطنياً وإنسانياً وفكرياً. وإن كنت أؤثر أن تكون الظروف والأيام لم تحوجنا إلى ضرورة اتخاذ مثل هذا الموقف، وظلت سورية سائرة صعداً فى درب الحرية والديمقراطية والأزدهار.

- ما هو العامل الأساسى والعنصر الذى دفعك إلى مغادرة سورية، وهل كنت تمارس السياسة ما بين أعوام ١٩٦٦-١٩٨٠ ولم توجه النقد للنظام؟

* العمل السياسى كما يفهم على أنه الأنخراط فى الأحزاب أو فى الوظائف والوزارات والقيادات، فهذا ما لم أكن أريده، وهذا ما كان يسعى إلى منقاداً يجبر أذباله. ولكنه ليس من طبيعتى. كنت أمارس العمل التوجيهى والفكرى، وكان لى رأى دوماً فيما يجرى فى الوطن أو ما يجب أن يجرى وكيف يجب أن تسير الأمور. وقد كان الشعر لى مساعداً أميناً، وأداة مجدبة ضمن أدوات أخرى. ولو عدت إلى دواوينى فى هذه الفترة لوجدت فيها أوضح وأشجع موقف وطنى قومى تقدمى. وأنا الذى صحت برجال النظام المتسلط منذ عام ١٩٧٣ :

يتناهبون بلادهم وكأنهم

يتناهبون مزارعاً ومتاجراً

يستبطنون جهنماً... فلتكوههم

نار الشعوب ميامناً ومياسرا

قابلت الأسد مراراً ولم أخرج مرة مرتاحاً،

ولو شئت أن استرسل بالاستشهاد لاحتجنا إلى تأليف كتاب. ولم أكتف بالموقف الشعرى، أو بالخطبة السياسية، أو بالاجتماعات هنا وهناك، وإنما تقدمت مرتين

للانتخابات في محافظة اللاذقية بقائمة ضد قائمة الأسد. كنت أعلم أن النتيجة معدة سلفاً، وفي المرة الثانية، صيف ١٩٧٧، قاطعت محافظة اللاذقية الانتخابات، خاصة في الأرياف، احتجاجاً على أساليب السلطة. ولقد طفت بنفسى على أكثر مراكز الاقتراع ورأيتها مقفلة بما فيها مراكز الاقتراع في القرداحة - بلدة حافظ الأسد - وعندما كان يعلم الناس بوصولي كانوا يتحلقون حولي ويبدون استنكارهم لحرمان السلطة لهم من ممارسة حقهم الانتخابي كما يريدون. ولقد كان وزير الداخلية يومذاك عدنان الدباغ، منصفاً إذ اعترف بأن قائمة الدكتور أحمد كانت هي المكتسحة وهي الناجحة بالأغلبية الساحقة أن لم يكن بشبه الاجماع لولا أصفق عملية تزوير للشعب واراوته. وإلى هذا أشرت في قصيدتي:

قلها.. عنيت مزورين شعوبهم

أو بعد دهباء أعد دواهيها

ولقد تقدمنا إلى المحكمة العليا بطعون ما زالت لدى صور منها، وقد قالوا لي: أنت يا دكتور رأيت التزوير ولمسته في محافظة واحدة، أما نحن فتصلنا اخباره من جميع المحافظات. ولم نزد معرفة باحتقار السلطة للإرادة الشعبية.

ولا بد لي من أن أسجل هنا للحق والتاريخ - وهناك شهود عادلون، وهناك الشعب نفسه الذي ما زال ولم يتغير - بأننى عندما طفت أحياء مدينة اللاذقية كانت الجماهير تحتشد حولي، وكان الوجهاء والمثقفون والبسطاء يقولون بعفوية وطنية رائعة، رغم جو الأرباب والطائفية: نحن نعتبر - إذا تزورنا - أن عبد الواحد هارون وعبد القادر شريخ (وهما زعيما اللاذقية التاريخيان) هما اللذان يقومان بزيارتنا. أجل هذا هو شعبنا في حقيقته وأصالته.

وعندما رأيت أن الأمور أصبحت متحجرة صماء لا يجدى بها نقد أو توجيه أو ما

شابه ذلك، قررت أن أبتعد وأن أحمل صوت شعبي إلى مجالات أوسع وأجدي وأكثر حرية وأبعد عن مجالات الضغط أو الضغط العنيف كي لا أستخدم تعابير على الأقل الآن.

الحكم الطائفي لا يعنى أن الطائفة حاكمة:

- لعن الله هذا الزمان الذى يدفعنا لتصنيف أبناء شعب سوريا العربى على المستوى الطائفي، لكرم بما أنك من ابرز رجالات الطائفة العلوية الكريمة، وإذا عرفنا نضال أسرتك التليد الذى لا ينكره حتي الأعداء، هل كنت أستاذاً في جامعة دمشق أو مسؤولاً في رابطة الأدباء أو الخريجين أو غيرها، حصل أن التقيت مع حافظ الأسد وتكلمت معه وحذرت من مهاوى الطائفية... وما دار بينك وبينه؟

* أنا معك في استنكار الظروف غير الوطنية التي جعلت لغتنا الواقعية تستخدم تعابير لا نقرها ونبرأ إلى الله والوطن والأمة منها. وهي غريبة عنا وخاصة عنا نحن في سوريا. بل أنها غريبة على أصالتنا نحن العرب بشكل عام. مهما يكن، لنكن واقعيين ونتعامل مع واقع أرادته لنا طغمة مشؤومة وما تزال جهات معينة، سواء عن جهل أو عن فهم خاطئ لكثير من الأمور، أو عن إرادة شريرة ورغبة في التخريب كآمنة أو عن طريق كشبهه مرتبط بأعداء العرب والإسلام، نحاول أن تنفخ لتأجيج نار المحرقة.

لقد كنت أشعر دوماً وكان لى من مركزى الاجتماعى والفكرى وغير ذلك ما يخولنى أن أنتقد وأن أكون جريئاً بل قاسياً وعنيفاً، وأن يجد كل هذا صدى لدى المثقفين ولدى الجماهير بشكل عام. ولم أكن أنا وحدى من يمارس ذلك.

وكان الكثير مثلنا، ومن أخواننا، يرون السبيل الخاطئة، الوخيمة العواقب، التي يندفع

فيها الحكام، وكنا نحاول بما أمكن لدينا من نوعيهم وأن نبين لهم مغبة هذا الطريق الذي يسلكون، وكانت هذه التوعية تتراوح بين العنف والليونة والمحاكمة العقلية. ولكن القضية ليست قضية نصائح أو إرشادات أو كشف خبايا، فالواقع يتجاوز ذلك. ولدى رأس النظام مخطط هو ومن تبعه فيه المسؤولون عنه. وإذا كان ثمة إنسان مجرم فمن الطبيعي أن نحلل لماذا هو مجرم، ولكن يبقى في آخر المطاف، سر اجرامه لديه هو أكثر من غيره. وقد تكون لى أو لغيرى بعض الحرمة الاجتماعية فلا يقدم الحاكم المتسلط على اعتقالى مثلاً ولا يجد المبرر لفعل ذلك، ولكنى لست - وليس غيرى - بمنجاة من أمور أخرى. ربما أثار الاعتقال فى البلد أموراً فى غنى عنها. ولكن الاغتيال عملية أسهل. ومنالسهل الصاقها بأى شخص أو جهة، ومن السهل ابراز القتل على أنه شهيد، والأستفادة من مقتله فى المخطط الأجرامى.

النظام يمارس القتل على الهوية،

كنا وصلنا إلى خيار: أما الرضوخ أو الصمت وأما القتل.

وهنا برزت الهجرة لمتابعة النضال فى ظرزوف قاسية جداً. والابتعاد عن الوطن عملية قاسية رهيبة تحمل الكثير من الآلام والعلل النفسية والجسدية. لكن هذا قدر المناضل، لأننا لن نرضخ ولن نسكت. ولماذا الرضوخ وما هدفه. لو اردنا أن نجامل لكان بيدنا الشئ الكثير. أما إذا كان لابد من القتل فليقتل الإنسان فى سبيل رسالة، فليقتل وهو يناضل. ونحن الآن مهددون فى كل لحظة وأنت ترى والجميع يرون كيف يصرع المناضلون والشرفاء فى العالم بواسطة عمليات أرهابية يشترك فيها المجرمون والأرهابيون من عملاء أجهزة القمع ومن الصهاينة ومن المحترفين والمرترقة (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله). ولى فلسفة أنا مرتاح إليها وهى إن الخوف يجب أن يلحق بالطاغية لأن شعباً بأسره قد حكم عليه السقوط. وقد التقيت بحافظ الأسد أكثر من مرة وهو رئيس جمهورية. ولم أكن مرتاحاً

فى أى مرة إلى نوع تفكيره وأسلوبه وفهم الأمور، وطرحها أو معالجتها. وكانت ثمة أشياء شاذة وغريبة لديه.

حافظ الأسد:

- صحيح أن الأسد استلم السلطة (١٨ سنة) ولكنه ما يزال غامضاً ولا توجد مؤلفات عميقة تشرح نفسيته وأفكاره الحقيقية. وعندما اجتمعت به المر تقل له لماذا يستمر فى القتل والفساد والبطش وزجة الألوف فى السجون وماذا كان جوابه وأنت كنت قادراً على مواجهته؟

* لا يتعلق الأمر بالقدرة على المواجهة أو عدمه، بل باستعداد الشخص الذى تواجهه لأن يتقبل منك النصيحة أو التوجيه. أنه يكابر بشكل غريب ومستهجن ويحملك على التساؤل: هل يعنى حقاً ما يقول، أو هل بلغت استهائته بعقول الناس هذا الحد؟ أذكر أن مدينة حلب كانت تفوز بالنقمة على النظام وكنت ترى رجال السلطة والمخابرات والأزلام مذعورين وقد أسقط فى يدهم. ومع ذلك فقد كان يروى لجلسائه بصوت رتيب لا أثر للشعور فيه أنه كان يعتقد بأن مدينة حلب كانت إلى جانبه بنسبة ٩٠٪ وأنه كان يجادل رفاقه الحزبيين متالماً من هذه النتيجة، ولكن الرفاق كانوا يهونون عليه الأمر، ويؤكدون له أن المدينة الثائرة إلى جانبه ١٠٠٪. وعندما يحقق حافظ الأسد فى الأمر أخيراً تنبلج له الحقيقة الصريحة: وهى أنه كان مخطئاً للمرة الأولى فى تقديره، وأن الرفاق كانوا على حق - مرة الأولى أيضاً - إذ أن حلب إلى جانبه ١٠٠٪ أن عقلية من هذا النوع لا يمكن أن تناقشها ولا يمكن أن تقبل من أحد قولاً. ولقد علمت أن بعض من صدقوه القول قد استبعدوا نهائياً وأهملوا وجر عليهم النسيان ذيله، كى لا نقول غير ذلك. أن لديه مخططاً، وهو شخص بلا احساس ولا عاطفة.

أما قولك بأنه غامض فأنا لا أعتقد ذلك إذا أردنا ان نستقرئ اعماله. ونتائج أعماله واضحة وتدل عليه. وسواء قال عنه كارتير أو أى شخص آخر بانه شخصية داهية وذكى إلى آخر هذه الصفات، فإننى بصراحة ودون أى تحامل لم ألمس لديه ما ينم عن ذلك. وليقل الناس ما يقولون. أما إذا أردنا بالثقافة والمعرفة والذكاء، المناورات والمؤمرات فهنا يمكن أن يكون أستاذاً، ولكن كل من يريد ان يتجرد من الضمير القوى أو الوازع الأخلاق يستطيع أن يفعل أشياء كثيرة لا يستطيع غيره أو أى شخص آخر فى مركز السلطة أن يفعله. وأعتقد أن هنا يكمن السر. وأنا هنا أريد أن أربط بين الدعاية لبعض السياسيين والدعاية لبعض الأدباء أو المفكرين، إذ فجأة ترى الشهرة تنصب انصباباً على شخص ما، ولا تفتح صحيفة إلا ترى اسمه فيها، وتعجب كيف يخترعون المجالات والمناسبات لذكر اسمه، فإذا نفذت إلى المستشرقين وما وراءهم وما أمامهم من امكانات التحدث على منابر الجامعات أو فى الكتب رأيت هذه الأسماء بعينها تتردد. وينالك العجب. هل هذه هى العبقرية؟ أبدأ وإنما هناك المؤسسات والمنظمات الدولية، لغاية فى نفس يعقوب كما يقولون، ترمى بثقلها فى هذا الميدان، وإذا بنا جميعاً نردد دون امتحان أو تمحيص ما تحاول هذه الجهات غير المتخصصة وغير الموثوقة أن تدخله فى روعنا. وقد يقع الكثيرون فى هذه الشباك بحسن نية وبساطة وارتزاق...

— اضرب لنا مثلاً.

* لا أريد أن أشهر بأحد. وأستطيع أن أعطى أسماء وراءها منظمات شعبية معادية للعرب والإسلام، وشبكات أجهزة مخابرات، لا تغفل عن كل ذلك العين الصهيونية.

— أنت ضربت هذا المثل فى الحديث عن حافظ الأسد. إذن هل أنت من

الذين يكررون دائماً كلاماً نسمعه: "أن الأسد عميل لإسرائيل". وهل يجوز الأسف إلى هذا الدرك لدى المعارضة السورية؟

* قبل كل شيء أنا لا أتلکم باسم المعارضة، ولست مخولاً بذلك، كما أنى لست مسؤولاً عما تقوله. أنى مسؤول عما أقوله شخصياً. ورأى أنه ليس من الضرورة أن يذهب المرء للمخابرات الصهيونية أو الامبرالية ويقول لها: أنى أريد أن أكون عميلاً. أعتقد أنك توافقنى على أن الأمر ليس كذلك. ولكن هذه المخابرات والمخططات والمنظمات الأجنبية المعادية للعروبة والإسلام، عندما تجد أن عملاً ما من رئيس أو أديب أو أى فعالية أخرى فى الحياة إنما يخدم مصالحها، عند ذاك تسلط عليه وعلى صاحبه الأضواء وتدفعه بمختلف الأشكال فى هذا السبيل. وقد تكون لهذه الشخصية بعض الاجتهادات تقودها إلى منزلق حياتى، ولا تستطيع بعد ذلك التوقف أو العودة إلى الوراء، وتصبح مندفعة بقوة تيارات كثيرة تفيد منها عند ذاك الامبرالية والصهيونية وتكون لهذه الشخصية مثل غطاء أو مظلة وتسلط عليها الأضواء لمحاولة تلميعها واعطائها ما أمكن من البريق والبهرج، وقد تخف إلى انقازها وانهاضها كلما عثرت واعتراها الضعف والونى.

- مثلاً... وحدد؟

* لقد وصل حافظ الأسد إلى الحكم. ولا أريد الآن أن أسترسل فى كيفية وصوله. فقد خدمته ظروف معينة، وما كان لهذه الظروف أن تفيده إلى الحد الأقصى لولا أن لديه مخططاً للوصول إلى الحكم، والبقاء فى الحكم. فاذا تجاوزنا مخطط الوصول إلى الحكم ووصلنا إلى خطة البقاء فى الحكم رأينا أنها خطة لا تنم عن ذكاء ولا وطنية. بالعكس. فلو أراد أن يخدم هذه البلاد بصدق لوجد نفسه مقبولاً

من هذه البلاد ولرحبت به أخيراً كما رحبت به أولاً. ولو أراد أن يجزيها أخلاصاً بأخلاص وأن يعمل في سبيلها ويجند نفسه والأماكن الموضوعات تحت تصرفه في خدمتها لكان وصل هو إلى نتيجة أهم بكثير، وكان الشعب وصل أيضاً إلى نتيجة مغايرة. ورأى - وهو بالطبع من جملة آراء قد تكون كلها وجيهة - أنه كان يحمل في نفسه حقداً دفيناً، وكان أفقه ضيقاً، وثقافته معدومة، وأنا في تحليلي التقى مع كل الذين يرون فيه رجل شرطة ومخابرات، وأن تفكيره لا يعدو هذا المستوى.

وبالطبع فإن الحكم يتطلب غير هذه العقلية، خاصة حكم سورية التي تهتف كل ذرة في أهلها وأرضها بالحرية والديمقراطية. إن حافظ الأسد لم يفكر بالطريقة السليمة، طريقة خدمة الشعب وإفساح المجال أمامه ليمارس حريته، وليعيش في ازدهار وكفاية على الأقل، مطوراً نشاطاته وإمكاناته العلمية والثقافية والتقنية والأقتصادية والروحية. الحق إن حافظ الأسد أراد الحكم مدى الحياة، وكان يحس أحساساً قوياً، خفياً وظاهراً بأن هذا غير ممكن إلا إذا اعتمد على القوة، ولكن أية قوة؟ أن قوة الوطن والشعب معناها الحرية والديمقراطية، ومعناها أمكانية المحاسبة، ومعناها المنطق، ومعناها الخضوع لأرادة الجماهير، ومعناها الارتقاء العلمي والثقافي. وهذه وغيرها أشياء تخيف حافظ الأسد الذي يفتقر إليها أو لا يؤمن بها. ومن هنا كان لجوءه الأول والأخير إلى قوة السلاح والمخابرات. ومرة جديدة أقول لك أنى أشكك بكل هؤلاء الذين يرون الذكاء في حافظ الأسد إلا إذا كان تصرفاً يخدمهم ويخدم مصالحهم. أن الشعب الذي أراد حافظ أسد وأستقبله ورحب به هو نفس الشعب الذي يرفضه الآن ويتهمه بالطائفية. فما عدا مما بدا. لقد أستقبلته حماة بأفضل مما أستقبلته اللاذقية، وكانت حماة وكانت سورية تعرف أنه ليس من الأكثرية المذهبية، ولكن سوريتهم بخاصة لم تقم أبداً لهذه الاعتبارات وزناً. المهم لديها هو الوطنية والأخلاص والأيمان والنضال المتفاني المتجرد في سبيل الوطن والشعب والأمة. لقد كانت سورية تأمل بأن الانقلاب على فترة دكتاتورية مرفوضة سيؤدي إلى النقيض أى إلى العهد

الديمقراطي.

— أذن ما الذي دفعه إلى التحول إلى الدكتاتورية؟

* أنى أفكر بهذا الأمر مثل كل الناس. وأن كنت قد ذكرت لك ما أراه من أسباب قد لا تكون كل شيء. وبهذه المناسبة فلا أذكرك أنى راقبت منذ المرحلة الأولى فى التليفزيون السوري، عرضاً أو إعادة لأستقبالاته فى المدن السورية، وأسترعى أنتباهى موقفه الجامد الكامد أمام فرحة الشعب. لم يكن يحركه أى شيء من حماسة أو عاطفة أو مشاعر هذا الشعب. كان ينظر باكمداد وذهول. أما الدهول فقد يكون تفسيره سهلاً، إذ أنه لم يكن يصدق ما يرى، وتجاوز ما يراه كل أماله ومطامحه وتصوراته، ولكن يبقى الاكمداد. وذكرت ذلك لمن هم حولى وقال بعضهم: ربما لأنه رجل عسكري غير معتاد على الوقوف أمام الجماهير والتفاعل معها. ولكنه فى الواقع كان يفكر للبقاء فى الحكم بعقل مريض. ويرى هذا الشعب قطعة عسكرية، عليها تلقى الأوامر والتنفيذ أما الذى يأمر فيطاع فهو منذ اليوم حافظ الأسد. وحرصاً على استمرار هذه الحالة فلا بد من من القضاء على كل شيء يدخل فى باب الديمقراطية وفى باب الاخلاق وفى باب الوطنية وفى باب القومية. ولا بد من افتعال أوضاع جديدة غريبة فى البلد كى لا تكون هناك حالة استقرار من جهة، وكى تنقلب كل موازين المنطق والأخلاق والوطنية. وبدأت مرحلة المسخ المشؤومة التى اقتضت سورية دماءها وازدهارها وكرامتها وعزتها.

وعندما يبرز حاكم متسلط بهذه القوة وبهذا التصميم الخفى منه والظاهر على احتكار الحكم وتذليله لأطماعه وشهواته وأحقاده وتصوراته المريضة لكل ما تحمل من عقابيل خطرة منذرة، فإن ثمة دوماً مجموعة من الانتهازيين والمرتزقة والمنافقين وضعاف

الإيمان يبرزون في الساحة معلنين استعدادهم للتعاون. أنها بحاجة إليه وهو بحاجة إليها. وهي مستعدة لأن تمتد في حبال السلطة والفساد، وهو مستعد أن يمد لها في حبال الفساد. تبقى السلطة من أين يستمدّها الطاغية؟ وهنا يفكر بأن عليه أن يستغل جماعة ما أو طائفة ما أو حزباً ما.

الطائفة العلوية،

– ما تعنيه أنه جلب أبناء الطائفة العلوية للسلطة؟

* سأعامل في حديثي مع تعابير أملاها واقع معين ونحن لا نقرها، ولا نرضهاها أو نرضى عنها، بل نشجبها، ونأمل في القريب العاجل، وعندما يعود وطننا إلى حقيقته وأصالته أن نعود إلى التخلص من هذه التعابير كما كنا مخلصين منها في السابق، وفوق ذلك أيضاً. سأقول إذاً أن حافظ الأسد قد يكون فكر هنا – أو قبل الآن – بالطائفة العلوية. ولكن موضوع الفساد والافساد لا يمكن أن يسرى على طائفة بأسرها خاصة إذا كانت معروفة بمجملها بأنها طائفة عربية إسلامية جعلت من امام المتقين على بن أبي طالب قدوة، وفيها شيوخ عرفوا بالتقوى والاصلاح، يدعون بأوامر الله، وفيها شباب مثقف وطني قومي حيوى ذو مثل عليا في هذه الحياة. وهنا تبرز مهار الشر لدى الطغاة. لا بد إذاً من اتسقاط الانتهازيين والمرتزقة والفاستدين والمرضى الحاقدين من هذه الطائفة. أما جماهير الطائفة فلا بد من إيجاد جو متوتر معين يدفعها للالتفاف حول هذا الذى أراد أن يربط مصيرها بمصيره. وبما أن هذه الطائفة العلوية لديها تقاليدها العربية والإسلامية الاصلية والصميمية من أخلاق وإيمان ووطنية ونظرة تسامحية، فما كان لحافظ أن يجمعها حوله إلا بافتعال أشياء كثيرة.

– إلا تعتقد أن بعض الفئات السورية المسيئة مثل الإخوان المسلمين

على وجه المثال كانوا أداة مباشرة وغير مباشرة بيد الأسد، وعندما قتلوا المثقفين من الطائفة العلوية والحزبيين بمن فيهم الذين لم يمارسوا أى دور قمعى أو أمنى؟

* لا أريد أن أتحدث عن الأحزاب أو أن أسمى أحزاباً، وكلنا يدري كم تعددت الأجتهادات وسط هذه الأحزاب. ولكن بالتأكيد هناك فئات من مختلف الاتجاهات والانتماءات لعبت لعبة السلطة القمعية والطائفية. وليس من داخل الوطن بل من خارجه أيضاً. وكما قلنا فإن الأمبريالية والصهيونية عندما ترى مجالاً لخدمة مصالحها فإنها بقدرتها المخبرانية وطاقاتها التآمرية تتوصل إلى أن تستفيد إلى أبعد حد من أى وضع شاذ. وهل تعتقد أن بإمكان شخص أياً كان، أو أى فئة من الفئات أن تقول «أنا طائفية»، ثم تستطيع أن تبقى طويلاً فى بلد كسورية، البلد الوطنى بتاريخه وبأكثرته الساحقة؟

ونحن نعرف تاريخ سورية ونضالها ضد المستعمر وتقديمها التضحيات بمختلف فئاتها. وهل أذكرك فى العهد الوطنى بفارس الخورى الذى هو من الطائفة البروتستانتية وهى من أقلية الأقليات - إذا أجزنا لأنفسنا هذه اللغة المجوجة المرفوضة - ومع ذلك فقد كان رئيس وزراء سورية مراراً، وكان الرئيس الدائم للمجلس النيابى السورى، أى الشخصية الثانية بعد رئيس الجمهورية، وكان ممثل سورية فى هيئة الأمم المتحدة، وأذكر أنه ألف مرة وزارة أنتقالية وكان وزرائها الثلاثة مسيحيين، ولم أسمع فى حياتى لا مثقفاً ولا مواطناً بسيطاً ذهب به التفكير إلى طائفية الوزارة. الذى يعنيه هل هؤلاء الوزراء وطنيون أم لا. هكذا هى سورية، وهكذا نشأنا وربينا. لذلك كان لابد من أفعال أمور فى غاية الخطورة، تهز الضمير هزاً عنيفاً، وترج التقاليد رجاً مخيفاً، كى يستطيع حافظ الأسد أن يمرر مخططه. وإذا قلنا أن عهده طائفى، وهو طائفى حقاً، فليس معنى ذلك أبداً أن طائفة ما هى الحاكمة والمتسلطة وهى المسيطرة على الأمور، بل أن هناك جواً طائفياً يستغله كل الفاسدين والمرترقة والانتهازيين من مختلف الطوائف ويبقى الدين هو الضحية.

- هناك دراسات غربية تقول أن الأضطهاد الذي مورس ضد الطوائف في سورية أن كانت علوية وغيرها، سيؤدى إلى إنشاء دول الطوائف وسورية تتجه فى هذا الاتجاه؟

* أنها رغبة دفينّة، قديمة وحديثة، تجند لها الدراسات المرتدية ثوب العلم، كما تجند أساليب أخرى لا علاقة لها بالعلم. ولكنى أستطيع أن أبشر هذه الرغبات بخيبة أو خيبات تخلط أوراقها كما يقول التعبير الحديث. المؤامرة كبيرة ويشترك فيها، فيمن يشترك، النظام القائم فى سورية. واستطيع أن أقول بأن مثل هذه التجربة فاشلة اليوم وغداً كما فشلت بالأمس بعد أن حققت نجاحاً بدا وكأنه نهائى. وفيما يخص العلويين أستطيع أن أقول لك ثقة وحزم وقوة أن التفكير بالدويلات هو وهم كبير فى رأس من يفكر به، سواء كان من الطائفة العلوية أو من يزعم ذلك من الطوائف الأخرى. فى ظل الحكم العثمانى وما جره على العرب عامة وعلى العلويين بشكل خاص، حافظ العلويون على قوميتهم ودينهم متحصنين بالقرآن الكريم واللغة العربية واضعين ثقتهم برجال الدين الكبار الذى تحفظ ذاكرهم ومكانتهم هذه المساجد التى أقاموها فى انحاء الجبل. وقد تصرف هؤلاء الشيوخ بما يمليه عليهم دينهم وكتابهم الكريم وعملوا بهدى ذلك، وحفظوا وحدة الشعب وكانوا المقيمين على تقاليده وأخلاقه وثقافته ضمن الحدود الممكنة، إذ لا يمكن أن يوجد بيت علوى إلا وفيه نسخة أو نسخ من القرآن الكريم، ولا يوجد علوى إلا ويحفظ قسماً، ويقل أو يكثّر من القرآن الكريم. والتبارى بحفظ القرآن غيباً مجال اعتزاز وتفوق.

هكذا اغتالوا شقيقى بدوى الجبل:

ثم جاء الفرنسيون وانطلقت أول ثورة سورية على المستعمر المحتل من جبل العلويين بقيادة الشيخ صالح العلي المسلم العلوى. وقاومت هذه الثورة فترة طويلة تعد بالسنين وكانت على صلة بالحكم العربى فى دمشق وكان رسل هذا الحكم إلى الثورة البطل الخالد يوسف العظمة وزير الدفاع السورى والمرحوم رشيد طليع وزير الداخلية والفتى بدوى الجبل النجل الأكبر لعلامة العلويين وأمامهم الشيخ سليمان الأحمد. ثم عندما نجح الفرنسيون - وكانت فرنسا أقوى دولة برية فى العالم آنذاك - وأقاموا دويلات العلويين والجزيرة والدروز والشام وحلب، لم تستطع أن تثبت أمام إرادة المواطنين واستمر النضال ضدها حتى تحققت الإرادة والطموح الوطنيان وتكونت الوحدة السورية. ولو لم يكن العلويون عرباً مسلمين لما كان هناك أى شىء أو أية قوة تلزمهم بالقضاء على «دولتهم» ليندمجوا فى الدولة العربية السورية، وهناك فى العالم دول اصغر من دولتهم مساحة وسكاناً وأهمية موقع. وكانت أقوى دولة عسكرية فى البر تدعم قيام دولتهم. وعندما غدر البريطانيون بالشريف حسين وحاربوا «الدولة العربية» التى وعدوه بالدعم لتحقيقها، كان الشاعر العربى المسلم العلوى بدوى الجبل، وفى ظل الدولة العلوية، هو الذى حملت وفود من بلاد الشام قصيدته التى يرحب فيها بالثائر العربى ويهاجم المستعمرين الإنكليز ممجداً الوحدة العربية، مناشداً الحسين أن يعمل لها. وبالإمكان الرجوع إلى ديوان بدوى الجبل وإلى ما كتبه الأستاذ أكرم زعتر عنه فى كتابه: بدوى الجبل وإخاء أربعين عاماً. ولو شئت أن أترسل لك أن تملأ عشرات وعشرات الصفحات كى لا أقول المئات والمئات.

وعلى هنا أن أسجل بأن رجال الدين المسلمين العلويين كانوا موقذى النضال من أجل تحرير الدولة العلوية من الحكم الأجنبى وضمها إلى الوطن الأم سورية. ولم يحضروا الناس على مكارم الأخلاق فقط بل على الدفاع عن وطنه ومعتقداتهم وعن وحدتهم.

لقد أدى المشايخ العلويون - كما أدى رجال الدين من جميع الطوائف المذهبية - هذه المهمة الكبرى الشامخة. وعندما أراد المستعمر أن يغمر هؤلاء المشايخ على القول بأن لهم ديناً قائماً بذاته وأنه لا يتحدثون من الأصل العربي، كى تكرر إلى الأبد الدولة العربية، جاء الرد حاسماً على لسان مرجعهم الأكبر وفي فتوى خالدة أنهم فرقة إسلامية جعفرية المذهب، تأخذ وتقتدى باجتهادات الإمام جعفر الصادق أستاذ الأئمة جميعاً.

- لكن اعتبر البعض إن بناء الإذاعة في جبل العلويين أو الجامعة أو القصر الجمهوري هو بمثابة تهينة الجبل لإعلان الدولة الانفصالية، وحتى سمعنا من مصادر أنه إذا فقد الأسد منصبه وخسر دمشق فإنه سيتراجع ويتحصن ويحصر نفسه في جبل العلويين، المر تسمع هذه الأقوال؟

* كمواطن مثل سائر المواطنين، اسمع كما يسمعون، وأفسر الأمور ليس كما يفسرها البعض بل كما أفهمها وأعرفها ربما أقيم في الجبل والساحل أكثر مما ذكرت، وقد سمعت أنا مثلاً، ولست متأكداً من الخبر، أنه أقيم في منتصف الطريق بين قرينتا وبين القراذحة فندق «ميريديان»، وربما لم تكن المنطقة بواقعها الحالي بحاجة إلى هذا الفندق. مهما يكن فإنه مما يثله الصدر أن تقوم في كل محافظة سورية جامعة أو إذاعة وفندق حديث. أما القصور فأنا من أنصار تأمين شقة صالحة لكل مواطن. وسأقول لك هنا شيئين أساسيين: أولهما أن العلويين، وعندما كانوا خارجين من ظروف صعبة تحت النير العثماني وما سببه من انعزال وجهل وظلم وطفغان وفقر وعدم وعي، لم يقبلوا بأن تقيم لهم أقوى دولة في العالم دولتهم الخاصة ولم تستطع بكل جبروتها أن ترغمهم على ذلك. بالطبع هناك من ماشى الفرنسيين، ولكن في أية طائفة من الطوائف لم يماشوا الدولة المحتلة

المنتصرة. حتى كبار الوطنيين الذين نعتز بهم وبنضالهم يضطرون إلى احناء رؤوسهم أمام العاصفة أحياناً لأن طبيعة الحياة هكذا. لكن المهم أن لا نفقد هدفنا ونضيعه ونضيع عنه.

- ما عنيت به من سؤالى أن الطائفة العلوية قد استجروها من خلال عمليات الاغتيال الطائفي إلى تهينة بناء الدولة الطائفية، لأن الطائفة العلوية في حالة حصار. وهل تعتقد أن الذين حازوا على امتيازات طائفية يمكن أن يتخلوا عنها بسهولة؟ ورفعت الأسد لم يتخل بسهولة عن امتيازاته بل أخذها معه إلى الخارج. وأصبح بعض العلويين يعتبرون أن الحامي الوحيد لهم هو ولاؤهم لحافظ الأسد وبقاؤه في السلطة. فهل لمست هذا من لقاءاتك مع أبناء الطائفة العلوية؟

* طبعاً سمعت ذلك ولمسته. وفي فترة أصبحت بعيدة الآن كانت هذه هي الفكرة الخاطئة السائدة مع الأسف وعلى مضض وألم. وكانت سائدة في أوساط حتى المثقفين أو الواعين الوطنيين. وبصراحة فقد كان هؤلاء وما زالوا من خلاصة الوطنيين والقوميين ولكن الظروف المرضية الشاذة التي أوجدها حافظ الأسد من جهة، ومن تبعه ونفذ سياسته واستخذى له من الطائفة العلوية والطوائف الأخرى من جهة ثانية، كل ذلك خلق جواً أصبح يستبعد المنطق والعقل. الاغتيالات العشوائية - كى لا أقول غير ذلك - والتشويهات الفكرية التى هى اغتيال من نوع آخر، حرقت حتى التفكير عن دربه الصحيح. أصبح كل شخص يخشى على نفسه. والقتل كان يصيب دون تمييز بين متورط مع النظام أو حتى معاد للنظام. أى أنه كان قتلاً على الهوية. وهذا يطرح أمامنا لوحات كريهة تكررت صورتها في لبنان. والقتل هكذا خدم حافظ الأسد لأنه أيد ما كان يذيعه هو وزبائنه أن

العلويين مستهدفون لكونهم علويين.

أجل للواقع قتل قوم من خيرة المثقفين والوطنيين والعلماء والمخلصين، ممن يعتز بهم البلد، وأعترف منهم من كان يكره النظام القائم ويكرهه النظام القائم. بالطبع كل وطني صادق، وكل عاقل، وكل إنسان شريف مؤمن يستنكر الأرهاب والاعتقالات، التي سقط ضحيتها بريثون، كما سقط أطفال ونساء وشيوخ من جراء تفجيرات نجبانة مشبوهة. أن تربيتنا الروحية والفكرية والثقافية لا يمكن إلا أن ترفض الأرهاب وتستنكره وتستبعده وتحاربه. والشعب السوري عامة لا يمكن إلا أن يكون ضد الأرهاب. أننا مع الثورة التي يكون الشعب فيها هو القائد وهو المسؤول، وباعتبارنا مواطنين فنحن مسؤولون ضمن هذا الشعب وضمن جيش هذا الشعب. شيء آخر أريد أن أضيفه وهو أن الأرهاب والاعتقال يوظفهما النظام لصالحه، وتحت ستارهم يقوم هو بأشأم الأعمال وأكثرها ضرراً للوطن والشعب.

اغتيال بدوي الجبل

- لماذا بقيت حتى عام ١٩٨٠ كي تشعر بأن سورية ليست مهددة بوحدها الوطنية فقط بل الطائفة العلوية مهددة. لماذا بقيت كل هذه الفترة مع أن حافظ الأسد كشر عن أنيابه خلال عقد من الزمن من حكمه... أم أنه كان يصغى للكم؟

* أريد أن أسجل قبل كل شيء، وهذه بديهية، أن جميع الموجودين في سورية ليسوا ملزمين بالخروج منها كي نعطهم صكاً بمعارضة النظام. وإذا لم يكن

خروج شخص ما هو أكثر فائدة من بقاءه فإن عليه أن لا يخرج ابداً. أن النضال يجب أن يتم في الداخل أولاً. وقد خرجت فقط عندما تبين لي أن الأرهاب والاغتيال اصبحا يضيقان الحلقة حولي، ولم أجد فائدة في أن يكون مصرعي سلعة يتاجر بها النظام. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد كان وجودي حرراً في الحركة والاتصال والحديث والتوجيه ضرورة وطنية قبل أن يكون خلاصاً شخصياً. ولقد بقيت فترة طويلة ممنوعاً من مغادرة البلاد وأنا على رأس عملي الجامعي، وعلمي في البلاد، باعتباري المخول على رأس هذه الرابطة بتأسيس أكاديمية العلوم العربية. ولد كنت رأس الاجتماعات التي يحضرها رؤساء الجامعات والوزراء.

اكتشفت على المطار أنني ممنوع من السفر

وأذكر - وهذا للتاريخ - أنني كنت مرة في حدود عام ١٩٧٨ إذا لم تخنى الذاكرة وكان عدنا الدباغ وزير الداخلية السورية على قيد الحياة في هذه الفترة، أقول: كنت متوجهاً إلى إحدى الدول الأوروبية في زيارة علمية وكانت لدى تأشيرة الخروج السورية. وفي المطار وبعد أن قدمت جوازي لرجل الأمن ككل المواطنين - مع أنه كان باستطاعتي أن أدخل قاعة الشرف وأن أرسل من ينهي لي معاملاتي - أخذ رجل الأمن الجواز وعاد بعد فترة وهو يكاد يتلعثم في كلامه ولا يصدق. قال: أنك يا دكتور ممنوع من المغادرة! ولما استغربت جاءني بقرار المنع وعليه اسمي واسمه والدي وتاريخ مولدي الخ... وبعد مراجعات قال: سوف تغادر هذه المرة ولكن رجاء عند عودتك، أن تزيل قرار المنع. وأثر عودتي تدخل أحد الأصدقاء لدى المرحوم عدنان دباغ وقد أزال هذا القرار وعمم الغاءه على كل الحدود وقال لصديقي: بلغ الدكتور أنني ألغى قرار منعه لأنه أحمد سليمان الأحمد وليس لأنه مسؤول في الرابطة...

والجدير بالذكر إنني لم أعرف عدنان دباغ شخصياً ولم يعرفني شخصياً. فقد كنت زاهداً بمعرفة رجال الحكم مبتعداً عنه ما استطعت. أردت من ذلك أن النظام كان ياحقني ويحاصرني. ولئن تأخرت في الخروج من سورية وكان معي أخوان كثيرون، بل الكثيرة الكاثرة من مثقفينا، وكنا نقدر أن نكون قوة ضاغطة. وفي نهاية الأمر ما هو الجيش؟ الجيش هو منا، من هذا الشعب، هو الجندي والضابط، هو المواطن، هو أخى أو أخوك، وابنى أو ابنك. وما زال هؤلاء الأخوان الكثيرون يعملون ضمن ظروفهم، ومن مواقعهم، وسوف يرضى عنهم الوطن والشعب في الوقت المناسب للدور الذى سيقومون به. أما أنا فكان على أن أغادر، أن ابتعد لأصبح أكثر قرباً من كل المواطن، إذ أن صوتى أصبح بإمكانه أن يصل إليهم بمزيد من الحرية والوضوح. لقد كانت الكماشة قد أخذت تضيق حولى وأصبح السكوت مطلباً أساسياً للحكم بالنسبة لى. أما الاعتقال فكنت استبعده لأنه سيجر عليهم ما قد لا يطيقونه.

- لكنهم يقتلون. ألم يحاول صلاح جديد اغتيال شقيقك بدوى الجبل؟

* أجل، لقد حاولوا اغتيال شقيقى. ونجحوا فى خطفه وفى اصابته اصابات بليغة، انتقل إلى جوار ربه وهو يعانى منها بل أخرجه عملياً من ساحة النضال والحياة.

- ما حقيقة ما حدث لشقيقك؟

* كان يقوم بنزهته الصباحية كالمعتاد من منزله فى شارع «أبو رمانة» بدمشق. وكانت اقامته الدائمة فى دمشق وكذلك أنا (وبين هلالين أقول أنه لم يتغن شاعر من الأمة العربية قديماً وحديثاً بدمشق ولم يكتب بتمجيد الشام وحب الشام أكثر بل مثل بدوى الجبل وأحمد سليمان الأحمد، وهذا تحدى أطرحه على دارسى الأدب). وكان قد كمنت له عصابة مجرمة - وكان الوقت باكراً جداً، غير بعيد عن مبنى الأركان العامة، فأهروا ضرباً على رأسه وأعضائه ونقلوه إلى جهة مجهولة

لعلها حمص، حيث عذبه تعذيباً هائلاً. عرفنا ذلك مما كان يردده هو في حالة غيبوبة امتدت أياماً وأسابيع. وكان سبب هذه المحاولة الاثيمة قصيدته الكبرى بعد هزيمة ١٩٦٧ وفيها يعرّى بشجاعة وإيمان رداء الطائفية التي كان يلبسه حكام تلك الفترة واستمر بالمتاجرة به من انقلبوا عليهم ليستأثروا ويحتكروا. وقد ألقى صيحته المدوية:

نُسبوا للإمام زوراً...

وبرئ من الطغاة على...

وليس ذلك فقط بل فضح أساليب الحكام التي اجتهدت في تزوير الشعب وقمعه وإفقاره:

لا يقود الشعوب ظلم وفقر

وسباب مكرر مسعور

كل حكر له - وان طالت الأيام

يومان: أول وأخير

وحبذا لو كانت هذه القصيدة بين يدي، وحبذا العودة إليها فهي سجل فني لفترة فيها كل العبرة.

وسأضيف هنا، وأن كان هذا يدخل في حديث المرء عن نفسه أو عن أخيه، ولكنه حديث للحقيقة والتاريخ والأدب، وهو ذو قيمة في هذه المرحلة السياسية والاجتماعية أيضاً تم شاعرين عربيين مسلمين علويين هما اللذان وقفوا بشعرهما وقامتتهما الاجتماعية في وجه تزوير القيم الفكرية والروحية والإنسانية للشعب، في حين كان ومازال شعراء مرموقون

كثيراً أو قليلاً في دمشق وحلب وحماه، أما يتهمون - في فترة من أصعب افتترات في تاريخنا - على أئمة المساجد وينسبون إليهم السبب الأكبر في انكسارتنا، وأما يمجّدون الطاغية في قصائد متوالية حتى بعد مأساة العصر في حماه، بل بعدها على وجه التحديد والتأكيد، وأما يصمتون صمتاً جباناً مشبوهاً، أو متآمراً، أو على الأقل لا مبالياً بالشعب وهم الذي يطمحون أو يريدون أن يملأوا أعمدة الصحف والمجلات ضجيجاً بأنهم شعراء الشعب. هذه حقيقة على الأدب الحقيقي أن يهتم بها.

- من هم هؤلاء؟

* لم أذكر ما ذكرت بقصد التشهير، وإنما بقصد التوضيح وأخذ العبرة، والتوصل إلى روحية الانصاف وعقلية المحاكمة بموضوعية وتجرد. وأظنك وأظن أي قارئ يهتم بقضايا سورية أو له الإلمام بالأدب قد قدر من هم هؤلاء. ولا يهمني ذكر الأسماء بقدر ما يهمني الدرس الذي يمكن أن نستخلصه مما ذكرت.

- هل تعتقد أن الغموض في تعاليم الطائفة العلوية، وعدم ظهور أي كتاب واضح عن طقوسهم هو سبب خلق الأساطير والخرافات عن الطائفة. وقد حاول النظام منع إزالة هذه الخرافات لماذا؟ وهل توافق على ما قاله الإمام موسى الصدر بأن العلويين شيعة؟

* قبل كل شيء أعبر عن إحترامي لآراء الآخرين وأن كانت مخالفة لرأبي، شريطة أن لا يكون وراءها هدف تخريبي خبيث. وإنني أحترم بالطبع قول الإمام موسى الصدر في هذا المجال وأرى إنه عبر عن واقع وحقيقة بديهية. ومع ذلك العلويون لا يشعرون إنهم مفتقرون إلى من يشهد بهم أنهم مسلمون أو شيعة. فالعلويون بكونهم علويين هم مسلمون. وحبذا لو كنا جميعاً اكتفينا بهذه التسمية: أن الدين عند الله والإسلام. ولكن إذا اردنا إن نذهب وراء ذلك وقلنا لا بد أن يتخذ

الإنسان مذهباً له في الإسلام، فطبعاً أنا شخصياً بل أرى أن لا يتجاوز المسلم تسمية الإسلام كما أمر الله سبحانه بذلك. أما وأن الواقع قد فرض مذاهب فقد اتخذ العلويون المذهب الجعفرى. وعندما يعترف إنسان ما أو فئة ما ويشهدون بأنهم مسلمون فأعتقد أن شهادتهم كافية. وكل تأكيد من الآخرين فهو عبارة عن الاهتداء إلى الحقيقة.

أما الخرافات والأساطير فإنى أقول لك من منطلقين: منطلق العارف الدينى والمذهبي ومنطلق الإنسان المثقف الواعى على مستويات علمية أخرى: نعم... أن اتباع أى ملة أو مذهب معرضون لأن تشيع بينهم الخرافات والأساطير فى نسب متفاوتة، فما بالك إذا عاشت فئة من هذه الفئات فترات زمنية معزولة مظلومة وقد ضرب عليها الجهل والفقر خيمته؟ الأساطير والخرافات ليست وقفاً على العلويين ولا على اتباع هذا المذهب أو ذاك. والأديان السماوية والمعتقدات غير السماوية جعلوها تغص بالخرافات والأساطير، وقد نشط قاصرون ومشبهون ومرتزقة وغير ذلك فى اشاعة مثل هذه الأمور، احتيالاً دنيوياً بحتاً. أن من يتخذ من الإمام على قدوة، ويتخذ اسمه نسبة شامخة، من المفروض أن يتمسك بما كان الإمام على متمسكاً به من شرعة الله وسنة نبيه، وأن يكون احرص الناس على ذلك، وبين أيدينا القرآن الكريم الذى نعتقد نحن المسلمين، أننا لن نضل إذا تمسكنا به، وحملناه نبراساً وهداية، ورجالات الإسلام العظام هو مجدنا، وهم تاريخنا، وهم ثقافتنا نعود إليها وتكون لنا ذخراً للانطلاق الدائم إلى الإمام، بما لا يتعارض مع الأصول والجذور.

— ما هى هذه الأساطير والخرافات؟

* لسنا الآن فى صدد استقصاء أو دراسة، وأن كان هذا ميدانى أيضاً، إذ علاوة على الثقافة الشرقية والغربية التى تلقيتها فى موسكو وباريس، فقد تثقفت الثقافة الدينية العميقة ومن أهم مصادرها وهو والدى الذى كان المرجع الأكبر لقومه، وكان

معترفاً به لدى علماء الشيعة كمجتهد مرموق ويخاطبونه بشيخ علماء الشيعة في جبل العلويين. وكان رئيس الحوزة العلمية في النجف الأشراف الشيخ محمد الحسين آل كاشف اغطاء يكتب له باستمرار ويشكر له أموراً صوبها الوالد. ومع ذلك فسأذكر أموراً يعرف الآن اصغر تلميذ في أية مدرسة ابتدائية إنها من البديهيّات، ومع ذلك فقد كان هناك من يكفر من يعتقدونها مثل كروية الأرض أو تكون السحاب من الماء وغير ذلك، هذه أمور يجب أن نضع أنفسنا في زمنها ومحيطها كي ندرك النضال العنيف الذي قاده المصلحون ودعاة العلم في أوساطهم. وأقرأ أحياناً أنه ما زال حتى من كبار علماء المسلمين - أو ممن يعتبرهم مريدوهم كذلك - من لا يعتقد بما جاء به العلم من كروية الأرض مثلاً والخرافات والأساطير التي حاربها الوالد كثيرة. وورد شيء غير يسير من ذكر ذلك في شعره مثل قوله:

إنما الجن والتوابع والتنجيم في مذهبي حديث خرافة ورد كل هذه الخرافات والأساطير إلى الجهل، وحض على العلم للتخلص منها، ووجه نداءات إلى الشعب، وفتح من بيته مدرسة مجانية علّم فيها مجموعات من شباب الشعب ممن توسم فيهم النجاة. وكم حضهم وأشرب في نفوسهم وعقولهم وأفهامهم أصول الإسلام والعودة إلى تعاليم الدين الواضحة البسيطة الهادية.

- إذاً لماذا استمرار القول إنكم تعبدون القمر والشمس والأعضاء التناسلية؟

* سأقول لك قبل كل شيء أني إنسان ديمقراطي إلى أبعد حدود الديمقراطية، وأؤمن بحرية الإنسان في التعبير عما يشاء، والمجتمع يحكم عليه. باستطاعتك أن تتهم على شخصياً وأن تتهمني في أفكارى ومعتقداتي ولكنني لن أفعل العكس،

فتكون منى ردة فعل لا تؤدى إلا إلى مزيد من التباعد واتساع الشقة والهوة. ولا جدوى من ذلك إلا سعادة الأعداء وشماتتهم. وبظل من حقى أن افضح هذه الاتهامات وما وراء هذه الاتهامات، دون أن اشير إلى قدرة المتعرضين لهذه الاتهامات على أن يوجهوا مثلها وشرأ منها إلى من يتهمهم. أما عبادة القمر والشمس فقد أنقذهم منها الله سبحانه وكتابه الكريم فى سورة الانعام وحيرة إبراهيم عليه السلام عندما رأى القمر بازغاً وقال «هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربي لأكونن من الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أنى برئ مما تشركون. أنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين». ولكنى سأقول أنه جاء فى كلام المتصوفين والصوفيين وفى اشاراتهم الرمزية إلى القمر والشمس على أن القمر صورة الجمال والشمس صورة الجلال. وكما تكلم الصوفية على رموز الكرم والخمر والحبيب، مما لا أجد أى داع لمثل هذا البحث المتخصص والذى يجد له محبذين ومنكرين. وليس من الصميم فى شئ. أما عبادة الأعضاء التناسلية... ومشاعية المرأة... فسأقول لك أن هذه الاتهامات توجه إلى أكثر من فئة مذهبية أو وثنية فى الدنيا. الذى أريد أن أقوله بسرعة هو أنى لم أعرف فئة احرص على الأخلاق التى جاء بها القرآن الكريم من العلويين، وليس ذلك لميزة خاصة بهم، بل لميزة أملت عليها عليهم البيئة التى يعيشون فيها. فقد اضطرتهم ظروفى معينة إلى الانطواء على انفسهم وهذا المجتمع المغلق ووجود المشايخ ارتفع بهم إلى أن لا يقوموا بأى عمل فى ما يجرح الأخلاق والسمعة الحسنة. وهذا معروف ومعترف به علمياً.

ومن الأحاديث التى تجرى على ألسنة الناس أن الشاذين أخلاقياً لا تنفع بهم يوم القيامة حتى شفاعته الإمام على، وحاشا له أن يشفع لهم، ثم يأتى جاهل مغرض ويتهمهم

بأشياء أبعد ما تكون عنهم، وذلك بقصد العودة إلى استغلال أمور كان يستغلها يستغلها المستعمر سابقاً، ويواصل الآن اعداء العروبة والإسلام استغلالها. وقد كتبت اطروحات في الجامعات الغربية حول العلويين كلها افتتات وكذب وتحليل مثير للاشفاق والازدراء، ومع ذلك يأخذون عليها لقب الدكتوراه. فما ذنب العلويين أو أية فرقة إسلامية أخرى إذا جرى تزويرها أو تشويهها بهذا الشكل؟ ولماذا نقول غير الواقع. إننا إذا كنا لا نجري على الاعتراف بالواقع، فمعنى ذلك أنه مدعاة للعار، ومرفوض. ولا أحد في الدنيا يجبرني على القول أن العلويين مسلمون خالصو الإسلام، وعرب خالصو العروبة، أن لم يكونوا كذلك. ولو لم أكن عربياً مسلماً لما خجلت من أن اصرح بأنى لست عربياً ولست مسلماً، وهناك في هذه الدنيا من يعبد الطبيعة وبعض ظواهرها في الجماد والحيوان. وقد يكون بينهم مثات الملايين، ووزراء ورؤساء وزراء وعلماء ذرة... بل ثمة فلاسفة ومخترعون لا يعتقدون حتى بالله جل جلاله، ولا يخجلون من ذلك بل يجاهرون به، ويرون الجهل فيمن يخالفهم الرأي.

الحقيقة أن هناك مجرمين ومغرضين ومشبهين لتفتيت الوطن... والاسترسال في هذه الأمور ومحاولة إيقاظ الفتنة سلعة ملعونة مشؤومة. والفتنة نائمة عن لعن الله من إيقاظها. وأنا أعتقد أنها في سورية لم تكن نائمة فحسب بل كنت قد اطفئت ولم تعد ذات وجود. لكنهم من جديد أضرموها ولا أقول أنهم إيقظوها. وقد اشتركت قوى كبيرة في ذلك. ولكن لى ثقة أكبر بشعبنا العربي السوري عامة وسوف يجتاز هذه المحنة بكل وعى ونفاذ إلى الحقيقة وما وراء الاتهامات من دوافع، وسيتوصل إلى القضاء على كل ما يثير هذه الفتنة ويؤجج نارها وعلى رأس كل ذلك النظام الحال الذي هو وراء هذه الجرائم القومية والإنسانية معاً.

وواجبى أن أحذر شعبنا العربي السوري عامة، والمسلمين العلويين خاصة، مما يراد بهذا الوطن ومن اصرار جهات مشبوهة مرتبطة بشكل أو بآخر بالصهيونية ومخابراتها لجر

سورية إلى شر ما جرت إليه لبنان. وقد اطلعت مؤخراً على كتيب مطبوع فى المانيا الغربية وموزع من هناك، ويحمل اسم «رابطة الصحفيين السوريين الأحرار» ويطلب من عنوان فى المانيا كما يطلب زوراً وبهتاناً وقصد الوقعة، من عنوان آخر فى بلد عربى وباسم صحفى سورى. وكله شتائم مقذعة واتهامات تنطف منها الخيانة وروحية التخريب. وتهجم هذا الكراس القذر المشبوه على دين من يسميهم بالنصيرية الذى باستطاعتهم أن يردوا له مثل هذه التسمية التى رمى من ورائها إلى الأهانة بتسميات ليست أقل منها اهانة الله يعلم ويشهد أن لا دين للعلويين إلا الإسلام، ويرميهم بتهم لا يلجأ إليها إلا من باع نفسه للشيطان والجحيم. فى حين إن نظام حافظ الأسد قد بقى بمنأى عن الهجوم إلا جملاً للتمويه. والقصد واضح من وراء هذه الهجمة التى تنسل من جدتها كلما أحست الشعوبية العالمية والعنصرية الصهيونية أن موازين الوعى والوطنية والقومية هى التى أخذت ترجح. لقد ساء هذه الجهات المشبوهة أن ترى النعمة العارمة على نظام الطغيان والفساد والخيانة تضطرم فى صفوف المواطنين المسلمين العلويين أكثر مما تضطرم فى أية أوساط وطنية أخرى، فعمدت من جديد إلى هذه الأساليب التى هداها إليها حقدتها على سورية، وحرصها على تفتيت هذا البلد الذى كان يوماً ما طليعة أمتة العربية ازدهاراً وديمقراطية وشعوراً قومياً وعملاً دؤوباً فى سبيل العزة والكرامة والازدهار والوحدة. هذه الجهات المشبوهة المنفذة لمخطط الشعوبية العالمية والعنصرية والصهيونية التى هالها الموقف الوطنى والقومى الشريف الذى وقفه ويقفه المواطنون المسلمون العلويون، خفت بلك أدوات ارتزاقتها وخانتها لتفسد هذا الموقف، بجرائم من حبر وورق كما هى من دم يجرى، ولتجازى كل من يتمرد لى المخطط التخريبى التفتيتى، ولتدفع هذه الطائفة إلى الانغلاق والخوف والشك والقلق والتحفز والتوتر والالتفاف حول نظام الأسد الذى أراد دوماً أن يوهمها بأنه بنى مجدداً عندما أصبح رئيساً للجمهورية، وإنما كان فى الواقع أخطر من أساء إليها ومن عاداها. وأنى أعلن من موقع المعرفة الكاملة أن «رابطة الصحفيين السوريين الأحرار» لا

وجود لها إلا في التصورات المريضة لمشبوهين لن يفلتوا من حساب الشعب. وبالمقابل فإن هناك «رابطة الكتاب والصحفيين السوريين» التي اتخذت مقراً مؤقتاً لها في لندن، وتضم الكتاب والصحفيين السوريين الشرفاء الذين يناضلون بالكلمة الحرة المتميزة من أجل حرية الشعب وكرامة الحرف العربي. ولهذا الحديث مناسبة على حدة لأهميته وجدواه.

«الوطن العربي»: من المنظور التاريخي، إلا تعتقد أن الثلاثي عمران وجديد والأسد. ودخولهم الجيش كان هدفه وقف اضطهاد العلويين في المجتمع السوري؟

أحمد سليمان الأحمد: لا ريب أن العلويين عانوا الاضطهاد في تاريخهم، وقد اضطروا إلى الاستنجاد في أكثر من فترة قديمة بالعلويين من خارج الجبل، وبشكل خاص من السنجاريين (العراقيين حسب التقسيمات الحالية) الذين يؤلفون الآن أغلبية العلويين. ولكنني أعتقد مع ذلك أن الاضطهاد لم ينزل بالعلويين وحدهم خاصة منذ الانتداب والعهد التي تلت. كان الاضطهاد ينال الكثير من أبناء الريف وحتى قسماً من أبناء المدن. وفي اعتقادي أن القضاء على أسباب الاضطهاد، والقدرة على الاضطهاد، كان سائراً بالتدريج. وكان المظلومون، علويين وغير علويين، قد أخذوا يستعيدون حقوقهم، ليس بالشكل المثالي الذي نريده أو نطمح إليه، لكن آلة التغيير والاصلاح كانت قد بدأت تسير. فهل كنا بحاجة إلى استعجال ذلك عن طريق حركة عسكرية؟ أنا لا أعتقد ذلك. ثم اني سأقول لك ان توجه العلويين - وربما أقليات فقيرة أخرى أيضاً - إلى الجيش كان واقعاً مفروضاً بقوة الحاجة وانقطاع اسباب المعيشة الأخرى، قبل ان يكون مفروضاً بهدف وقف اضطهاد أو نيل حقوق. وإلى جانب ذلك فان اللجوء إلى الطريق العسكري سلاح ذو حدين كما يقولون. ومثلما تستخدمه أنت لمصلحتك حتى ولو كانت مصلحة عادلة فقد يستعمله غيرك لمصلحته أيضاً وتكون بدورها عادة أو غير عادلة.

إذاً إن اقحام الجيش فى هذه الدوامه غير حكيم فى نظرى، ومرفوض، وطنياً، على الصعيدين الاستراتيجى والتكتيكى. وأنا شخصياً لا أفهمه، لأننى لا أفهم للجيش دوراً إلا أن يكون وطنياً، عربياً، للشعب كله، وأن يكون لحماية الوطن والدفاع عنه ولحفظ عزته وكرامته، وأمن مواطنيه، وليس هو الذى يخطط أو يبادر إلى ربع حيف أو عدمه فالذى يرفع الحيف هو نضال الجماهير ووعى المواطنين، خاصة بعد أن تكونت الأحزاب فى سورية، وأصبح الحزبيون والمثقفون والمناضلون، أو أصبح من واجبهم أن يخوضوا معركة التوعية ومعركة وضع الأمور فى ايدى الجماهير، وتأمين وصولها إلى وعى حقوقها، وإنها هى مصدر السلطة وإنها هى الباقية وأن الأفراد والحكام هم الزائلون، وليسوا المقيمين عليها إلا بما تخولهم، باشرافها، أن يخدموها وأن يرفعوا مستواها وأن يزيدوها ثقة بأن الحاضر الزاهر لها، والمستقبل الأفضل لأجيالنا القادمة.

أن جيشنا العربى السورى يدرك فى أعماقه أنه أهين، لأن الانتصارات قد سرت منه، لأن الانكسارات قد غدت من حصته المقسومة سلفاً، والتى قسمها النظام المتسلط وفئته الباغية. لأنهم ارادوا له أن يقتل الفلسطينيين أو يحمى قتلهم أو يدعم هؤلاء القتل لمصلحة النظام الحاقد المتآمر على القضية العربيه ومن ضمنها القضية الفلسطينية التى برعنا فى القول أنها القضية الفلسطينية التى برعنا فى القول انها القضية المركزية. ولأنهم ارادوا له أن يقف فى صف الأعداء الأمة ضد الأشقاء، فى أشرف معركة تخوضها الأمة على بوابة الوطن الشرقية بعد أن ردم جمر المعركة الأشراف الأخرى على الحدود السورية. وعلى الجيش أن يغسل الاهانة لأسباب كثيرة وجيهة يضيق المكان والوقت عن تعدادها. ولكن هذا التحرك يجب أن يتم بمفهوم الانتهاء والتخلص من هذا الدور الغريب الهجين الذى أراد له اعداء الوطن، والعودة إلى مفاهيم الجيش الوطنى القومى ودوره على نطاق الشعب والأمة.

أما إذا كان ما ذكرت قد مر فى فكر الثلاثى فليس باستطاعتى النفاذ إلى حقيقة هذا

التفكرى، اللهم إلا استقراء النتائج، والنتيجة التى تصدمنا منذ النظرة الأولى حتى السريعة، هى أن جزأ لا يذكر من هذه الطائفة العلوية قد أثرى ثراء فاحشاً وتسلبت تسلباً غير مقبول، وغير معقول وغير جائز، لا فى الشرائع الوطنية ولا الإنسانية ولا الدينية ولا الخلقية. وكان كل ذلك على حساب جماهير هذه الطائفة، مادياً ومعنوياً، ثم على حساب الشعب عامة. ورغم أن المستغلين العلويين لا يؤلفون إلا قسماً من مستغلى الطوائف الأخرى، فما من شك لدى كل منصف أن الإدارة التى حملت لواء الطائفية فى الطوائف الأخرى - كانت بيد من ينتسبون للطائفة العلوية مع الأسف. وقد أثار تصرف هذه الإدارة وتصرف من انضوى تحت لوائها من الطوائف الأخرى، عللاً مخيفة فى الجسد السورى. ونال كل ذلك من تلاحم شعبنا السورى الذى نعتمد أولاً وأخيراً على أصالته فى التغلب على كل ما اجتاحت هذه الإدارة الإجرامية الشاذة.

- إذا ذكرنا الطائفة العلوية فالى أى طبقة منها ينتمى حافظ الأسد؟

* العلويون كما قلت عشائر عربية، وهى طبقياً تؤلف وحدة متناسقة متقاربة. لقد كانوا تحت النير العثمانى مجموعة من الناس يعملون فى الزراعة، وليس منهم التجار أو الصناع، إلا على نطاق بدائى محدود لا يمكن أن يصنع ثروة. كما أن الزراعة البدائية بدروها لا يمكن أن تصنع ثروات أو رأس مال، لذلك كانوا كلهم سعداء بالكفاية الذاتية، فاذا لم يبلغها البعض تعاونوا فيما بينهم لمساعدة هذا البعض. ويجمع بين العلويين العروبة والإسلام، كما يجمع بينهم المذهب الجعفرى والخصوصية المحلية وقبل كل شىء وبعد كل شىء قرى النسب، فجميعهم تقريباً أبناء عمومة يتحدرون من سلسلة نسب واحدة. ولكن مثل كل العشائر العربية الكبرى، خاصة وانهم انعزلوا لفترة طويلة من الزمن ما كان لهم إلا أن يملأوا فراغ هذه الحياة، وقد ملأوه كغيرهم بأمور جيدة وأخرى منتقدة. وما

كلن لهم إلا أن يتوزعوا أفخاداً وبطوناً على غرار القبائل العربية، ولم يكن مستحيلاً أن تقوم بينهم معارك قد لا تبلغ في حدتها أو طولها تلك المعارك بين بكر وتغلب أو عبس وذبيان. وكان لا بد من عقلاء دوماً، ومن رجالات لهم قيمة لدى الشعب، ووكلمتهم مسموعة كي يعيدوا الناس إلى الصواب وإلى الدرب المستقيم. وهكذا نشأ الوجهاء ونشأ رجال الدين. وكان لابد لهم جميعاً أن يتمتعوا بثقة الناس عن طريق الأخلاق والمعرفة.

ومن هذه الطبقة التي تكاد تكون موحدة كانت عائلة حافظ الأسد. لا تشذ في ذلك عن أغلب العائلات. وإذا عدنا إلى العهد الوطني رأينا أن عضوية المجلس النيابي السوري كانت وقفاً على آل إسماعيل وآل اسبر دون غيرهم في القرداحة. هذا تاريخ وواقع. ولكن جدّ تاريخ وواقع آخر، وتوصل حافظ الأسد إلى رئاسة الجمهورية. ومن حق أى مواطن عربى سوري، لا يتناقض ترشيحه مع مواد الدستور، أن يطمح إلى هذا المنصب. ولكن يبدو أن حافظ الأسد قد حمل معه أمراضاً كثيرة، ربما تكون عنيتها أنت بأنها طبقية. فيبدو أنه بعد أن أصبح واحداً من أغنى أغنياء العالم على الإطلاق أراد من جهة أن يتستر على هذا الغنى الفاحش الذي لا يجد مبرراً لأن صاحبه مارس السياسة وزاول المسؤولية الحكومية والحزبية، ولا يحق له بهذه الصفة أن يمارس تجارة النفط أو العملات وغير ذلك. وهكذا لمست منه حرصاً على التذكير بمنبته الفقير - وهذا زى يعتقد البعض أن من الضروري التزى به لربح الجماهير الكادحة، وهى عامة الناس. وسمعته يتحدث في مجموعة من مثقفى البلد لم يتجاوز عددهم الثمانية عشر، فأطنب كعادته ووقع في تناقضات غريبة وأتى بمغالطات أغرب. ولم ينس أن يذكر بأنه اضطر إلى ترك المدرسة لفترة من الزمن حتى تمكن والده من تدبير ست عشرة ليرة سورية قسطاً للمدرسة. ثم وكأنه انتبه إلى أن هذا ينال من وجاهته سرعان ما تدارك الأمر معقياً: ومع ذلك فلا تعتقدوا أننا كنا من عامة الناس. كلا فقد كان أبى نصف آغا (بالحرف الواحد شهد الله) ثم توجه إلى

مخاطباً الحاضرين. وهذا هو الأخ الدكتور أحمد يعرفنا وباستطاعته أن يحدثكم عنا.

وبالطبع هناك روابط كثيرة تجمعنا بعائلة الأسد، ونحن جيران، ولكن هذا الحديث أثار اشمئزازي وربما اشمئزاز الحضور للطريقة التي عُرض بها. ثم ما معنى أن لا يكون المرء من عامة الناس؟ وما معنى أن يفتخر رئيس جمهورية بأنه كان نصف آغا؟ وهل في كون المرء نصف آغا أى مدعاة للفخر أو للذكر؟ وربما كان هذا هو شعور بالنقص، أو الحقد على هؤلاء الذين كان الشعب يحملهم إلى المجلس النيابي. لذلك فلم أجد إلا أن أزوى وجهي عنه واتشاغل وهو ينتظر محنى الرأس ممدود العنق والصمت مخيم، حتى تبين له أنى لن أتحدث فعاد إلى اكمال حديثه بكل تناقضاته ومغالطاته التي أشرنا إليها.

— إذاً فهو يشعر بنقص طبقى داخل الطائفة؟

* لك أن تستنتج ما شئت. ولكن الذى حملنى على الاشمئزاز هو أنه كان بإمكانه أن يشير إلى جوانب إيجابية أو مضيئة فى عائلته كما فى معظم العائلات السورية. ولكنه لم يفعل، بل كان عقله الباطن يلح عليه بفكرة كونه نصف آغا، لعل فى ذلك مدعاة للفخر. وليس بالطبع فى ذلك أى مدعاة للفخر، أن لم يكن العكس تماماً. وهنا، بسبب من تداعى الأفكار، أذكر مقالة كتبها السيدة نجاح العطار فى إحدى المجلات وأثبتتها فى كتاب صدر لها عن وزارة الثقافة السورية. وكان عنوان المقالة: «بدوى الجبل وبيته فى السلاطة» قالت: «ولكن البدوى مع نسب الشعر، له نسب فى العلم. وبيته بيت علم. كما قالوا قديماً، والوجاهات كل الوجاهات علماً كانت وعلماً تبقى». ولعلها بعد ذلك غدت ترى الوجاهات كما يراها رئيسها، نصف آغا، أو سيارة وشرطياً وسلطة. أما بالنسبة للعلويين فهم، كما أشرت، فقراء بشكل عام. ولا طبقات لديهم. ولئن سلمنا جدلاً بأن حافظ الأسد قد تعقد بعد ذلك من مخالطته ومعاشرته للأغنياء، فقد كان عليه أن يتخلص من

عقده بعدما ارتفع إلى المكان الأول في البلد.

- بعد أن خالط مجتمع الضباط وهو مجتمع غير فقير في سورية، وانتسب للحزب... كيف يمكن له أو لمن انتفع من الطائفة العلوية الآن أن يتخلى عن مكتسباته؟

* قد يكون مجتمع الضباط بشكل عام غير فقير في سورية، إذا فهمنا الكفاية هي الغاية التي يريدونها هذا المجتمع أو التي استطاع الحصول عليها. ومع ذلك، وبعد هذا الفساد اللامثيل له في أوساط الحكم، وفي أوساط الضباط الكبار على الأخص باعتبارهم حماة الحكم والنظام، فإنني أستطيع أن أؤكد أن أغلبية ضباطنا العظمى تعيش في مستوى الاحتياج. ولا يمكن للأمر أن يكون إلا كذلك، إذ أن الضابط الشريف ليس له إلا راتبه كسائر الموظفين الشرفاء. وكثيراً ما يكون مسؤولاً عن عائلة كبيرة أو عن أخ وأخت في أغلب الأحيان يتكفل بتعليمهما، إلى آخر الأمر. أما الإنتساب للحزب وهو هنا حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم، فإن مثل هذا الانتساب كان يجب أن يكون إيماناً واقبالاً على العمل والنضال وتجرداً في سبيل مصلحة الشعب وازدهار الوطن. أما كيف يمكن للمنتفع من الطائفة العلوية أو من غيرها أن يتخلى عن مكتسباته، إذا كانت سلطة فإن السلطة للشعب وحده وهو الذي ينبى عنه وتحت رقابته من يشاء. وإذا كانت المكتسبات مالا مسروقاً من الشعب فسوف يعود هذا المال إلى الشعب، طال الأمر أم قصر.

نائب رفعت،

- أحد أعضاء التحالف الوطني لتحرير سورية قال لي: اسأل الدكتور لماذا بقي من ١٩٦٦ حتى ١٩٨٠ نائباً لرفعت الأسد في رابطة الدراسات العليا وليس لدى رفعت أى علاقة بالأدب أو العلم.

* التاريخ الذى أعطاك إياه عضو التحالف غير صحيح وسؤاله - وأن يرد ذلك - مناسبة لجلاء بعض الأمور وتصحيحها. لقد تداعى حملة الدكتوراه فى سوريا عام ١٩٧٤ إلى مؤتمر كبير عقد فيجامعة دمشق، وكان الهدف منه تأليف رابطة الدراسات العليا، وتكون ممثلة لجميع الاختصاصات العلمية والأدبية والفنية فى القطر العربى السورى. وكنا نطمح من وراء ذلك، أو على الأقل كان برنامجى أن نستخلص منها بعد ذلك أكاديمية العلوم العربية. وقد استطعت الحصول على هذا التفويض بعد اجتماع لاحق برئاسة رفعت الأسد كعضو قيادة قطرية ومسؤول عن قطاع التعليم العالى ورؤساء الجامعات السورية.

- فكرة الرابطة فكرة من كانت؟

* نعم. كانت فكرة رفعت الأسد. وحضر المؤتمر مئات الدكاترة من مختلف الفروع العلمية. وجرى طرح مهمة الرابطة. وجرى انتخابات بالاقتراع السرى. وقد كنت فى طليعة الفائزين علماً بأننى لست حزبياً. وهذا شئ شبيه بالمعجزة. ولا تقل هنا: ولكنك علوى، لأننى عند ذاك سأجيبك بأن العلوى ان لم يكن حزبياً - مادام رئيس الحزب علوياً - فالنقمة عليه أشد، ومحاربتة أقسى وأظلم. أما رفعت الأسد فقد جرت المنادة به علناً لرئاسة الرابطة، لمنزلته فى الحزب والقيادة المدنية والعسكرية. وقد جرى انتخابى، دوماً بالاقتراع السرى، نائباً للرئيس أى رئيساً فعلياً للرابطة، بعد أن جرى ترشيح احد الدكاترة الحزبيين البعثيين والعلويين ضدى. وبقيت أكثر من خمسة سنوات فى هذا المنصب، امثل القوة العلمية الأولى فى البلاد. وبينما كان الانتهازيون والمرتزقة عاكفين على استغلال نفوذ الحكم والاستفادة من كل ذلك سيارات وبيوتاً وأراضى وأموالاً، كنت بعد القاء محاضرات الجامعة على طلابى، أداوم فى مكتب بالرابطة طولا النهار، واستقبل الزملاء، وأتباحث معهم فى كل ما يجب أن يعود على البلاد، وعلى العلم

بالتقدم والنفع العام، وأساعد منهم من أساعد، ويجدن لدى المكتب المفتوح لهم متى أرادوا، والإنسان الذى يصغى إليهم. وكنت أستخدم سيارتى الخاصة، وأسوقها بيدي، وأسكن بيتاً مستاجراً، ولم أستخدم سيارة رسمية إلا فى الشهور الأخيرة عندما أصيبت يدي اليسرى بحادث فى مهمة باللاذقية مع بعض أركان الرابطة. وقد حاولت أن أرتفع بمستوى مجلة «الفرسان» وأردنا لها أن تكون الناطقة باسم الرابطة، وبذلت جهداً كبيراً - باعتبارى رئيس مجلس إدارة مؤسسة الفرسان لجعل ميزان الوطنية والخبرة هو السائد بدل الانتهاز والارتزاق والشبهة.

وليس الآن مجال الحديث عن خمس سنوات من تواجدى على رأس أهم مركز علمى فى البلاد، ولكن باستطاعتى القول أنى وقفت جهد من أجل انشاء أكاديمية العلوم العربية، الذى كان حلمى وما زال. وعندما تبين لى أننى لن أستطيع تنفيذ ذلك لقيام عراقيل من قبل النظام تحول دون هذا العمل الجدى الكبير، جمعت المكتب التنفيذى للرابطة وكان يضم رؤساء جامعات ووزراء ومسؤولين حزبيين وألقيت كلمة مكتوبة - كى لا يجرى تحريف ما ألقيت بعد ذلك - وقلت لهم أن مبرر وجودى على رأس الرابطة لم يعد قائماً ولم أستطع تحقيق ما وعدت الزملاء به من إقامة الأكاديمية، وأنى قررت الاستقالة والاكتفاء بعملى الجامعى وكتبى ومؤلفاتى. وكان ذلك ربما فى أواخر ١٩٧٨ أو أوئل ١٩٧٩. لا أذكر. وحاول الزملاء أن يشنوني عن ذلك. ولدى اصرارى تمسكون بأن أبقى فى المكتب التنفيذى، ثم فى الرابطة، ولكنى أصررت على أن لا تبقى لى أية علاقة بالرابطة.

- لكن.. أنت عرفت رفعت واجتمعت به كثيراً.. فهل لديه حقاً عمق علمى؟

* (ضاحكاً) لا تطمع بأن أقول لك كل ما أعرف فى مقابلة أو مقابلتين. وأنى

أوثر أن أتحدث كيف نستطيع أن ننقذ سورية من الهوة التي تردت فيها.

- ولكن هؤلاء أفراد تسلطوا على الشعب السوري. وعندما ترفض الكلام عن الفرد فعلى من تتكلم؟ لماذا الإبقاء على الإبهام في سجل نائب الرئيس السوري؟

* ليست القضية قضية رفض الكلام أو قبوله عن الفرد أو الجماعة. ولكني سأقول لك - ولك أن تستنتج ما شئت - أني لو كنت في جيش المسلمين يوم أحد تحت راية الرسول الكريم لاقتديت بجمزة وأبي دجانة في التصميم على دحر العدو الذي يريد أن يقتلني من مدينتي، ويقتلع الإيمان من صدري، وأعتقد أن كل شيء غداً مفهوماً وليس ثمة إبهام أي كان.

- ولكنكم رأستموه علي رابطة الدراسات العليا؟

* لقد رأسه منصبه في الحزب. واسمح لي أن نتجاوز كل ذلك إلى شيء أهم.

- هذا هو الأهم. رفعت الذي ضرب حماة وما جرى من سفك للدماء؟

* كل من سفك الدماء وأصدر أوامره في سفك الدماء لن يفلت من العقاب. ولم يكتب أحد في حماة ونكبتها، ولم يقس أحد على من ضربوا حماة أكثر مما قسوت أنا. وضرب حماة مؤامرة مفتعلة من النظام الحاكم، وقد استجروا الأمور استجراراً حتى حصلت هذه المأساة الرهيبة التي كانت بحق مأساة العصر. وستبقى مأساة حماة وغيرها من مآسي مدننا السورية مهيباً بنا إلى مزيد من اللحمة الوطنية وإلى مزيد من النضال كي نجعل حصول مثل هذه الجرائم غير ممكن.

وأعتقد أنه من الخطأ ومن الخطر بمكان أن يصور بعضنا إن طائفة ما كانت وراء ارتكاب هذه المجازر. أن النظام القائم بكل أحزابه وممثلي طوائفه مسؤولون معنوياً ومادياً، لأن

الأجرام الذى حصل لم تكن له هوية دينية أو مذهبية أو عرقية أو طبقية أو ما شابه ذلك، بل كان أجرام نظام فاسد خائن متسلط على رأسه حافظ الأسد ولكن له أركاناً متحمسين فاسدين خونة متسلطين بكل ما لهذه الكلمات من أبعاد. وهنا أعود إلى أنك رأيت من الأسفاد لدى المعارضة السورية أن تردد بأن حافظ الأسد عميل لإسرائيل، وأنا أرغب إليك هنا أن تستنتج من مذابح حماة وتدمر وأدلب وغيرها ماذا يمكن أن يكون مثل هذا النظام، وهل فعل ذلك لمجد العروبة والإسلام أم خدمة لإسرائيل؟ وهل أنت بحاجة إلى أن أذكرك بمؤامرة حافظ الأسد ونظامه على القضية الفلسطينية مؤامرة لا مجال فيها للأجتهد، ولو أن إسرائيل هى التى وضعت هذه الخطة لما كانت أحكم ولا الأمم. ولقد قرأت وسمعت أن حافظ الأسد قد أبتز من منظمة التحرير الفلسطينية خمسمائة مليون دولار، وأنه يفاوضها الآن على قرابة مثل هذا المبلغ. وأريد أن أعلق - سواء كانت هذه الأخبار صحيحة أم لا - إن حافظ الأسد لو أعطته المنظمة كل ما تملك وسجلته بأسمه فى أحد البنوك الكثيرة التى تحوى أرصده وودائعه، ولو سعى كل زعمائه إليه طائعين مبايعين له على «الجزء الجنوبى من سورية» لما كان نصيبهم إلا الأصرار على التخلص منهم حتى جسدياً إن أمكن، ولما كان نصيب «جزئنا الجنوبى» إلا نصيب «الجولان» وأشباه الجولان أى الضم الأبدى إلى إسرائيل حتى يقضى الله أمراً كان مفعولاً. وأسفى كبير على من يريد أن يكابر فى مثل هذه الحقائق. والشقى من وعظته نفسه.

وأنا أدرى كم أتحمل فى سبيل أن أوصل كلمتى العارفة المخلصة إلى الشعب وقياداته وعلى سبيل المثال، وبعد أنتشار قصيدتى فى حماة جاءنى من ينقل لى عن أقارب حافظ الأسد فى بلد أروربى شرقى أن حافظ الأسد قد حكم على بالأعدام وأنه شخصياً يشرف على أنجاز هذه المهمة، ورغم أنى أعلم بأن حافظ الأسد فى هذا المجال، صادق فقد قابلت ذلك بالسخرية وقلت: بلغه اذاً أنه عبثاً يريد أن يرهبنى، أن يمارس الأرهاب المعروف به ضدى، وأنه للجدير بأن يخاف قبل كل الناس لأن شعباً بأسره قيد حكم عليه بالأعدام. وجاء من

ينقل إلى في بلد أوروبى غربى هذه المرة تحذيرات وتعليمات للسلامة، لأن عصابات أسدية مدربة متوجهة لاغتيالى، لأنى أمثل بالنسبة لحافظ الموقف الصلب والمؤثر والأقوى للعصف بكل ما بناء من هياكل للأرهاب والفساد والخيانة. ولم اجد التأييد من أبناء الطائفة العلوية وحدهم بل اجد هذا التأييد المتنامى من أبناء صفوف شعبنا السورى عامة، وقد جرى- على سبيل المثال- توزيع منشير فى حماة وحلب وغيرهما من المدن السورية تصفنى بالصادق وتصف من يتجههم على بالمنافقين. ورغم ذلك فأنا آخذ تحذيرات هؤلاء الذين جاؤونى ويجيئونى بعين الاعتبار ولكنى لا أقيم أى وزن لقدرة هؤلاء السفاحين فالله يقينى شرهم وحب الشعب. وأنا امرؤ مؤمن (فثبتوا الذين آمنوا. سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب).

- من خلال تفسيرك لتركك رابطة الدراسات العليا، بدا وكأن السبب كان عدم تمكنك من إقامة أكاديمية العلوم العربية. ولكن المر تطالب المسؤولين بوقف سفك الدماء؟

* كانت مهمة الرابطة الأولى فى نظرى - على الصعيد العلمى- إقامة هذه الأكاديمية. ولم يرد لها النظام لأنه كان يريد الرابطة لغاياته. وربما نسيت أن أقول لك بأن مؤتمرها عقد برعاية رئيس الجمهورية وألقى كلمة الافتتاح محمد حيدر، نائب رئيس الوزراء، واحد كبار قادة الحزب إذ ذاك. ومع ذلك فإن العلمى فى نظرى لا يمكن له أن ينفصل انفصلاً كاملاً عن الاجتماعى والسياسى، ولا يمكن لرجل الأدب أو العلم أن حبس نفسه فى برج عاجى، بمعنى أن يكون غير متحمس بما يجرى حوله. وكأنسان ديمقراطى مستعد لتقبل ما يجول بأفكار الناس دون أن أحاول أملاء أى شئ عليها املاء، ولكنى أعرض رأى بمنطقية وعلمية واخلاص ولهم أن يؤمنوا أو لا يؤمنوا. وقد أدبنا نبينا الكريم هكذا فأحسن تأديبنا. ولكنى سأقول لك أنه ما من أديب سورى بل أديب عربى كان

بأمكانه أن يضع نفسه فى برج عاجى، فرفضه لنفسه، واستهجنه لغيره كما فعلت أنا وآرائى ومواقفى واضحة فى مقالاتى وكتبى وحياتى عامة. صحيح أننى عللت تركى الرابطة بقيام العراقيل فى وجهى لاقامة اكاديمية العلوم. وهذا صحيح ولكنه ليس كل الحقيقة. وعدم رضائى عنالحكم والنظام كان معروفاً وليس ذلك فقط بل كنت أصرح الناس فى النقد والتوجيه وأشدهم وأقسامهم. ولا أريد أن استرسل فى عرض مواقف لى بل يكفى أن أقول بأنه كان يمكن لى أن أكتفى بالدعاية لشخصى، والبروز فى الصحف والمجلات والحفلات وتلقى الدعوات من جميع الأقطار العربية بلا استثناء، فى حين آثرت أن أعطى كل قيمتى ومنزلتى وشاعريتى بل حياتى لشعبى وأمتى. وأنا أتحدى أن تجد الآن قطراً عربياً - إلا ما رحم ربك - يرضى مسؤولوه بأن أدعى حتى كشاعر. وكان مثقفو أقطار عربية كثيرة يبدون لى اسفهم من إنهم لا يستطيعون أن يحتفلوا بى فى عواصم لأسباب لا تخفى على أحد. والمراجع التى تجعت وتعهدت بدعوتى تهربت بعد ذلك وعذرته. فى حين ترى الأدعياء ومن لا علاقة لهم بالقضية العربية أو الوطنية أو أى نضال اللهم إلا النضال فى سبيل اشخاصهم، وأحياناً كثيرة ضد العروبة وضد الديمقراطية، لهم قرص فى كل وليمة. وإذا كنت اسف لمثل هذه المواقف، فليس ذلك من منطلق شخصى، ولكن إرادة منى بأن نكون أكثر حباً للحقيقة، وأكثر إيماناً بالأمة القيم.

أجل يا أخى لقط طالبت ليس بوقف سفك الدماء فقط، بل بتغيير كل تلك العقلية الإجرامية التى أوصلتنا إلى هذه الحالة. وفعلت ذلك وأنا لا أدري كيف يفاجئنى الموت العنيف: فى الشارع، أو فى مدخل البناية التى أسكنها، أو المكتب الذى أدخله، أو المنبر الذى ألقى عليه محاضراتى فى الجامعة. وسيبقى شعرى أو فى وثيقة فى هذه الفترة. ولكن أظن أن هذه الجرائم التى خطط لها يمكن أن تتوقف بمجرد مطالبة أم نصيحة؟

التحالف

- قد أكون ألححت في السؤال عن جانب محدد. مهما يكن لننتقل إلى الحديث عن التحالف الوطني لتحرير سورية، وبعد دخولك للأمانة العامة في التحالف في دورته الثانية. وهل تمثل نفسك، أم حزبك الوطني الديمقراطي؟

* كان دخولي التحالف الوطني السوري بصفتي الشخصية مستقلاً. واعتز بكون حزبي الوطني الديمقراطي حاضراً بحيوية على الساحة في الداخل. كما أعتز بأن أخواتنا في الحزب قد بلغوني في تلك الفترة بالذات اجتماع القيادات بشكل سرى، بعد اعداد أخذ بالاعتبار نشاط مخابرات النظام وأجهزة قمعه، واجتماع هذه القيادات - معبرة عن إرادة أعضاء الحزب قاطبة - على انتخابي رئيساً للحزب في هذه الفترة وناطقاً باسمه ومعبراً عن مبادئه وطموحاته. ولو أنني دخلت التحالف باسم الحزب الوطني الديمقراطي لكان على أن أطالب بأكثر من مقعد في الهيئة التأسيسية أو في الأمانة العامة، وكان على أن أقدم بعض الأسماء الموجودة في الخارج، وهي أعداد قليلة إذا أن الحزب تكوّن في الداخل وعمل في الداخل، وليس لديه أي تفكير بالظهور في الخارج إلا بأفراد قليلين انضموا إليه لاحقاً دون أن يكونوا من مؤسسيه. ثم أن ترشيح الأخوة لي لعضوية الأمانة العامة - وهي الهيئة العليا لقيادة المعارضة - قد جاء ليثبت جدية الأحزاب والشخصيات المستقلة بأن يجدوا بينهم قادة من مختلف الطوائف والاتجاهات، يجمع بينها الإيمان العميق بالديمقراطية والتلاحم الوطني، وبكلمة أخرى باسقاط هذا النظام وحكومة رموزه محاكمة عادلة على ما اقترفوه بحق الوطن والشعب.

- كم عدد أعضاء الحزب ومن أبرز هؤلاء الأعضاء؟

* سأقول لك أن الحزب الديمقراطي يضم جماهير عريضة من مختلف الفئات في المدن والأرياف السورية. بل استطيع القول، من خلال ما يصلني، أن هذا الحزب أصبح يمثل الآن القوة الشعبية الأولى المنظمة. وأبرز أعضاء الحزب مناضلون في الداخل، وله أنصاره الكثيرون في الجيش ولكن ليس بمفهوم الاستيلاء على السلطة وليس بمفهوم التخريب الذي يجب أن يبقى الجيش بمعزل عنه لأنه جيش للشعب والوطن، بل بمفهوم العودة إلى الشرعية أي العودة إلى الحكم الوطني والديمقراطي، إلى حكم الشعب بالشعب وللشعب، ويقف الجيش حصناً حصيناً للدفاع عن الوطن ووعي مفهوم هذا الدفاع وعياً شاملاً، صميمياً، يعيد إلى الوطن ما اقتطع منه، ويؤدي الدور الوطني المعروفة له سورية.

وإذا أردنا أن نكون أكثر تحديداً فإن جيشنا السوري لا يجوز له أن يقبل بأن يكون أداة في يد الطغاة الفاسدين الخونة لاجتياح بلد شقيق والاصرار على تفتيته وقتل الموارنة والشيعية والسنة والدروز، أو لإتخاذ أتباع منهم، أو لتحريض هؤلاء على أولئك أو لمحاصرة الفلسطينيين والتصميم على استئصالهم وإيجادهم في حالة لم يسجل لها التاريخ مثيلاً إلا في اشأت فتراته الهمجية. وهنا أريد أن أخصك بهذه الحقيقة وقد تكون ما تزال سراً عند الكثيرين في الداخل والخارج، وهي أن حافظ أسد عندما كان يأمر راجماته ومدافعه بقصف منظمة التحرير ومقاتليها بطرابلس من البرّ بينما يقصفها الصهاينة من البحر، أرسل جنودنا إلى قيادة المنظمة يخبرونهم أنهم ليسوا في وضع يمكنهم فيه رفض الأوامر. ولكن لتظمئن قيادة المنظمة لأن جنودنا لن يسددوا إلى المواقع الفلسطينية بل إلى البحر. وقد تم ذلك بالفعل، وأنا استشهد هذه القيادة على ذلك. ولن أقول لك أن هؤلاء الجنود كانوا - أو كان أغلبهم - أعضاء في حزبنا ذلك لأننا نرفض تخريب الجيش رفضاً قاطعاً مبدئياً. ولكني سأقول لك أنه كان لنشاط حزبنا العقائدي والتوضحي الأثر الحاسم في إتخاذ هذا الموقف الشجاع رغم أنه دون ما كنا نريده. ولكن كل شيء بقدر. وأذكر إنني كتبت في تلك

المناسبة الفاجعة قصيدة لاهبة جرى تناقلها في الوطن والمنافى . والقصيدة جديرة بالتأمل . وما زلت إذكر منها - رغم أنى لا أحفظ شعري - هذه الأبيات ، والخطاب إلى دمشق :

قومي نرد لجيشنا تاريخه

ونقل لجندي لماذا جُنّدا

ألكى يذود عن الحدود غزاتها

ويغيث حامية الثغور وينجدا

ويظل عنوان الكرامة موطن

حر وشعب ليس يبرح سيد

أمر أنه طوع لباغ خائن

قمع البلاد للهزيمة مهّدا

- وأى سنة تأسس الحزب؟

* لقد كنا نتحدث به قبل مغادرتي سورية في ١٩٨٠ . ولا ريب في أننا أمضينا وقتاً طويلاً في التهيئة والاعداد وفي التوصل إلى أفضل السبل والوسائل للتعبير عن إرادة الشعب ومطامحه من جهة ، وإلى إيجاد الطليعة التي ستأخذ على عاتقها النضال في سبيل تحقيق ذلك . وبعد مغادرتي الوطن كنت على اتصال مستمر بالأخوة في الوطن ، وقد أبلغت في السابع عشر من نيسان (إبريل) ١٩٨٨ بانتخابي رئيساً للحزب ، وهو تاريخ يتفق مع إعلاته . وقد اخترنا له هذا التاريخ لما يحمل هذا اليوم من معنى جليل ومغزى حيوى خاصة في هذه المرحلة التي يجتازها سورية . ولا شك في أن تأسيس هذا الحزب جاء تلبية لضرورة ملحة في أوساط الشعب ،

خاصة بعد أن تكاثرت الأحزاب السورية حول النظام، وهي لا تمثل أية قوة شعبية على الإطلاق، بل الارتزاق سبب وجودها، وكذلك المناورات والديماغوجية المعروف بها النظام ورأسه وأذناؤه.

ولا شك في أن أحزابنا في المعارضة تتصدى بشجاعة لمهمة صعبة ولكنها مجيدة ونحن وأن كنا نعتقد أننا نعبر أفضل تعبير عن إرادة شعبنا وعن مقتضيات المرحلة التي يجتازها بالدنا، فإننا ندرك أن كل القوى الشريفة في وطننا يجب أن تتحالف فيما بينها على خطة عمل موحدة لاسقاط النظام القائم وبعيداً عن الانشغال بالمكاسب الحزبية. وأنى إذ أعتقد بأن الحزب الوطنى الديمقراطى هو أفضل معبر عن إرادة شعبى فلا يعنى ذلك الاحتكار ولا الوحدةانية. إننا مؤمنون إيماناً عميقاً بالشعب، وبالديمقراطية، ولابد من التعددية. حتى لو أعطت غالبية الشعب ثقتها غداً، للحزب الوطنى الديمقراطى فسوف يسعدنا أن نجد جانبنا أحزاباً أخرى فى الحكم. وأحزاباً أخرى فى المعارضة. ولكنها ستكون فى حالة الحكم منسجمة مع إرادة الشعب وتحت رقابة الشعب، وستكون فى حالة المعارضة مستجيبة أيضاً لمفهوم الوطنية والديمقراطية، إذ يظل ميدان التنافس فى صفوف الشعب، كما فى أرقى الديمقراطيات، بل أننا نطمح إلى تجاوز أرقى هذه الديمقراطيات فى فترة غير بعيدة، لأننا عانينا من أعتى الدكتاتوريات وعلينا بعدها أن نعيش ويعيش أبنائنا فى ظل أرحم الديمقراطيات.

لذلك كان شعارنا فى الحزب «الديمقراطية»، وكان شعارنا «الوطنية» لأننا بحاجة أن يعود الصف الوطنى متلاحماً كما كان فى ذروة النضال ضد المستعمر والمغتصب والمتآمر. ونحن الآن فى نضال ضد مغتصب للسلطة ومشوه لقيم الوطن والشعب، ومفتت لوحدهما. أجل نحن بحاجة إلى أن نعود مواطنين متكافئى الفرص فى شتى المجالات، ونحن

بحاجة إلى الديمقراطية، ولربما وجد مناضلو الحزب الوطنى الديمقراطى وقياداته أسباباً رأوها وجيهة فى انتخابى وهى أنى كنت طوال حياتى مناضلاً فى سبيل الوحدة العربية والحق العربى والكرامة العربية والتقدم، وعودة سورية والعرب جميعاً إلى مكانهم فى العالم من أجل أنفسهم ومن أجل العالم. ولم أكن متميلاً إلى حزب من الأحزاب، أى أنى لم أمارس السلطة ولا الحكم، وكنت دائماً مناضلاً فى صفوف الشعب.

— لماذا لم يجذبك حزب البعث العربى الاشتراكى فى بداياته؟

* لقد دعمت حزب البعث العربى الاشتراكى منذ انطلاقة الأولى بقوة ووضوح، ووقفت إلى جانبه وحاولت جهدى أن أبعد عنه ما كان يتعرض له من عدوان حتى الاعتداء المادى. ولكنى مع ذلك كنت أؤثر أن لا أتقيد بشكل حزبى، رغم إيمانى بشعارات الوحدة والحرية والاشتراكية. كنت أريد مع ذلك أن أبقى حراً بتفكيرى، منصرفاً إلى عالم الفكر والثقافة.

— لماذا إذاً حددت نفسك الآن بحزب؟

* لقد أثبت السياسة مرغماً إذ لم يعد هناك مفر من أن أنزل بنفسى إلى الساحة بكل تاريخى المبدأى والثقافى، لأجلو بعض الأمور التى ستقودنا إلى الكارثة إذا لم نعرف كيف نعالجها بروح المواطنة والديمقراطية. وعندما تأكد لى أن النهوض بهذا الواجب يقع على، ضحيت بكل ما كنت رسمته لنفسى ووضعت كل مكانتى الفكرية والاجتماعية فى الميزان لصالح الشعب والوطن، وأقدمت، وعرضت حياتى للخطر وأنا الآن فى دور الكهولة وكان قد أصبح من حقى أن أنعم بشئ من الراحة الجسدية على الأقل. ولكن لا يعنى كل هذا بالطبع أنى كنت فى برج عاجى كما جرى التساؤل على لسانك. ولو استعدت تاريخ حياتى لوجدت انى كنت دوماً استهين بالحياة فى سبيل موقف يمليه الواجب الوطنى أو

الإنسانى. أذكر أنه عندما احتدم الصراع بين القوى الوطنية وقوى الاحتلال والاستعمار وأخذت الطائرات والدبابات المدفعية تحصد أبناء الشعب، تناديننا فى اللاذقية أنا ومجموعة من شبابها المثقف الواعى - وكنا ما نزال فى ريعان الشباب - وأذعنا بياناً مكتوباً وموقعاً منا على جيشنا - وكان مجنداً لدى المحتل - ندعوه فيه إلى تلبية نداء الوطن والانضمام إلى القوى الوطنية. ولم نلتفت يومذاك إلى أن مثل هذا النداء حكمه الاعداء. وكان فى طبيعة من وقع هذا النداء - وأذكر ذلك للتاريخ الذى كان ربما سيبقى مجهولاً مثل مئات وألوف المواقف العظيمة - علاوة على كل من صلاح أحمد وهو الآن استاذ جامعى وباحث علمى كبير وعلى غنام وقد أصبح فيما بعد قاضياً كبيراً ومحمد على كامل وقد غدا محامياً وواحداً من المرموقين فى محيطهم وكان ممن استجابوا لنداء الواجب النابع من ضميرهم كما هو نابع من ندائنا الضابط محمد معروف الذى غدا بعد ذلك ذا دور مرموق فى الجيش السورى. كما كانفى طبيعة من قاتلوا الصهاينة عام ١٩٤٨ الضابطان حين مهنا وأسدع كنعان اللذان أبليا بلاء حسناً، وأصيب أولهما فى المعركة، وهذا غيظ من فيض كما يقولون. ولست الآن قريباً من مذكراتى أو ممن استعيد وياهم ذكرى تلك الأيام الصعبة الرائعة. وأنا أعتذر عن الأسماء التى لم أعد أذكرها أو لم أعد متاكداً من دورها إذ ذاك. أردت من ذلك أن الفكر والعلم والأدب، طريق تأدية الواجب بل أنها تكتسب شرفها وأهميتها إذا وضعت سبيل الشعب. ولو أن غيرى سمحت له ظروفه وامكاناته أن يتصدى لهذا الوزن والقوة والتأثير لآثرت أن أدعمه وأن أظل الشاعر والمفكر الذى تتأمل ويقول كلمته الصادقة دون أن أخوض المعارك اليومية.

- وما هي الأمور التي دعتك للنزول بنفسك إلى الساحة؟

* أمور كثيرة ولكن أهمها إنحراف الحكم في سورية وانحيازه كلية إلى موقف الفساد والقمع والخيانة. يضاف إلى ذلك السلاح الذي إتخذه النظام في هذه المعركة التي يخوضها ضد الشعب والأمة، إلا وهو سلاح الطائفية. ثمة مفاهيم قد تلتبس حتى على الشرفاء. وقد يخيل للقاصرين والمشبوهين والمضللين (بفتح اللام) أن العلويين كطائفة هم الحاكمون، وهم المرتكبون لهذه الجرائم التي تبرأ منها الكرامة والوطنية والإنسانية. وهذا الاعتقاد الخاطيء قد يقود معتقديه إلى التسليح بروحية طائفية لا تقل خطراً أن لم تكن تزيد عن الأولى، ويبقى الخاسر الوحيد هو الشعب بمجموعه، في حين أن المرتكبين ينعمون بما استفادوا من هذه الروحية الطائفية وبما انتقموا من الشعب وبما سلبوه.

لقد أصبح الآن أكثر وضوحاً للناس في داخل سورية، بل تعدى ذلك إلى الوطن العربي بل لكل الأوساط التي تهتم بالقضايا العربية، أن رأس الحكم يستغل طائفة معينة، يطغى باسمها ويقتل ويشرد ويقمع ويشكل ويبتسم ويسرق وأنه يفعل هذا ليس باسم الطائفة والحزب بريئان منه وما يخطط وينفذ، وهو لا يمثلهما، ولكن صنع لنفسه حزبه الخاص وطائفته الخاصة، وهما غير الطائفة العلوية وغير حزب البعث العربي الاشتراكي. وكان يجب على شخص يثق به الناس وتثق به الطائفة وله تاريخ ثقافي ونضالي، ولم تعلق به أوضاع الحكم أن يثبت ذلك. وهكذا استجبت بكل قوتي ومنطقي وحقى لهذا النداء. ولقد كنت أقول دوماً قبل مغادرتي سورية، والآن أقول ذلك بمثل هذا الإيمان الذي لم يتزعزع لو أننا أجرينا استفتاء حراً لنال حافظ الأسد أدنى نسبة في الشعبية بين العلويين قبل غيرهم، ولو أجرينا استفتاء على حافظ الأسد في القرداحة. وكان من دوافع خوضي غمار هذا النضال ضرورة عودة المفاهيم الوطنية الصافية النقية التي ربينا عليها، وطحمتنا إلى تربية أجيالنا

الطالعة عليها. هذه هي مهمتى: توحيد ما أمكن من هذا الشعب حول فكرة الوطنية والديمقراطية، وامكانية استقطاب العدد الأكبر من الشعب فى حزب وطنى ديمقراطى متقدم جداً على الأحزاب الأخرى لأنه استفاد من كل التجارب السورية والعربية بل والعالمية ايضاً. ومنسجم مع إرادة الشعب ومع بناء الدولة الحديثة والمجتمع الحديث فى ظل ارحم الديمقراطيات. وبذلك نعود إلى حقيقتنا العربية يوم كان العالم يتطلع إلينا وينسج على منوالنا ويستفيد منا. أجل لابد من توحيد كلمة الشعب ولا بد من اسقاط نظام الطاغية، ووضع السلطة فى يد الشعب. ولا ريب ان اخطاء ستقع فى ظل الديمقراطية ولكن لا دواء إلا بمزيد من الديمقراطية وسوف ينشأ الجيل الديمقراطى الذى نريد. ولئن اعتقد الطاغية أن جيشنا لم يتعلم شيئاً من الدرس القاسى الرهيب فى حماة فإنه مخطئ. صحيح أنه مازال يراهن على هذا الجيش، أو على بعض القوى فى هذا الدور الذى يريد أن يورط به جيشنا ونريد أن يتجنبه جيشنا الذى طالما كنا نعزب، والذى هو، فى أول المطاف وآخر، منا ولنا. ولقد غيرت أنتفاضة اطفال الحجارة أموراً كثيرة، ولن يقبل أى جيش، أو أية قطعة أن تمثل دور الجيش الإسرائيلى النذل الوغد فى قتل الأطفال والنساء. وإذا استطاع الطاغية أن سيتغل فى فترة معينة وظروف محددة وضمن حالة نفسية متوترة مريضة، بعض المشبوهين وبعض المغالين فى جهلهم فإننى أعتقد بأن الظروف قد تغيرت ولن يستطيع، حتى بمساعدة قوى عالمية، أن يخلق هذا الجو المشؤوم من جديد.

سيناريو التغيير:

- كيف ترى سيناريو التغيير فى سورية: عبر انقلاب عسكرى أم ثورة شعبية أم نضال مسلح؟

* أعتقد أن الشعب هو الأستاذ الأكبر فى هذا المجال. ولا أريد أن أحدد الأسلوب أو أملى الطريقة. صحيح أن الحزب هو طليعة أحياناً وهو القائد ولكن لابد من العودة دوماً إلى

الشعب، ومن الشعب يستمد، ليس فقط وشرعيته في القيادة، بل أسلوب التحرك والعمل. فمن واقع الشعب ينطلق تحركنا. وهكذا ستكون خطتنا أقوى من أن يستطيع حافظ الأسد الالتفاف عليها واحباطها. وفي اعتقادى أن الجيش سيكون إلى جانبنا في هذا التحرك. طبعاً هذا شئ مختلف جذرياً عن الانقلاب العسكرى. وتدخل الجيش بالسياسة أمر محسوم لدينا إذ لا تدخل مطلقاً. أن دور الجيش سوف يكون الدور الذى نعرفه لجيوش الدول المتقدمة وذات التاريخ العريق فى الديمقراطية والوعى. وسوف نمحو عقدين أو أكثر من التشويه. ولقد أبعد جيشنا، بما فيه الكفاية، عن دوره الوطنى والقومى، وأنا مؤمن بأنه سيعمل كل شئ للعودة إلى هذا الدور وسوف يتمسك به. ولا شرف لأى جيش إلا بهذا الدور وسوف يتمسك به. ولا شرف لأى جيش الا بهذا الدور: محبة الوطن والانضباط أمام السلطات الشعبية.

— لكنك أنت دخلت فى تحالف مع من يؤمن بالكفاح المسلح فى سورية؟

* لقد دخلت فى التحالف الذى يقول بالكفاح النضالى.

— كيف قبلت الدخول مع الإخوان المسلمين فى التحالف؟

* سأقول لك أنه من أساليب مهاجمة النظام القائم لى أنه كان يوفد بعض المستأجرين من عديمى الوجدان والوطنية، يطوفون فى الساحل والجبل وأرياف حماة وحمص ويريدون بين الناس: انظروا إلى فلان ابن إمامكم كيف يتحالف مع الإخوان المسلمين الذين يقتلونكم ويريدون أن يبيدوكم. وفى ظن النظام، أنه من جهة يزيل مكانتى لدى العلويين، ومن جهة أخرى يكون قد فاز بمزيد من تأجيج الروح الخبيثة الذميمة. لقد دخلت فى تحالف وطنى مع الإخوان المسلمين والبعثيين والناصريين، ونمطح إلى أن تنضم إلينا قوى أخرى. أليس رائعاً أن تجتمع كلمة الشعب بعد أن اجتهد النظام المشبوه سنين طويلة فى تأليب بعضنا على

البعض الآخر لصالح اعداء العروبة وعلى رأسهم الصهيونية العالمية وكيانها الإجرامى. ثم نحن نسير معاً ليس من خلال مبادئ كل حزب من أحزابنا، بل من خلال ميثاق التحالف الواضح الصريح. وعندما تتحرر بلادنا، نحن متفقون وملزمون بأن نضع الأمر فى يد الشعب. ولقد قلت فى أكثر من اجتماع: اننا معاً من أجل اقامة حكم الشعب، اقامة الحكم الوطنى الديمقراطى، ولا أعتقد أنه من الضرورى غداً أن نعود جميعاً إلى الحكم. فالأمر للشعب. ويسكون منا المعارضون ولكنها ستكون معارضة فى جو ديمقراطى، ولصالح البلاد، وبالحوار، مستبعدين أسلوب العنف.

— لكن هناك من خلق نهراً من الدماء بين الطائفة العلوية فى الجبل والطائفة السنية فى حماة؟

* لقد دخلت التحالف لأننى أريد أن أنسق مع كل الوطنيين المعارضيين للنظام. وأنا وطنى ديمقراطى. أى أو من بالحلول الوطنية فى ظل الديمقراطية. لا أريد أن تنفرد بالحل أية طائفة على حساب الطوائف الأخرى. والعلويون هم جهة فى هذا الحل مثل كل طائفة من الطوائف السورية (وهنا، أريد أن أشير مرة ومرة إلى أن هذه التعابير مرفوضة، ونحن نتعامل معها كواقع شاذ لا بد من تغييره). وهذا لا يمنع أن يكون العلويون طليعة فى التغيير بمفهوم المواطنة الديمقراطية. وقصة أنهار الدماء أغنية شيطان رجيم بدأها، وعلينا أن لا ننشد كالبغاوات— كى لا أستخدم تعبير غير هذه اللفظة — فى جوقة الدمار العنيف. أن شهداء حماة وتدمر وأدلب وكل بقعة فى لبنان وفلسطين هم شهداء الشعب والأمة. وسيظل استشهادهم منارة (توحى إلى جيل الغد البغضاء) كما قال أحمد شوقى، ولكنها البغضاء، ولكنه الحق على الطغاة والفساسدين والخونة. ولكنه النداء الخالد لمزيد من الوطنية، ومزيد من الوعي، ومزيد من المسؤولية. وفى هذا الجو وحده يمكن أن ينال المجرم

عقابه. وإلا استطاع المجرم أن يفر ويترك الضحايا تتفانى بغياء.

- هل عانت الأخوان المسلمون على اغتيال المفكرين العلويين وهل غفرت لهم ذلك؟ وما هو تبريرهم؟

* أعرف حزباً أو جماعة باسم الأخوان المسلمين، مراقبهم العام عدنان سعد الدين. وقد تحاورت معه مراراً ومع أقطاب جماعته. - وليس لد ما يحملني على أى تفكير مغاير إزاء أية حركة إسلامية سورية أخرى- وتبين لى من خلال هذا الحوار، ومن خلال الأدبيات والأفكار والآراء التى اطلعت عليها أن هناك فكراً متطوراً منفتحاً، بعيداً عن التصرفات والأفكار التى أدت إلى المأساة. وأنا لست فى موقع الغفران أو القصاص. واعتقادی أن كبار المجرمين من أية فئة يجب أن يحكموا. ومن تلوث أيديهم بالدماء من جميع الطوائف سيحملون هذا العار بكل ما له من أصدقاء تزقوا كالبومة حتى يصدر حكم الحق والقانون. ولا بد مع ذلك لهذا الشعب أن يتعاون بروحية جديدة هى فى حقيقة الأمر وروحيته الأصلية الخالدة، أو الإسلام العظيم قادر على هدايتنا دوماً.

- فى ميثاق التحالف فقرة واضحة تقول بالكفاح المسلح لتحرير سورية فهل وافقتم على ذلك؟

* لا، هذا كان فى الميثاق القديم. ولم يعد يعمل به.

- لماذا؟ وهل طالبت بحذف هذه الجملة كى تدخلوا فى الأمانة؟

* قد أكون طالبت بهذا وبغيره، المهم أن الميثاق قد عدل.

- هل هناك احتجاج على كلمة ديمقراطية فى الميثاق من قبل الأخوان؟

* قضية الديمقراطية محسومة لدينا. وكل من يرفض الديمقراطية أرفضه. وإذا كنا

نستقبل بحكم غير ديمقراطى فلماذا نريد أن نزيل الحكم الحالى ؟ . لا . لا .
يمكن أن احالف إنساناً لا يؤمن بالديمقراطية .

- إذا دخلت التحالف دون أن تعرف مواقف جميع الأطراف من قضية الديمقراطية؟

* أعرف أن ميثاقاً وطنياً ديمقراطياً يجمعنا . ويشذ عنه إما أن يخرج وإما أن أخرج أنا .

- فى مقابلة مع محمد الجراح فى "الوطن العربى" قال أن الأخوان المسلمين عارضوا كلمة الديمقراطية لأنهم لا يؤمنون بحكم الشعب بل بحكم الله... ألا تعرف ذلك؟

* قبل كل شئ سأقول لك أنى كمؤمن وكرجل دين أؤمن بحكم الله . وأنا أحترم أى تفسير لما يقصد بهذا التعبير، ولكن سأقول أيضاً أنها كلمة حق، قد يريد بها كثيرون باطلاً . وليس مثال الخمينى ببعيد عنا، بل ما يزال ماثلاً . وأن أكبر خطر على حرية الإنسان وعلى حياته عامة يكمن فى أن يحتكر فرد أو جماعة أوامر الله ونواهيه ويجعلون من أنفسهم القيمين على ذلك . أجل لا حكم إلا لله . ولكن بالمقابل لا حكم لمن يدعى تمثيل الله جل الله عن ذلك وعلا .

لقد كرّمنا الله بالعقل وبأن أمرنا شورى بيتنا . وماذا لو اختلفنا فى تفسير حكم من أحكام الله ؟ ألم يختلف قبلنا وسيختلف بعدنا الكثيرون من فقهاء وعلماء ومثقفين ومحافظين ومجددين ؟ أن حكم الله يملى علينا الشورى، يملى علينا الديمقراطية .

- قضية التفاوض بين النظام والأخوان.. هل تقبلون بهذا المبدأ؟

* أعتقد أن قرار التحالف بشأن التفاوض واضح وصريح جداً . أنه لا يسمح لأى فئة من الفئات بالتفاوض مع النظام السورى، ومن يفاض يصبح خارج التحالف .

- لماذا سمحوا لهم فى الماضى بالتفاوض؟

* اسأل عن هذا من كانوا فى الماضى.

- هو تؤيد فكرة التفاوض منذ خروجكم عام ١٩٨٠؟

* التفاوض مع المخابرات (ضاحكاً). بالنسبة لى مبدأ التفاوض مرفوض رفضاً قطعاً. والآخرين اجتهدوا، وأعتقد أنهم قد أخطأوا. ولن يحصل ذلك - كما نرجو - فى ظل التحالف الجديد.

- تقول التحالف الجديد؟

* أعتقد أن روحية جديدة قد انبثقت فى حنايا التحالف. وأنا شخصياً لم أكن لأساهم لو لم أعتقد أن ثمة روحاً جديدة وفكراً ونضالاً جديدين ووضوح ورؤية واصراراً على أننا فى الجولة التى نرجو أن تشهد نهاية هذا النظام.

- لكن الوجوه نفسها ولم يحدث تغيير جذرى؟

* ليس الأمر كذلك تماماً. فقد تغيرت وجوه. ويأتى هنا، فى الحقيقة، دور الفرد، فى المجتمع والأحزاب ووسط الجماهير. وتؤكد الشرائع السماوية والدينية هذا الدور، ضمن الشروط والظروف الموضوعية. يدفع الحزب - ولنقل هذا على سبيل التبسيط - بفلان من الناس فيجره إلى كارثة، ويدفع بغيره فينهضه من الكارثة ويقوده فى الطريق الصحيح. طبعاً دور الفرد ليس مقطوعاً من حجر بل له أسبابه ودوافعه الموضوعية والذاتية والبيئية. أننا جئنا التحالف بمفهوم جديد وتحليل عميق للأمور ونظرة مخلصمة متأثرة بحقيقة ما يجرى فى بلدنا وفى الوطن عامة. ولا أريد أن انتقد الماضى، ولم أعش منه إلا فترة قصيرة لا تتيح لى الاطلاع الكامل. والتقرير الذى قدمته الأمانة العامة السابقة كان مخلصاً وشجاعاً. ولا أرى ضرورة

أوجدوى لمزيد من القول الآن.

— إذا أنت تعلق آمالاً كبيرة الآن؟

* ما أضيق العيش لولت فسحة الأمل. ومع ذلك فأنا واثق من النتيجة لصالح الشعب حتى ولو فشلنا في هذا التحالف، واسأل الله أن لا نفشل. ولى ثقة بأخواننا ورفاقنا وبما يمثلون من قوى وأمال. وبالنسبة لى فإننى سأفعل ما بوسعى كى ينجح هذا التحالف لمصلحة الوطن والشعب. وسأجتهد فى إزالة العوائق، وزيادة التلاحم الوطنى الديمقراطى. أما إذا فشل — لا سمح الله ولا قدر — رغم كل جهودنا فليس معنى ذلك أن الأمر أنتهى بل سأتابع العمل وسيتابع الآخرون العمل، من خلال أساليب أخرى. وكل شئ مدروس وميهأ. وسنعود دوماً إلى الشعب، ونصارحه. وسنظل نقاوم، سأظل أقاوم هذا النظام حتى يسقط، وحتى يعود الأمر للشعب، وسيناضل الحزب الوطنى الديمقراطى فى سبيل توطيد مفاهيم الحكم الشعبى. وأن البقاء للشعب. سأقول لك أنى متفائل واثق من أننا سنصل إلى النتيجة التى يريدنا منا شعبنا والتى نعاهد عليها أيضاً.

— ما هو تعريفك للنجاح فى التحالف؟

* النجاح هو قبل كل شئ أن نفهم رسالة شعبنا إلينا بكل جراحه ومأساته وجيشانه ومطامحه، وأن نكون المعبرين عن هذه الرسالة، والمنفذين لها بكل ما فى أيدينا من امكانيات والنجاح هو أن نستطيع استقطاب شعبنا فى الداخل قبل الخارج، رغم أن لنا ما يقدر بمئات الألوف من الذين سلكوا طريق المنفى، وكلهم طاقات كبيرة. أن معركتنا فى الخارج هامة ومساعدة، ويجب أن يشترك فيها، بشكل أو بآخر، كافة المهجرين المنفى. بالطبع، للغربة قوانينها أيضاً يحد ذاتها مرض لم تسلم منه أجساد ولا نفوس المغتربين. ومع ذلك فإن لهم دوراً قد غدا متنامياً بعد ابتداء العد

النهائي لحكم حافظ أسد، وبعد الانتصارات العراقية التي رجحت الضمير العربي وهزت البيان العربي وقالت لنا بأعلى صوت وأروع وأنقاء وأكثره إيتاراً: هذا ما تستطيعونه أيها العرب! وبعد الانتفاضة المجيدة في الأرض المحتلة. كل ذلك القي علينا مهمات مسؤولية، سيشارك السوريون في النهوض بها. وسيعود جيشنا إلى دوره في استعادة الأرض المحتلة بعد أن اتسعت رقعة هذا التعبير وكى لا تواصل الاتساع إلى ما لا نهاية دون مقاومة.

— ما هو تعريف الفشل في التحالف الجديد؟

* هو كل ما نحاول أن نستبعده وأن نظل متغلبين عليه. والفشل يكون في العودة إلى تعطيل امكاناتنا. والفشل هو أن إلا نستطيع اىصال صوتنا ليس في الداخل والمهاجر فقط بل في البلدان العربية والأجنبية وأن تصبح قضية سورية ليس محلية فقط بل عربية بل عالمية، دون أن يغيب لحظة عنا أنا وحدنا أصحاب القضية والمسؤولون عن نجاحها وفشلها. وعلى العالم أن يشعر بأن هناك قوى تمثل الشعب السوري حقيقة. نعم، نحن نمثل الشعب لا لكي نضعه على الرف بل نمثله لنكون الطليعة المقتحمة أمامه. ويبقى الشعب هو صاحب الكلمة الأولى والأخيرة، فينا وفي غيرنا. والفشل أيضاً هو في التعامل بالعقلية البيروقراطية القاصرة المعوقة لا بالعقلية المتحركة الثورية المضحية المتحمسة الواعية إنى من الذين يخططون لسورية المستقبل، كى تتحرر، وكى تكون عند ذاك ليس فقط أرقى دول المنطقة وأكثرها تقدماً بل كى تغدو، وليس هذا من قبيل التبجح والخيال، أرقى دول العالم فيما يخص اللحمة الداخلية والجو الديمقراطي. نريد لنا ولأبنائنا أن يعيشوا في ظل أوسع الحريات والديمقراطيات وأرحمها. وهذا كان عهداً منا، وتقرنا عليه أطراف

التحالف والقوى المؤمنة بشعبها.

- هل توافق على انضمام جماعة إبراهيم ماخوس؟

* قبل كل شيء أنا لا أ تدخل بما يجرى داخل أى حزب أو جماعة. هذه أمورهم الخاصة. الذى يهمنى هل هم جادون فى اسقاط النظام والنهوض على أساس وطنى ديمقراطى. ولو أردت جماعة إبراهيم ماخوس، أو أية جماعة أن تنضم إلينا أونضم إليها على هذا الأساس لوافقنا. وكيف يمكن أن لا أفعل. وهل المعارضة ملكى. وهل يستطيع أحد أو جماعة أن يحتكر المعارضة. وما معنى الديمقراطية إذا أردنا الاحتكار؟ وما نأخذه على حافظ الأسد يجب أن لا نقع فيه ويبقى الأمر الأهم متعلقاً بالجماعة التى لا تريد الانضمام وبقبولها بميثاق التحالف، بل إذا كان لديها ما يشكل إضافة وطنية وديمقراطية فأعتقد أننا جميعاً نرحب بذلك.

- هل أتباع وحاشية حافظ الأسد حاجز له عما يجرى فى سورية؟

* هذا وهم كبير يصوره من يريدون أن يبيضوا صفحة حافظ على حساب سواد الصفحات الأخرى، أنه يعرف تماماً كل شيء لأنه - ببساطة - علة ما يجرى.

- قال لى دبلوماسى غربى أن سبب تدهور صحته هو أنه لا يجرى تحريك شيء فى سورية إلا بإذنه؟

* أو بما يدور فى دائرة هذا الاذن. هذا صحيح. وهمه الأكبر فى التأمّر، جالساً إلى مكتبه، وكأن أمامه رقعة شطرنج يحرك عليها الاتباع والخصوم. أنه ماهر فى الشر إذ جاز لنا أن نقرن المهارة إلى الشر، وفى الواقع فإن المهارة فى الشر غباء مطبق. أنه يفكر ويخطط ويحرك احجار الشطرنج ليس فى سبيل أن يظل ممسكاً بكل الخيوط بينما الدمى تتراقص أو تتصادم أو تهوى.

– هل حافظ الأسد قارئ أمر كما قيل يشاهد الأفلام ويؤمن باليوافو؟

* الذى أعرفه من خلال ما أعترف لى به شخصياً، ولم يكن مضى عليه فى منصبه الرئاسى، إلا فترة قصيرة، أنه كان يحفظ شيئاً من الشعر، وأنه كان يطالع ولكنه الآن ودع كل ذلك. أما ما جزم به أترابه فإنه كان يكره الثقافة والمثقفين، وينسحب عندما كان يدور حديث ثقافى أدبى. وأنه كان يزدري الشعراء. وما أسمع الآن هو أنه لا يقرأ إلا التقارير ومنها ثقافته. ولم أسهر معه فى حياتى ولم أسمع شيئاً عن ولعه بالأفلام وغير ذلك. ولا يهمنى هذا الأمر.

– تكرر دائماً فى أدبيات المعارضة أنه بائع الجولان وهل هذه المقولات تضر بالمعارضة أم بحافظ الأسد؟

* أذكر أنى أجبت على مثل هذا السؤال. لقد وجه حافظ الأسد. بصفته وزيراً للدفاع، وقائد ل سلاح الطيران، أشأم ضربة لجيشنا الوطنى، أمل البلاد. ولو اتيج لجيشنا أن يقاتل لقاتل ببساطة ضد العدو الصهيونى بنفس القدرة والتصميم والتضحية التى قابل بهذا شقيقه الجيش العراقى المجيد ضد العدو الشعبى الإيرانى. ولا شك اطلاقاً فى أن الجندى السورى على الجندى الإسرائيلى ضمن تهئية نفس الامكانات. والانتفاضة اثبتت أن الجندى الصهيونى نذل جبان وغد، وعار للجيش. واسطورة الجيش الصهيونى الذى لا يقهر اسطورة اشاعوها وساهموا فى نشرها تبريراً لما يهيئونونه لجيشنا من انكسارات. وبائع الجولان ليس معناه انه جلس فى السوق وباعه. ولكنه تخلى عنه وهذا شئ صحيح. ومازال متخلياً عنه حتى الآن. وكأن قضية الجولان منتهية بالنسبة له أو كأنه ينتظر أن يصل يوماً ما إلى حل للقضية الفلسطينية من خلال تأمره عليها، وفى غضون ذلك يصل إلى حل بالنسبة للجولان. وأعتقد شخصياً ان الصهاينة لن يعيدوا شيئاً إلا إذا اجبروا على

اعادته بمختلف الأساليب. أما الصدقة فغير واردة في قاموسهم. واعتقد أنه يجب علينا ان لا ننتظرها كاليتمى فى مأدبة اللثام. وأدبيات المعارضة التى ذكرتها لم أشارك فس صياغتها ولم أطلع عليها حتى الآن، وأنا لم أرد أن أعلق على الأسلوب، ولكنى علقت على المضمون.

— لكن هل توجيه الشتيمة لحافظ الأسد مجدية؟

* أنا، من خلال تربيتى وتعاملى مع الناس، بمن فيهم الأعداء الألداء الخاشى الشتيمة. حتى ولو وجهت هذه الشتيمة لى بشكل شخصى مباشر، أو عن طريق توجيهها إلى شعبى، ومع ذلك فليس بأمكاننا أن نطلب من كل الناس أن يعبروا بنفس الطريقة. ولكنى سأقول بكل ثقة أن ما يجترحه حافظ الأسد ما كان له أن يمتد طوال هذه الفترة لولا المظلة— وهى المصلحة الصهيونية وما لها من نفوذ والاستمرار كلما سقط أو أحاطت به المصاعب... هذا تحليلى. تماماً كما فى الحرب العراقية— الإيرانية. فلولا التحريض الصهيونى ولولا المظلة الصهيونية التى كانت وراء سكوت العالم وتجاهله وتأخره فى اصدار القرار ٥٩٨ ثم تعاميه عن محتواه، واسهامه فى تهريب الأسلحة بوسائل لا تصدق للجانب المعتدى. المصر، بلا خجل وبكل صفاقه أن يتدخل فى شؤون الآخرين الداخلية، وأن يحتل بلادهم، وأن يملى عليهم شروطه، وأن يقيم من نفسه قيماً على العروبة والإسلام، وهادماً لهما، لما استطاعت إيران الخمينى إن تطيل أمد الحرب من جهة، ولما استطاعت أن تكون السبب فى هذه الكارثة التى نزلت بها وبمواطنيها قبل كل الناس. أجل. لحافظ الأسد وللخمينى مظلة صهيونية من خلال الاستقراءات والمعلومات والنتائج.

— هل ترى انحساراً قومياً عربياً أمام المد الإسلامى السلفى أو الأصولى؟

* أعرفى أن القرآن الكريم نزل على النبی العربی ﷺ وأنه أنذر عشيرته الأقربين ثم أنطلق الإسلام رسالة روحية وحضارية إلى العالم. وما زال الأمر كذلك لم يتغير. أن رسالة العرب أنفسهم وإلى العالم هي الإسلام. منا من ينظر إلى ذلك باعتباره ديناً سماوياً خص الله بتنزيله العرب بسبب من إرادة الهية ومنا من يرى ذلك بسبب من مؤهلات وظروف وشروط معينة ومنا من يقرن بين السبيين ويرى أن الواحد متمم للآخر. بالطبع، ما طرحته يقتضى وقتاً ومجالاً طويلاً للاحاطة. وقد أطلنا ولا بد من الإيجاز. لقد كان جيلنا متفائلاً بأن الدولة العربية الكبرى ستقوم فى حدود هذه الأعوام التى نعيشها الآن، والنتيجة كانت ان ازددنا تفرقاً وبدا وكأن الزخم القومى قد فقد تألقه. اذاً ثمة انحسار قومى، كان لمحّة تركيز الشعبوية والصهيونية على القومية العربية ونتيجة تسهيلنا نحن لهذه المهمة بشتى الأشكال. ولم تكن وسائل إعلامنا بمنجاة من ذلك. ولو تلفتنا حولنا وقرأنا الحياة والتاريخ لرأينا أن القومية لا تموت، ولا شىء يغنى عنها. والقومية العربية حية وحيوية أبداً. ولا خوف عليها، ولكن ثمة خوف منها، وهو خوف الشعبوية العالمية والصهيونية العنصرية والعملاء التأفهيين مهما بلغوا من القوة وبرعوا فى الأساليب. ولقد نال الإسلام ما ناله من الشعبوية والصهيونية، وكانت قمة التشويه متمثلة فى ما أقدم عليه خمينى وأنصاره واتباعه. فإذا كان المد الإسلامى السلفى أو الأصولى دعوة إلى مكارم الأخلاق والسير على هدى سنة الله ورسوله والاقتداء بعظام الصحابة والأئمة فما أسعدنا بذلك، ولن يكون إلا إلى جانب العروبة، ونحن نعتقد أن الاخلاص للإسلام، فى جملة ما يقتضيه، هو إعلان اللغة العربية لغة روحية للمسلمين عامة، وتدريسها فى مختلف مدارسهم وجامعاتهم. وإلا كيف نفهم القرآن الكريم ونهج البلاغة وأعظم الكتب التى احتوت على الفقه الإسلامى. ثم إلا يحق لنا أن لا نطمئن إلى هذا الهجوم المشبوه، أو ما وراء المشبوه، الذى يجعل

هدفاً لنباله القومية العربية، ونحن فى طور النضال لاستعادة هويتنا وأقامة دولتنا الواحدة القوية التى ستكون أكبر داعم للإسلام والإنسانية ولهذا يحاربها اعداء الإسلام والإنسانية. الصحيح أن الزيد سيذهب جفاء. ومهما ادا من انحسار ومهما هاجمنا الطوفان، فلا بد لسفانيتنا أن تستوى على الجودى. واننا مصممون على الوحدة العربية، ومصممون على البدء بوحدة صحيحة قوية. واننا مؤيدون لكل وحدة يختارها أو يشعر بالحاجة إليها أى بلد وبلد شريطة أن تكون جدية وأن تكون شعبية. ولا بد من النجاح إحدى هذه الوحدات لتعود الثقة إلى الناس ويعود الأمل القوى والحماس العظيم. وفى غمار كل ذلك لابد من قيام الحكم الديمقراطى إذ بدونه سيفشل كل نظام. وهكذا يتعاقب الفكر الودوى والديمقراطى فى سبيل بناء أمة المستقبل العظمى.

— من يأتى أولاً الديمقراطية أمر الوحدة؟

* ليست المشكلة فى من يأتى أولاً. ولكن لا بقاء للوحدة بدون الديمقراطية. ويجب أن يكون ذلك مائلاً أمام كل فرد وأمام كل جيش وأمام كل حاكم. وبما أنهم غالوا علينا فى القمع فسوف نغالى فى الديمقراطية.

— لماذا نرى غياب الوجوه البرجوازية وأحزاب الشعب والكتلة وغيرها؟

* ذلك عهد مضى بصفحاته المضيئة والمظلمة. ولكنى ارى مع ذلك أن كثيراً من رجالات من هذه المرحلة ظلموا. ورحم الله بدوى الجبل إذ قال:

سوف يملأ التاريخ عنى ما يملأ

فتخزى بظلمى الأوطان

ولا أحب أنا شخصياً تقسيم مجتمعتنا الآن حسب التقسيمات الكلاسيكية فى

أدبيات نحترم اجتهاداتها ودراساتها كما نحترم كل علم وفكر، وأن كنا لا نلغى علمنا أو فكرنا وتأملنا العميق الغنى في مجتمعنا. نحن جميعاً مواطنون، ويجب أن نتوفر جميعاً على بناء وطننا حسب امكاناتنا الفكرية والمادية، وفي ظل حكم شعبي، في ظل حكم وطني ديمقراطي تتكافأ فيه الفرص ويحمى القانون الجميع كما أن تربية المجتمع بروح الأخلاق والديمقراطية تساعد القانون والحكم وتحول دون التجاوزات التي سنكون حريصين على انزالها القبر إلى غير رجعة مشيعة بما تستحقه من غضب الله والشعب. وأنا أعتبر أن الحزب الوطني الديمقراطي يمكنه أن يكون وريث أنقى وأصفى وأمجد ما في تقاليد هذه الأحزاب ورجالاتها، بالإضافة إلى مضمون عصري علمي متقدم. ومن هذه التقاليد التجرد، والإيمان، والاخلاص للوطن، والتضحية في سبيله نفساً ومالاً (لا أن نتأله - جل الله تعالى - على حساب عبودية الشعب، وأن نتشقق عنى فاحشاً على حساب حاجة الشعب). وأعتقد أن حزبنا هو أكثر ما يجذب جماهير تلك أعاصير مجتاحة، وقد أحسنت في قياداتها ونجحت، كما يجذب الحزب المناضلين والواعين الأشداء لاسقاط كل من انحرف بالسفينة لتتطم وتتناثر اشلاؤها أمام شيطان الشعوية والصهيونية.

- كدكتور جامعة، وشاعر عربي كبير، لماذا ضحيت بمناصبك وراحتك بينما لا يساهم الذين استفادوا من خلق اسماء لهم أن كانوا نواباً أو غير ذلك، والآن هم منخرطون في التجارة والبنوك ونسوا الشعب السوري؟

* أنى ادعو كل أبناء الوطن في المهاجر أن يوجهوا الآن انظارهم إلى وطنهم، وأن يشعروا بأن عليهم واجباً تجاهه، وأن الوقت لم يفت. وسيكون المجال متوفراً للجميع لخدمة هذا الوطن، في ظل الحرية والكرامة. أما بالنسبة لى، فإينما كنت، في الوطن أو في المنفى، فأنا ابن هذا الوطن، وشاعرتى ومكانت هبة منه، من أرضه وسمائه، من تاريخه وأهله، وعلى أن أفعل ما ترضى عنه هذه الأرض والسماء،

وهذا التاريخ وهؤلاء الأهل هذه رسالتى الشعرية والنضالية. لقد سمعت الأستاذ ميشيل عفلق - وهو مؤسس أهم حزب قومي على أساس علمي - في أكثر من مجلس يردد: «لقد كان شعر بدوى الجبل مدرستا القومية الأولى» وسمعته يروى أنه عندما كان تلميذاً في الكفاءة أو دونها، اختاره مدير المدرسة لالقاء قصيدة وكان والد الأستاذ ميشيل عفلق في سجن الأجنبي الدخيل المحتل، فاختر بدوره قصيدة بدوى الجبل التي يقول فيها:

يهددني بالسجن قوم سفاهة

فتى العرب الأنجاد لا يهرب السجنا

ويوم كان بدوى الجبل ما يزال في ريعان شبابه، في العشرين أو دونها قليلاً أو فوقها قليلاً، كتب العالم الجليل الأستاذ محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي بدمشقي مقدمة لديوانه «الشفق» المطبوع آنذاك في صيداء، وها أنا أقرأها عليك من كتاب للاستاذ اكرم زعيتر بعنوان: «بدوى الجبل أو إخوا أربعين عاماً» وقد أهداني هذا الكتاب صباح اليوم الصديق الشاعر المعروف حميد سعيد الأمين للإتحاد العام للكتاب والأدباء العرب. قال العلامة كرد علي: «الشعراء في الأمم اليوم رسل الاصلاح ودعاة النهضة وحملة النور إلى العقول، ولا شك أن بدوى الجبل هو في مقدمة شعراء العرب الذين يحملون لواء وحدتها، ويقودونها إلى سبيل سلامتها وعظمتها».

وأرجو أن أكون من هؤلاء الشعراء. وفي هذا راحتى وهذا أعلى منصب أطمح إليه، وأعتز به.

- هل انخرطك في السياسة الآن أخذ جل وقتك، وجعل انتاجك الشعري يقل، امر على العكس حرض القريحة الشعرية؟

* لقد كان شعري دوماً سياسياً خاصة في المواقف الهامة أو الحاسمة. وهو أكثر خوضاً مني لغمار السياسة. وأنا أعتقد أن الشاعر الذي لا ينضب هو الشاعر الذي يغرف من نبع الشعب. بالطبع، في المرحلة الأخيرة وبعد خروجي من الوطن، ألقيت على تبعات سياسية وقيادية جديدة. وقد كان هذا حافزاً لأن أكتب أهم قصائدي فنياً وفكرياً، شكلاً ومضموناً. والسياسة الوطنية والقومية ضرورة للشاعر العظيم، لأنه شاعر أمته. وأذكر بهذه المناسبة كلمة لغوته، كبير شعراء المانيا قال: «أن قصائدي جميعاً قصائد مناسبات، فهي تستوحى الواقع، وعلى الواقع تتركز وتستقر».

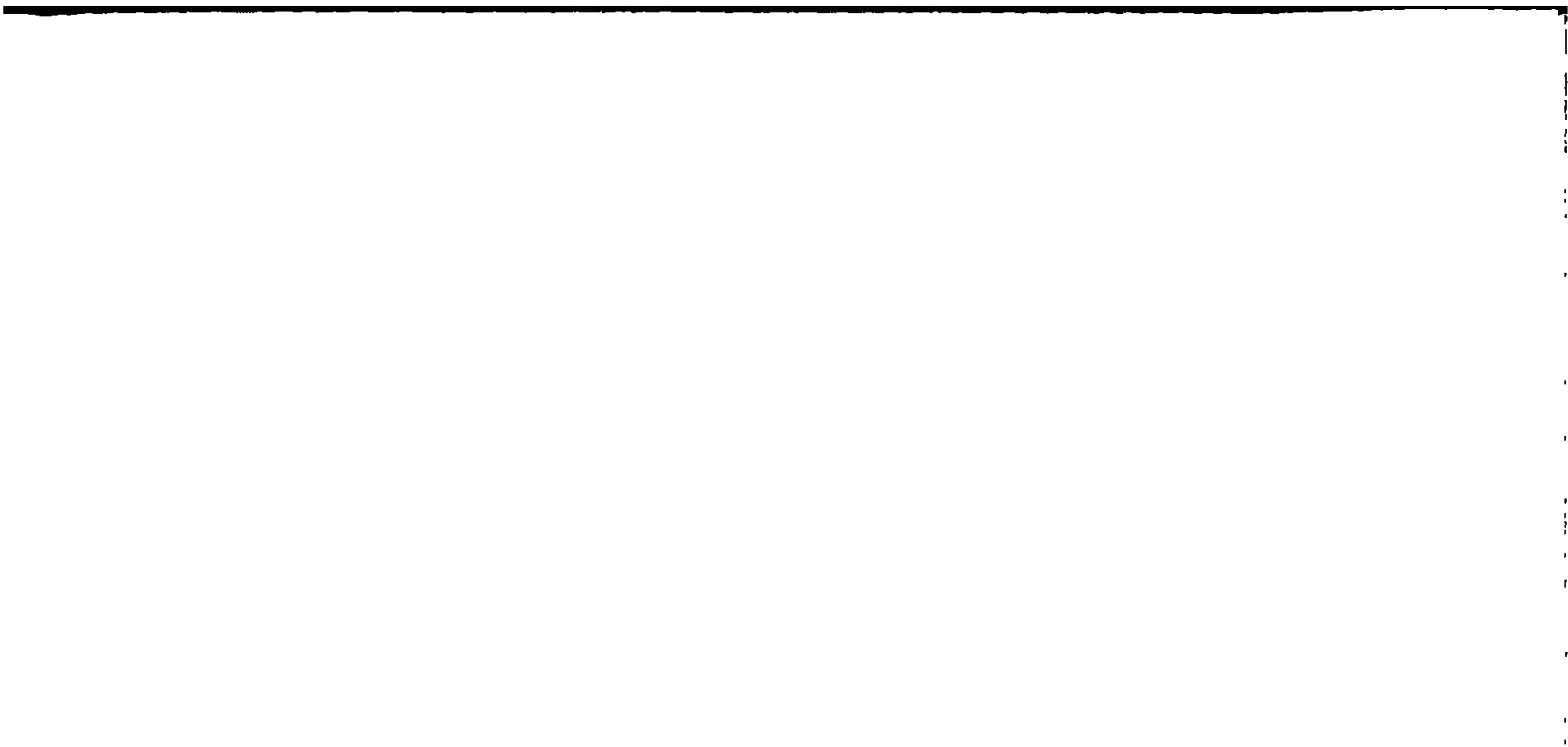
ولا أشكو من أن السياسة جنت على شعري، بل أعطته زخماً وفتحت أمامه آفاقاً. وأنا أعتز بشعر هذه المرحلة الذي وقف بقوة إلى جانب شعبي وأمتي. وقد رأيت كيف أن الجماهير كانت تبكي حتى النشيج وحين تصغي لأشعاري... وتسجل مختلف فئات الشعب قصائدي ويتناسخوها في الوطن الكبير. وأخبرني أحد أصدقائي الأدباء الموريتانيين أنه عندما عاد إلى موريتانيا بقصيدتي «أشجار وراء السياج» كان الشباب الموريتانيون يسجلون اسماءهم لديه كي يحصل كل منهم عليها يوماً لينقلها. وآخر ما كتبت هو قصائدي عن انتفاضة اطفال الحجارة وعن انتصارات العراق العظيمة. إنها المالحمة المتألقة الحية التي نحاول أن يكون شعرنا وكياننا ظلاً وفياً لها.

المهم دوماً أن نقول شيئاً صحيحاً، مفيداً، في رداء جميل جذاب، يرضى عنه الله والشعب والوطن والأمة. ورحم الله القائل:

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

فلا زال غضباناً على لثامها

نسأل الله أن يظل عدد الكرام في صعود، وعدد اللثام في هبوط:



الفصل الثالث عشر

ردود على المعارضة السورية

الفصل الثالث عشر

ردود على ملفات المعارضة السورية

سوريا بين المصيبتين النظام والمعارضة!

هذه الرسالة الرد تأخذ منحى آخر. أنها نوع من التحدى يمسك بالمعارضة السورية من كتفيها وينتزعها من الماضى واخطائه وامجاده وبطولاته، إلى الحاضر المعاش على أرض الواقع. أنه يضعها وجهاً لوجه أمام مأسى الشعب السورى فى الداخل، هذا الشعب الذى يدفع ثمن رضوخه وصموده ترغيباً وترهيباً واذلالاً وانتهاكات وكتباً وتجويعاً. فماذا اعطى المتحدثون باسم المعارضة السورية لهذا الشعب بالمقابل واين هم من هذا الواقع المرير؟ هذا هو السؤال الذى تطرحه هذه الرسالة.

كمواطن من القطر العربى السورى، قرأت بامعان ملفات المعارضة السورية التى قامت مجلتكم بنشرها، وأنى لا تقدم إليكم بخالص شكرى لهذا العمل الذى يعتبر فاتحة جديدة فى الصحافة العربية، بغض النظر عن أى اعتبار آخر، بغض النظر عن إنى اعتبار آخر، وآمل أن تستمر مجلتكم فى هذا النهج الجديد، وأن تعطى درساً للمجلات والصحف العربية الأخرى لتسير على المنوال ذاته، بانفتاحها على المعارضات العربية المختلفة محققة بذلك الرسالة الصحفية التى يفترض أنها انشئت من أجلها، وبسط قواعد الديمقراطية.

وكصوت مستقل رغبت أن أعبر عن رأى الخاص حول ما جاء فى هذه الملفات التى تعتبر فى عاية الأهمية، نظراً لم تضمنته، وللتوقيت والظروف اللذين نشرت خلالهما. ملتزماً التزاماً دقيقاً بالموضوعية، وما تمليه المسؤوليات الوطنية على كل مواطن حر، ووطنى يضع مصلحة البلاد فوق كل المصالح.

وأبدأ أولاً بالتوجه إلى المجلة نفسها التى يؤخذ عليها عدم فتح هذه الملفات على

جميع أطراف المعارضة السورية، والاكتفاء بالقوى والشخصيات التي تشكل التحالف فقط، في حين أن المعارضة السورية تشمل قوى أخرى لم تمثل بحديث، أو أنها لم تذكر على أقل تقدير، وربما كان من الموضوعية بمكان نشر دراسة مجملة عن المعارضة السورية برمتها وجميع تياراتها، دون أن نهمل صوت المستقلين الذين، وأن كان لا يوجد لهم ممثلون معروفون، غير أنهم في نهاية الأمر يشكلون الغالبية العظمى من المجتمع العربي السوري، ويتحرك منهم عدد لا بأس به على الساحة السياسية للمعارضة السورية.

أما على صعيد الملفات نفسها فلا بد قبل الولوج في طرح الرأي، من اعطاء فكرة مختصرة وسريعة عن الأوضاع في سوريا حتى يتسنى لنا على ضوءها تقييم ما جاء في هذه الملفات.

فإذا ما اردنا وصف الواقع الذي تعيشه سوريا منذ زهاء ربع قرن تقريباً، لا يمكننا سوى القول بأنه وضع مؤلم، ومتدهور، وخطير وتزداد الأحوال سوءاً مع كل يوم جديد. فعلى الصعيد السياسي، وصلت السلطة الحاكمة في سوريا إلى دفة الحكم دون اية شرعية دستورية، ومازالت مستمرة في حكم البلاد بشرعية مزيفة على أساس انتخابات صورية مدعومة الاضطهاد، والتعس، والقتل، وسفك الدماء والسجن، وكم الافواه، والابادات الجماعية التي يندى لها جبين الإنسانية واعتماد وسائل تعذيب همجية، ولا أخلاقية لا تعرف مثيلاً حتى في العصور الوسطى.

وتستمد السلطة شرعية استمراريتها في الحكم أيضاً، من اطلاقها شعارات جوفاء تتمثل بمناهضة الصهيونية والامبرالية، وتحقيق التوازن الاستراتيجي، واسم هذه الشعارات فإن الأحكام العرفية مازالت قائمة كسيف مسلط على كل من تسول له نفسه انتقاد النظام، أو حتى ابدأ رأى معارض، إذ يصبح بين ليلة وضحاها عميلاً للأمبرالية والصهيونية... كما أن النظام لا يزال ينتهج سياسة الحزب القائد، الذي لا يعتبر في حقيقة الأمر، سوى واجهة

تغطي سلطة «الجنرالات» الحكام الفعليين في البلاد. وما الأحزاب الأخرى المشاركة فيما يسمى بالجبهة الوطنية التقدمية سوى دمي متحركة تدور في فلكة تسبح بحمده وتأتمر بأمره.

والسؤال الآن، هل أعطت هذه الملفات هذه الصورة عن واقع النظام في سوريا؟

على الصعيد الاقتصادي، ودون التطرق للغة الأرقام، فإنه لم يعد خافياً على أحد بأن الديون الخارجية المتراكمة على سوريا قد تجاوزت الـ ١٥ مليار دولار. مع عجز مضطرد في الميزانية، نظراً لانخفاض الإنتاج بشكل ملحوظ، والهبوط في القوة الشرائية لليرة السورية من جراء التضخم. حتى صار الموظف العادي لا يقوى شراء قوته اليومي، فسياسة التفجير والتجويع قائمة على قدم وساق، في الوقت الذي تنعم فيه طبقة الحكام والمسؤولين بالبذخ والعيش الرغيد.

كما أن القطاعات المختلفة تشهد أزمات حادة جداً. اكان ذلك في الميدان الزراعي أو الصناعي، أو التجاري أو السياحي... يلازمها ازمات حادة وخائفة على صعيد الأسكان والمواصلات، والتموين والصحة...

فهل أعطى المتحدثون باسم المعارضة السورية هذه الصورة من الواقع الاقتصادي يرزح تحته الشعب السوري؟

وإذا ما تناولنا الصعيد الاجتماعي، فإنه لا يشذ عن القاعدة العامة، إذ عمل النظام على حقن المجتمع السوري بجراثيم أمراض اجتماعية خطيرة بعد أن كرس حكمه على أساس طائفي، فبرزت الطائفة بشكل سافر مهددة صرح المجتمع السوري بالشرخ ومنذرة بحرب أهلية خطيرة. كما ساعد النظام على تفشي الرشوة، والفساد الإداري، والتفسيخ العائلي، والانحلال الخلقي، وفرض صيغاً جديدة من الخنوع والتواطؤ بطبيعة سياسة

الترغيب والترهيب، وخلق شرائح طفيلية مهمتها الوحيدة السلب والنهب، وامتصاص دمائ الشعب، لتحولها أرصدة في المصارف الأجنبية، حتى إنها لم تعد تتوانى عن توظيف أية وسيلة في سبيل جمع المال، على حساب صحة الشعب حتى ولو كانت طمر نفايات نووية في الأراضي السورية...

فهل اعطت ملفات المعارضة السورية فكرة عن هذه المواضيع؟

وإذا ما تطرقنا أخيراً للسياسة الخارجية السورية، لنعطى بعض الأمثلة على سبيل المثال لا الحصر، نجد أن النظام في سوريا، يعمل دعم سياسة إيران التوسعية في جسد الوطن العربي، وضد القطر يدافع في حربه المقدسة عن سيادته فقط، وإنما يقف سداً منيعاً لصيانة كيان الأمة العربية باكملها أمام جحافل الجهل والتعصب والتزمت...

كما أننا نراه يسعى جاهداً لضرب الفلسطينيين في لبنان، وشق منظمة التحرير الفلسطينية حتى يتسنى له اللعب بالورقة الفلسطينية، كما يتلاعب بالورقة اللبنانية. ولا يتوانى في سياسة دعم الإرهاب الدولي وتغذيته، حتى بات المواطن السوري محط شكوك على كل نقطة حدود، وفي اقامته في أى بلد كان.

فهل اطلعنا هذه الملفات على هذه الأمور؟

أن الجواب على جميع هذه الأسئلة هو النفي، إذ كان من المنتظر أن يعطى المتحدثون باسم المعارضة السورية صورة لواقع النظام حتى يبرروا على الأقل أسباب معارضتهم، وأن يعرضوا علينا موضوعياً واقع المعارضة ونواحي العجز، ومواطن الضعف فيها، ويتصوروا مشروعاً مستقبلياً لهم شملها ورأب التصدعات فيها، لتكون معارضة حقيقية، فعلية وفعالة، ذات منهج صحيح، وإنها ليست قادرة على قلب النظام فحسب، وإنما على استلام زمام الحكم وتسيير البلاد بسياسة صحيحة وحكيمة، وهذا لم نلمسه في حديث أى من المسؤولين الذين تمت اللقاءات معهم.

أن القارئ العادى الذى تابع هذه الملفات لم يشتم سوى روائح الخلافات والانقسامات، والاتهامات بين رجال المعارضة بعضهم بعضاً ولم ير سوى الغسيل الوسخ منشوراً على الملأ. وأن مرض عبادة الذات مازال ينغرس فى اكباد الجميع.

فكيف لنا بعد كل ذلك مقابلة مواطن عادى يتضور جوعاً، وتختنق انفاسه تحت الحذاء العسكرى ليل نهار، وهو ينتظر المدد من المعارضة السورية...؟

أن هذه الصورة المختصرة والسريعة للوضع العام تعطينا فكرة عن هو المصيبة وعن المصاعب الجسام التى تنتظر المعارضة، أو كل من يستلم الحكم بعد سقوط النظام الحالى لاعادة الأمور إلى نصابها، واعادة بناء سوريا دولة ومجتمعاً على أسس جديدة وديمقراطية حقيقية، وهذا يتطلب بالدرجة الأولى برنامجاً سياسياً اقتصادياً اجتماعياً، مدروساً دراسة دقيقة بحيث يرد على المتطلبات الحالية والمستقبلية لاسيما وأنا على أبواب قرن جديد تتطلع فيه الدول إلى مزيد من التقدم والرفاهية ويحتم علينا أن نلحق بالركب، وإلا فإن نهايتنا محتومة.

وقف جلال السيد البرلمانى السورى الأصيل والذى مثل حزب البعث فى البرلمان السورى وصوت ضد دستور الخمسينيات حتى لا يقال أن الدستور مر بدون معارضة... هذه العنية فى الأشخاص هو ما يحتاجه كل قطر عربى (...)

ويروى جلال السيد أنه كان فى السجن عندما حدث الانقلاب على الشيشيكلى ولما أفرج عليه خطب فى البرلمان السورى بعد أن طلبت الحكومة السورية نيل الثقة وقصّ عليهم أن وحشاً كاسراً تجمع عليه الأهالى ووضعوه فى قفص بعد أن ائحنوه بالجراح وبعد أن أنهى تقريباً ضربه حدهم بحصه صغيرة فقتله فصرخ أنا قتلته أنا قتلته... وقال للبرلمان السورى أرانى بكم تنادون أنا قتلته وكان الشعب السورى لم يلعب دوره فى الاطاحة

بالدكتاتور وضجت القاعة بالتصفيق... وخرجت المانشيتات في اليوم التالي بعنوان... أنا قتلتته... أنا قتلتته.. لكن المشكلة أن الحديث عن المعارضة السورية بمختلف مشاربها وتوجهاتها صعب للغاية فلا يمكن أرضاء أى طرف. وكيف يمكن أرضاء الأطراف كلها وقد اعتادت المعارضة السورية على التعامل مع الأحداث عبر اصدار البيانات.

فمثلاً في نهاية الدورة الثامنة للتحالف الوطنى لتحرير سورية صدر بيان عن الأمانة العامة في ١٥ صفحة وليس فيه أى كلمة عن القضايا الملحة التي عولجت مثل المفاوضات وعلى المرء أن يكون منجماً حتى يحلل الجملة في البيان القائلة: «أصبحت القطيعة تامة ونهائية بين الشعب المناضل وحافظ الأسد» ويعرف أنها تعنى المفاوضات... قد أنتهت وحرمت.

كما أن بعض أعضاء التحالف عندما كان يقوم بزيارات إلى الغرب مثلاً كان يمنع لقاءات لمجلات هامشية مثل مجلة امباكت في لندن والتي لا يتعدى توزيعها عدة آلاف ويحررها باكستانيون ويعتبرون أن هذا اقتحاماً لصحافة الغرب والشرق...

وفي ناحية أخرى فإن قمع النظام جعل المعارضة تتقوقع وتخاف في خيالها عند الحديث مع الصحفي. وكم أذكر كم عدد المرات التي أوقف فيها شريط التسجيل أثناء المقابلة، وحددت في أحيد المقابلان أن أحد أعضاء التحالف أوقف التسجيل ١٢ مرة.

ولكن كسر حاجز الخوف والتردد هو بحد ذاته انجاز ضخم وعندما قرر اطراف المعارضة السورية الكلام فإن هذا يعتبر خطوة إلى الأمام.

وأن من يقول أن تعددية الآراء وتصارعها وتطاحنها سيضر بالمعارضة هو من نتاج ومخلفات الماضي الذي يؤمن بزمّن الخلافات الصحية ووضع واجهة بادرة اصطناعية أمام

الملا. وهذه الاساليب تخطاها الزمن وسقطت في مزابل التاريخ...

والاغرب من هذا أن بعض أطراف المعارضة يعتبر سراً اسم على من على أفراد الشعب السوري أم على النظام، وكما أن تفاصيل كثيرة تعتبر اسراراً مع أنها معروفة لدى النظام بحبر الاعترافات والاختراقات.

لكن ما يهم الآن أن ملف المعارضة قد فتح ولن يغلق وهناك زعامات سورية أثرت انتظار قراءة الحلقات كلها قبل أن تقرر أن يتكلم والآن فإن على هؤلاء الكلام الادلاء بما يعتقدون به لأن الوقت قد حان ولم تعد مقبولة لم يحن الوقت مقبولة لأن الزمن ضدنا والحياة قصيرة وترى زعماءنا التاريخيين يقضون فجبهم وهم في الغربة ويأخذون معهم تاريخ شعب سورية إلى فيورهم - وهذه جريمة لا تغتفر. فمن أجل أبقاء الجسور قائمة مع هذا أو ذاك يفصل البعض عدم الكلام وهذا منطق مرفوض تاريخياً وسياسياً ونضالياً... وحمل تاريخ الشعب السوري للغيور بفتح المجال أمام فئة قليلة هامشية على تأريخ الأحداث، وهذا بدوره لا يعطى امرئ حقه وأن طرح البعض تأليف لجان لوضع تاريخ سورية الحديث ما هو إلا حديث خرافة لأن اللجان مهمتها تحريف وخدمة الأصدقاء وتلميع الذين سؤدوا تاريخنا التليد ولعلى أذكر هنا عندما ذهبت إلى الأردن بناءً على مكالمات هاتفية في إحدى تنظيمات المعارضة التي كانت تدعى تحقيق انتصارات عام ١٩٨٢ ولكن تحت ضغط مخابرات هذا النظام رفض التنظيم الحوار ثم حولوني إلى العراق للقاء بهم فلم يسمح له أيضاً. إذن هناك تطور في حركة المعارضة بعد أن شكلت التحالف الوطني لتحرير سورية وتحققت استقلالية القرار السياسي والنضالي والإعلامي لدى المعارضة السورية مع أن بعض الأطراف ما يزال متردداً في استغلال الحرية المتاحة...

كما أن هناك رفضاً للحوار مع الدول العظمى مخافة أن تحول المعارضة إلى فصيل في السياسة الدولية وهناك حذر قائل في الغرب والشرق...

مع كل هذا فإن هناك اجماع بين أطراف المعارضة السورية فى إطار التحالف الوطنى لتحرير سورية وخارجه على النقاط التالية:

أولاً: إن المعارضة السورية لا يمكنها أن تكون فعالة إلا عبر انشاء التجمعات والتحالفات. وكان انشاء التحالف الوطنى خطوة أولى وجادة فى هذا الاتجاه.

ثانياً: هناك نضوج واضح لدى القيادة والأمانة العامة للتحالف مع أن بعض الانقسامات داخل الأخوان قد أدى إلى هزة عنيفة لكن التحالف بتشكيله العريض قادر على تخطى هذه العقبات .

ثالثاً: بروز الاصرار على الديمقراطية وتعدد الأحزاب ورفض التفرد الحزبى وتجربة الحزب الواحد للأتجاه أكثر إلى اليمين أو الوسط أكثر فى استمرار التمسك بالتوجه اليسارى.

رابعاً: الوحدة الوطنية فى سورية أصبحت هاجساً لدى كل طرف من أطراف المعارضة هناك نوعاً من التلاحم الوطنى لانقباد واللحمة السورية وكأن ما يحدث الآن خوض معركة استقلال ثانية..

خامساً: امتزاج الأحزاب السورية واحتكاكها مع بعضها جعل البعض يرى مثلاً بعثية الإسلام وإسلامية البعث ووحدية الأخوان المسلمين.. وكل طرف أثر على أفكار الحزب أو البعض الآخر (...)

سادساً: توجيه اللوم على مؤامرة الصمت العربية حيال ما يجرى فى سورية والمطالبة بأن التغيير فى سورية ليس مطلباً سورياً بحتاً بل هو مطلب قومى ويقع عاتقه الاسهام فيه معنوياً أو مادياً على الشعب العربى فى شتى الأقطار.

سابعاً: الإيمان بأن الغرب والشرق لا يهتمهم إلا التعامل مع القوى فى سورية بل

إنهم لا يريدوا ديمقراطية حقيقية في سورية لأن غياب الشعب السوري عن الساحات أمر مطلوب لأن التعامل مع حكام مستبدین أسهل وأضمن بكثير في التعامل مع الشعب العربي الحر..

ثامناً، أن أى انقسام بين أطراف المعارضة إنما هو قائم على أساس التزاحم على من يمثل الشعب السوري وهذا لا يمكن أن يقرر في الخارج بل في الداخل وبعد التحرير... أو التغيير... وهذا فإن قبول كل الأطراف على أن الممثل الحقيقي للشعب العربي هو من يجرى انتخابات مباشرة هو اعتراف ديمقراطي وواقعي بأن المحصلة النهائية هو الشعب ولا سواه.

تاسعاً، الاجماع أن الوقت قد حان على محاسبة الذات والانطلاق من جديد بروح جديدة ونزع الانطباعات القديمة والتقدم نحو المستقبل بروح مشبعة بالنقد الذاتي المستمر..

عاشراً، الاتفاق أن الكفاح المسلح لا يمكن أن يتم إلا باتفاق كافة الفصائل المعارضة ولا يمكن أن يقوم بها فصیل واحد. وأن العشوائية مرفوضة لأن هذا يسبب المزيد من الايذاء...

حادی عشر: رفض ووقف ومنع وادانه أى تفاوض مع النظام السوري إلا إذا وافق التحالف بأغلبية مطلقة وإلا كان أى فريق يقوم بالتفاوض يعتبر خارجاً عن التحالف.

ثاني عشر: ابقاء قنوات الاتصال مع النظام مفتوحة وتفرغها عن المفاوضات، وفي هذا الطرح ليونه ببياسية ودهاء ونضوج سياسی قد لا يفهمه الساسة المحنكين..

الثالث عشر: رفض دور العسكر في الاطاحة بالنظام والإيمان المطلق بأن التغيير

السليم الوحيد هو عبر الانتفاضات الشعبية فى داخل سورية والتعلم فى الماضى بأن استخدام العسكر للتغيير هو سلاح ذو حدين .

الرابع عشر: إذا لم نحتفظ بكل التجارب التى مرت على سورية والوطن العربى فعلىنا أن نزول جميعاً لما هذا القول لأحد الأطراف المعارضة (الحزب الشيوعى) قد يلخص مواقف الجميع فى المعارضة لأنهم ادركوا إنهم بدون الاستفادة من التجارب التاريخية لا يمكنهم إنهاء نظام الأسد . (...)

الخامس عشر: خروج المعارضة إلى السطح بعد المكوث تحت الأرض لفترة طويلة واتهامها بالجمود، قد بدأ ولن تعود الحركة التاريخية القهقرى بل أن التاريخ حركة مستمرة إلى الأمام ..

السادس عشر: أصبح اسم التحالف الآن جمعية الانقاد ورفضت جماعة محفل الدخول بها حتى الآن .

الفصل الرابع عشر

شهادات أميركية

ولو نظرنا الآن لما يجرى بين الولايات المتحدة ونظام أسد نكتشف بعض الحقائق المذهلة التي لا تجرؤ أى جهة على نشرها.

ومن هذه الحقائق أن نظام أسد الذى شن حملة إعلامية حامية الوطيس ضد المبادرة الأميركية الجديدة لحل ما يسمى بقضية الشرق الأوسط استقبل ريتشارد مورفى مساعد وزير الخارجية الأميركي فى دمشق لثلاثة أيام متوالية وجرى حوار استمر خمس ساعات أخرى مع فاروق الشرع وزير خارجية النظام، وخمس ساعات مع نائب أسد عبد الحليم خدام.

ويقول المسؤولون الأميركيون أنهم بدأوا يتفهمون ضرورة استمرار الحملة الإعلامية السورية ضد الولايات المتحدة لأن هذا النظام يريد غطاءً لما يقوم به.

ويشرح الأميركيون أن نظام أسد قدم حلاً لقضية التمثيل الفلسطينى فى المؤتمر الدولى وهو أن نظام أسد بالاتفاق مع الأردن يمكن أن يتتقى العناصر الفلسطينية المقبولة وبهذا يتخطى قضية منظمة التحرير الفلسطينية.

هذا الحل الذى قدمه أسد صفق له مورفى. وكيف لا ومورفى يعتبر من عرابى العلاقة الأسدية الأميركية لان ريتشارد مورفى كان أول سفير للولايات المتحدة فى دمشق بعد أن أعيدت العلاقات الأميركية السورية فى عام ١٩٧٤ وبعد أن زار الرئيس الأميركي نيكسون دمشق.

وبقى مورفى فى منصبه أربع سنوات ولهذا كلما يتكلم المرء معه حول دمشق تصيبه هزة عاطفية لأنه يرى أن نظام أسد حقق العديد من المطالب الأميركية، فقد دخل نظام أسد فى مفاوضات مباشرة والتي انتهت باتفاقيات فك الاشتباك بين إسرائيل وسورية. وكوفىء اخلاصه هذا بعقد الاتفاقية الثانية لدخول الجيش السورى فى لبنان وضربه

للحركة الوطنية اللبنانية وخاصة أن هنرى كيسنجر كتب بالحرف الواحد فى مذكراته أن دخول الجيش السورى فى لبنان لم يعرض المصالح الأميركية للخطر.

وما قاله كيسنجر وسام آخر على أسد من صهاينة أميركا. ولما حقق أسد ما اراده اسياده من مخططات لضرب الحركة الوطنية فى لبنان تحول إلى ضرب المقاومة الفلسطينية، لكن أسد فشل فشلاً ذريعاً فى ضرب المقاومة الفلسطينية فحدث الجفاء بين الولايات المتحدة الأميركية ونظام أسد ودخلت قوات الكيان الصهيونى لتنهى ما بدأه أسد وقوات الصهاينة وتم سحب قوات النظام فى بيروت. ولكن حافظ أسد اراد أن يثبت أنه قادر على اكمال ما طلب منه من ضرب المقاومة وقام بمحاصرة المقاومة الفلسطينية فى طرابلس وقتل الآلاف من الفلسطينيين مرة أخرى...

ولم يكتف بذلك بل ذهب إلى محاولته لاقتناع الأميركيين بأنه قادر على قتل الاشبال الفلسطينيين الذين ترعرعوا فى برج البراجنة وصبرا وشاتيلا وحاصر المخيمات من قبل اتباعه من عصابات أمل التى حصلت على الدبابات والمدركات السورية لقتل ومحاصرة الشعب الفلسطينى فى المخيمات فى لبنان.

بعد كل هذه الإنجازات الدموية لنظام أسد فى خدمة السياسة الأميركية فى لبنان بدأ أهل الإدارة الأميركية بالتسبيح بحمد أسد وامجاده وانتصاراته التى حققها ضد الشعب الفلسطينى واللبنانى والذى فشل الكيان الصهيونى فى تحقيقها.

كل هذه المجازر والارتكابات المشينة الأسدية ضد العرب لم تشبع نهمه فى البطش وسفك الدماء. والمثير فى الأمر أن الولايات المتحدة التى تشور ولا تقعد عندما يرفض الإتحاد السوفياتى السماح لصهيونى بمغادرة الإتحاد السوفياتى أو يزج بالسجن بمواطن سوفياتى تقوم الخارجية الأميركية بنشر التقرير، تلو التقرير والتصريحات الطويلة عن معاملة السوفيات لليهود وبعض أفراد الشعب السوفياتى.

ولكن المشين أن الإدارات الأميركية المتعاقبة يخيم عليها السكوت والصمت القاتل عما يحدث من قتل وبطش في نظام أسد. وفي كل سنة تصدر الخارجية الأميركية تقريرها السنوي عن حقوق الإنسان في سورية. ولا يتعدى هذا التقرير التسع صفحات.. مع أن كل دقيقة في سورية تحت نظام أسد تتطلب تسع صفحات على الأقل لفضح بطشه بشعبه.

لكن الإدارة الأميركية ترى أن الدور الأقليمي الذي يمكن لنظام أسد أن يلعبه هو دور لا يمكن أن يتم بدون اغماض العين عنه والتستر على الحليف الباطني. ولا يقتصر الأميركيون بذلك بل يقدموا النصيحة تلو الأخرى لبعض الأنظمة العربية لمد نظام أسد بالمعونات المالية التي تذهب كلها إلى المصارف الأجنبية. لأن الأميركيين يعتقدون أن تقديم الأموال لأسد سيخفف من غلوائه ويزيد من اعتداله وفي سيره الدؤوب في المخططات الأميركية وما سمي بالعملية السليمة كما أن الإدارة الأميركية وتحت وعياً كلياً بأن اعطاء الحرية للشعب السوري ستحول سورية إلى مارد يصعب احتواءه. ولأن موافق الشعب السوري التاريخية كانت دائماً لا تسهل تمرير الحلول الأميركية وكانت الحصن المنيع للمعتدين الغاشمين. فالإدارات الأميركية المتعاقبة تفضل دائماً التعامل مع دكتاتور عسكري لا يتطلب التعامل معه العودة إلى استشاره البرلمان أو الشعب السوري ولعل ماداريين أسد والرئيس نيكسون يشرح هذه النقطة بالذات.

فقد ذكر الرئيس ريتشارد نيكسون في مذكراته في الصفحة ٥٩٢ أن الأسد أخبره عندما اجتمع معه في دمشق أن أبنته قال له: يا أبى هل هذا هو نيكسون نفس الرئيس الأميركي الذي كانت تتكلم عنه الإذاعة والصحف السورية الرسمية قبل زيارته بأنه رجل شرير تتحكم به الصهاينة واعداء العرب ويتابع نيكسون روايته للقاء بقوله، وابتسم الأسد وقال: أن هذا السؤال سيطرحه كل مواطن سوري ولهذا يجب أن نتحرك بخطوات محسوبة. ويقول الرئيس الأميركي السابق والمخادع والذي اطاحت به فضيحة ووترغيت

ريتشارد نيكسون حرفياً: إننى مقتنع أن أسد سيستمر فى موافقة العلنية المتصلبة ولكن فى السرفائه سيتبع المثل العربى الذى أخبرنى إياه خلال إحدى اللقاءات وهو عندما يرى الأعمى بعين واحدة أفضل من إلا يرى على الإطلاق! لقد ترك أسد انطباع دائم لدى فى هذا المجال.

وكتب نيكسون فى مذكراته: أن أسد تخطى توقعاتى من خلال ما أخبرنى به كيسنجر حوله، وكان أسد غامضاً ولكنه يضحك بسهولة وإذا تجنب الاغتيال أو الاطاحة به فإننا يمكننا الاعتماد عليه.

ويستمر نيكسون فى مذكراته بقوله: لقد لاحظت زوجتى بات أن رأس الأسد الخلفى مسطح وربما لأن نام على ظهره وهو صغير. ويتابع نيكسون لقد قبلنى أسد على وجنتى عندما ودعنى. هذه الانطباعات التى خرج بها نيكسون قد تعبر أيما تعبير عن الإزدواجية بل الباطنية القائلة لدى أسد، فهو دائماً يحاول الظهور بوجه كامل الاوصاف أمام شعبه لاختفاء عورات ارتكابه وخياناته وصفقاته التى بدأها منذ أن كان وزير الدفاع فى عام ١٩٦٧ واضاع الجولان ثم خاض الحرب التحريكية مع ربيه أنور السادات ووقع صك الهزيمة ورفض أن يسمح للجيش العربى السورى والجيش العراقى أن يتقدما ويتصدوا للصهاينة بل فضل على ذلك مفاوضات فك الارتباط وتوقيع المعاهدة الخيانية والمشؤومة مع العدو الصهيونى يوم الجمعة فى ٣١ ايار من عام ١٩٧٤ فى جنيف.

هذه المعاهدة التى تأخذ قرار الحرب من يد سورية وتضعه فى يد الصهاينة وتجعل من جولاننا الحبيب منطقة احتلال صهيونى تحت اشراف نظام أسد وبضمانة أميركية لاستمرار هذا الاحتلال حتى يقدم أسد تنازلات أكثر ويبطش بالشعب العربى السورى، لهذا نرى تصفيق الولايات المتحدة والغرب له بأنه حقق الاستقرار فى سورية، نعم أنه استقرار القبور والجماجم وتحويل سورية إلى معسكر اعتقال ضخيم ومزرعة له ولعائلته على حساب لقمة

الشعب السوري البطل.

وكبت الحريات وقمعها، وصدقت له إسرائيل والولايات المتحدة على الاستقرار والأمن الذى حققه فى سورية، إلا يكفيه مجدداً هذا الحاكم المسمى بأسد أن يقلق على احتمال اغتياله نيكسون.!!!

فى ندوة عقدتها مؤسسة الأميركان انتر برايز فى واشنطن مؤخراً عن نظام أسد كان المتكلم الرئيسى فيها باتريك سيل وهو صحفى معروف عنه أنه كان فى الأم أى ٥٠ بنقد أى الاستخبارات البريطانية. وضع كتاباً ترجم إلى العربية عنوانه الصراع على سورية. ودافع سيل فى محاضراته عن حافظ أسد دفاعاً يندر أن نسمعه من صحفى غربى.

ولما انتهى سيل فى هذا الدفاع الذى تركز على قاعدة اساسية وهى أن الأسد مستعد للدخول فى الصفقة مع إسرائيل، وبعد المحاضرة جرى مشادة بين باتريك سيل وموشى معاز وهو إسرائيلي من وزارة الدفاع الصهيونية ومتخصص بالكتابة عن أسد.

وسأل معاز باتريك سيل: متى سيظهر كتابك عن حياة الأسد وهل صحيح أنه أعطاك مائة الف دولار لتكتب عنه؟ فانتفض باتريك سيل قائلاً لمعاز: لقد قابلت الأسد أكثر من خمسين ساعة وبابه دائماً مفتوح لى وماذا عن كتابك عن حياة الأسد، وكيف يحق لك أن تكتب عنه بدون أن تقابله فابتسم معاز وقال: ومن قال لك إننى لم التقى بالأسد فليس كل لقاءات الأسد معلنة وكتابى سيكون أفضل من كتابك لأننى تناول الناحية الإنسانية لدى الأسد (!!!).

ولى العهد الجديد.

بعد مسلسل رفعت أسد شقيق أسد الطويل والمعروف والتي انتهت معظم فصوله المريبة بانتقال رفعت أسد إلى باريس ثم طرده إلى ماربيا. فإن مسلسلاً أسدياً آخر بدأ

فصوله في دمشق هذه الأيام. فالمعروف في تاريخ الطغاة والمستبدين إنهم يفضلون أبْنَهُم على أخِيهِم. وفي هذه الأيام فإن حافظ الأسد يريد أن يؤهل ابنه باسل الأسد ليتبوأ الحكم من بعده لأن حافظ الأسد قرر تحويل سورية إلى مزرعة يتوارثها أبناءه وليس أخوته. وفي هذا الإطار الاستبدادي ذكرت مصادر في دمشق أن ضابطين في الفرقة المدرعة الأولى تقدما بشكوى إلى باسل الأسد ضد قائد الفرقة العميد إبراهيم الصافي بسبب نيته نقلهما بعدم كفاءتهما ولسوء تصرفهما إلا أن باسل الأسد طمأنهما بعدم النقل لكونهما من أتباعه مما أثار حفيظه قائد الفرقة الذي بادر إلى زجهما في السجن.

لكن مجموعة باسل العسكرية توجهوا إلى السجن وجردوا حراسه من أسلحتهم واطلقوا سراح الضابطين. وهذا فجر أزمة جديدة في أوساط القيادات العسكرية المتزاحمة وبدأ بعضها يعيد النظر في ولاءاته بعد أن دخل باسل الأسد الميدان.

ولكن المزعج في الأمر أن باسل الأسد ليثبت رجولته وبطشه فقد يعمد إلى تجريب عضلاته وأسلحته أتباعه في أبناء الشعب السوري البطل. الذي يتعرض كل يوم لامتحان ويظهر كل يوم جلاداً آخر من عائلة الأسد المجرمة...

تعيينات وإقالات

في إطار إعادة التنظيم للاقتصاد الأسدي فإن حافظ الأسد عين مؤخراً أحداً. أتباعه، وهو عدنان إبراهيم كمديراً عاماً على نشاطات قصوره للتغطية على عمليات تحويل العملات الأجنبية إلى خارج سورية والتي تجرى من قصر الرئاسة.

وقد منح حافظ الأسد عدنان إبراهيم صلاحيات واسعة للاستيراد بالعملات الصعبة بالرغم من تدهور الاقتصاد الخطير الذي تشهده سورية ونقص إحتياطي العملات الأجنبية في البنك المركزي.

وكان حافظ الأسد قد أمر بالقاء القبض على مدير قصره السابق موسى منير المنير وزجه في غياهب السجون حتى لا يسرب المعلومات التي كان قد اطلع عليها حول عمليات تهريب العملة للخارج من قبل الأسد وطفمته.

كما قرر الأسد فجأة تعيين رضا مرتضى رئيس لجنة المياه في سورية الذي بدوره عين العديد من «الخبراء» برواتب خيالية في دائرته، والغريب أن رضا مرتضى الذي عمل أبوه في خدمة جيش الاحتلال الفرنسي قد حكم عليه بالأعدام من عام ١٩٨٦ بعد إدانته بالتجسس ولكن اعفى عنه بعد تدخلات من قبل النظام الإيراني. والذي أكد أن المعلومات الذي قدمها رضا مرتضى تقع ضمن التعاون الاستراتيجي بين سورية وإيران. ولهذا اضطّر حافظ الأسد الإفراج عنه وتعيينه في منصب كبير كتعويض له لخدماته لإيران وتمتين التعاون مع الخميني.

كتب مراسل واشنطن بوست باتريك تايلور في الخامس من آذار الماضي في نهاية تقرير له من دمشق هذه الأسطر:

"Assad's greatest ally is Shamir," Said a senior Westest official, "because he knows that Shamir is not going to move. And Shamir's greatest ally is Assad. for same reason."

وترجمتها الحرفية: «أن الحليف الأعظم للأسد هو شامير، هذا ما قاله مسؤول غربي

كبير، لأن الأسد يعرف أن شامير لن يتحرك. وأعظم حليف لشامير هو الأسد لنفس السبب».

هذه الجملة بما تحمل من معاني كبيرة ومضامين مبهمّة تتطلب باطنياً أصيلاً لشرحها. لكن أن تصدر عن دبلوماسي أميركي كبير في دمشق أو بالأحرى يعني أنها صادرة عن السفير الأميركي ويليام إيجلتون في دمشق.. فمن عادة السفراء الأميركيين أن يطلبوا من الصحفيين الأميركيين ألا يذكروا أسماءهم عندما يطلعوهم على الأسرار في عواصمنا العربية.

هذه العبارة الفاضحة لأسد ومواقفه لم نر ترجمة لها في صحفنا العربية التي تترجم الغث والسمين ولكن تقف أقلام كتابنا عندما يصل الأمر للحديث عن أسد وإنجازاته الضخمة في إعاقة التحرك العربي نحو مواجهة العدو الصهيوني في فلسطين المحتلة.

ولعل الثابت في خدمات الأسد الاستراتيجية تتجلى بوضوح في عدة عوامل وأسس في هذا التحالف الباطني بين أسد وشامير ويمكن تلخيصها بما يلي:

أولاً: أن اسطورة التوازن الاستراتيجي بين الكيان الصهيوني وسورية لا يمكن أن يتحقق عبر تشريد السوريين وزجهم في السجون والقصف العشوائي لحماهم بل يتم عبر وقوف الشعب العربي السوري كله في مواجهة العدو الصهيوني. إذن بتحليل الأميركيين من يقف ضد الشعب العربي السوري في تحقيق وحدته وقوته الاستراتيجية العربية هو حليف لشامير.

ثانياً: أن سرية العلاقة السورية- الأميركية- الإسرائيلية تتجلى في مذكرات كيسنجر الذي يحورها مصطفى طلاس وياسر عبد ربه في حوارهما حول أسد. إذ أن كيسنجر يقول في الصفحة ٧٨١ من مذكراته أن الأسد كان يخاف من الشعب السوري وحتى من معاونيه ولهذا كان يصبر أثناء المحادثات الدقيقة على

ألا يسمح بمترجم سوري بل يطلب مترجماً أميركاً ولا يسمح لأى إنسان آخر بحضور هذه المباحثات.

ويقول كيسنجر فى فصل من مذكراته وعنوانه المكوك السورى: (فى الصفحة ١٠٨٢) وبالحرف الواحد: لقد قال لى الأسد: ماذا يريد الإسرائيليون؟ لقد وافقنا على مطالبهم ولن نمس أى مستعمرة إسرائيلية وكل ما اريده خط يبعد عن الحدود القديمة حتى ابرر ما فعلت لشعبى وعندها يمكن لإسرائيل أن تبنى خطأ دفاعياً وما نشاء وحتى قرب الخط الجديد.

إذن فإن تنازلات أسد موثقة وواضحة والغريب أن طلاس يجرؤ على ذكر كيسنجر الصهيونى وشهادته بالأسد، وهل أصبح الصهيونى مدار تقديم شهادات بذكاء أسداً ألم يقرأ طلاس ما كتبه كيسنجر عن التنازلات الأسدية ووصفة للأسد بأن رأسه مسطح من الخلف وكأنه يريد أن يقفز على محاوره... أن الـ ٧٨ صفحة من مذكرات كيسنجر تشكل التاريخ الأسود لتحالف أسد مع الصهاينة والتي لم يجرؤ أحد على نشرها حتى الآن.

ثالثاً، أن حافظ أسد استقبل للمرة الثالثة جورج شولتز وزير الخارجية الأمريكى فى الأسبوع الأول من شهر نيسان. وهذا يثبت أن كل الصراخ والعميل الإذاعى ضد المبادرة الأمريكية هو للاستهلاك المحلى وقد قال ريتشارد مورفى أمام الكونجرس مؤخراً سورية رحبت بمبادرة شولتز ولم ترفضها إلا إعلامياً. أى أن حافظ أسد حليف شامير يريد أن ينقله الأمريكيون مرة أخرى من غضب شعبه ويريد أن يدخل مرة أخرى فى دهاليز التسوية السلمية وضرب الشعب الفلسطينى واستغلال انتفاضته العارمة.

رابعاً، أن حافظ أسد الذى كتب عنه الصهيونى افنير بانييف المحاضر فى جامعة حيفا فى دراسة حول سورية ولبنان مايلى بالحرف الواحد: ما بين أعوام ١٩٧٦ ،

١٩٨١ كان هناك التقاء وتطابق فى المصالح بين سورية وإسرائيل حول لبنان ومنظمة التحرير الفلسطينية مما مهد الطريق نحو الوفاق بينهما.

لكن البروفسور الصهيونى باتيف يعترف فى دراسته أن الاتفاق الضمنى والسرى يعتمد على الصفات المذاجية لاشخاص مثل بيغن وشارون وارينز وشامير من الجانب الإسرائيلى وحافظ أسد ورفعت أسد وعبد الحليم خدام ومصطفى طلاس على الجانب السورى. إذن فى ضمن هذا التاريخ الأسود لنظام أسد فإننا نتوقع مد التعاون الأسدى الشاميرى الأمريكى ليستمر ضرب القوى الوطنية فى لبنان والتآمر على الشعب الفلسطينى فى لبنان، فمثلاً كيف يمكن أن يطالب مصطفى طلاس الناطق باسم سيده أسد من أمين جميل أعدام قاتل بشير الجميل.

إذن ما قالته ابواق الإعلام السورية من أن حافظ أسد أمر بقتل بشير الجميل لأنه تعامل مع الصهانية ليس له أساس من الصحة... أم أن أسد لا يسمح لأى زعيم عربى بأن يتعامل مع الكيان الصهيونى لأنه يريد أن يكون المتعامل الوحيد والمنفذ الأوحده للأهداف الصهيونية فى امتنا العربية الواحدة. وبالتالى المستفيد الأوحده.

خامساً، أن الولايات المتحدة أمرت خازنى الدولارات فى عالمنا العربى بأن يهرعوا بأموالهم لانقاذ نظام أسد من الانهيار الاقتصادى وعندها لا يمكنه الاستمرار فى تحقيق ما طلب منه من خطوات تثبت أنه مازال قادراً على تمرير المؤامرات ضد الشعب العربى تحت ستار الدخان الكثيف القاتل بمحاربة أميركا وإسرائيل والغرب... والامبريالية... الخ.

ولهذا نرى أخبار أسد فى صفحات الاقتصاد من صحف خازنى الدولارات فمثلاً يقول خبر نشر فى ٢٠ آذار: أن عبد الله القويز مدير عام إدارة صندوق النقد العربى زار دمشق لتمويل العجز فى ميزان المدفوعات السورى البالغ ١١ مليار دولار. وبلغ حتى الآن

مادفعه الصندوق للنظام السوري حوالى ٧٧ مليون دولار.

إذن دعم النظام الأسدى لا يتم مباشرة من الولايات المتحدة لأن هناك معارضة من أوساط الكونغرس لاستئناف المساعدات المالية لسورية مع أن إدارة ريجان ترغب جداً من ذلك، لكن الأمر أن الكونغرس يرى أن أى دولة تخترق حقوق الإنسان لا تستحق المعونات الأميركية، وبما أن نظام أسد سجله الدامى لا يخفى على الكونغرس فإنهم يجدون الحرج الكبير فى إعادة المساعدات الأميركية للأسد.

نعم أنه أسد نفسه الذى قال عنه طلاس: «أن الأسد يشفق على قطة سقطت من الشارع ويكره من الالوان الأحمر لأنه كلون الدم». أن هذا المستبد يذكرنا بأيام جعفر نميرى الأخيرة عندما صورته مجلة البارى ماتش على عدة صفحات وهو يعتنى بقططه فى قصره وبالطبع فإن أسد يكره اللون الأحمر لأن دماء شعب سورية التى سفكها سفاح دمشق ما تزال تلاحقه فى يقظته وغيبوبته واحلامه ويحاول الهرب منها قدر المستطاع بقراءه الخرافات ومشاهده أفلام الخرافية. الم يصرح لصحيفة التايم الأميركية منذ عامين أنه مؤمن باليوفواى الاطباق الطائرة فدهش عندئذ رئيس تحرير مجلة التايم اليهودى اناطول غرونوالد وعندما ترجمت المقابلة فى الصحف السورية حذف منها هذا المقطع لأنه يعبر عن حالة الهروب من الواقع المرير الذى يعيشه أسد.

فهاجس الموت يخيم على عقله وتصيبه لوثات ونوبات من الغضب لا يشبعها أو يخمد أوارها سوى أوامره بالقتل والتعذيب...

ولهذا فإن أموال خازنى الدولارات تنهمر عليه حتى يخففوا من نوباته العصبية ويصبح منفذاً لأوامر أسياده بحذافيرها. وحتى أن الأدوية يستوردها حكام دمشق من دول الخليج. فمثلاً طلاس فى مقابله - الفضيحة مع ياسر عبد ربه يقول أن زوجته طلبت من شقيقتها سعدية الجابرى المقيمة فى أبو ظبى بعضاً من الأدوية المفقودة فى سورية. ولا يكتفى حكام

دمشق بالدولارات بل يريدون الأدوية المسكنة والمخدرة ليهربوا من الكوابيس التي تلاحقهم في كل لحظة من حياتهم...

سادساً، بين الفترة والأخرى تضطر الإدارة الأميركية مرغمة على اطلاع الكونجرس على عمليات الإرهاب السورية، وقد حصلنا على وثيقة رسمية أميركية عن الأعمال الإرهابية التي ارتكبتها نظام أسد وهي غيضة من فيض. ولكن إدارة ريجان شاءت أن تطلع الكونجرس عليها وعددها ٤٥ عملية إرهابية. ولم يكن هدف الإدارة الأميركية نشرها لأنها تريد أن تثير هذه الأمور مع نظام أسد في إطار المقايضات والمساومات.

لكن المصلحة النهائية لأرهاب أسد أن أفراد الشعب السوري البريء يصبح موضع الشك والتفتيش ومنع تأشيرات الدخول عنه من الدول الغربية. فالآن مثلاً يحتاج المواطن السوري عدة أشهر حتى يحصل على تأشيرة دخول لفرنسا. إذن نجح أسد في تحويل سورية إلى معتقل ضخم لأبناء الشعب العربي السوري. ومن هذه الأعمال الإرهابية التي جاءت في الوثيقة الأميركية ما يجب نشره لأنه من المحرمات. وسننشرها في العدد القادم بأذن الله.

فضائح رجالات أسد

الوساطات السعودية التي يقوم بها الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولي العهد السعودي مع حافظ أسد مستمرة على قدم وساق لأقناعه باعادة رفعت أسد إلى دمشق بعد أن أعياه الشوق لممارسة أعمال البطش والقمع والسرقة، وتبددت كل التوقعات التي انتشرت في باريس بأن يصدر حافظ أسد قراراً بدعوة شقيقه رفعت بالعودة إلى دمشق ويطلق سراح جماعته من العسكر.

لكن ما حدث حتى الآن يشير إلى العكس. إذ أن اللواء عدنان بدر حسن رئيس الشعبة السياسية في المخابرات السورية وأحد مراكز القوى الجديدة التي أوجدتها منافسوا رفعت بعث بقواته لأعتقال فؤاد وعدنان تقلا وهما من كبار المتعهدين السوريين والذين يمثلون رفعت في الحصول على صفقات بناء مدن الجمعيات التعاونية من طبية وهندسية وصحفية وشق الطرق وغيرها من المشاريع التي يجرى تحويلها إلى أتباع رفعت أسد وهو قابع يضحك في أوروبا.

ولكن الخلاف بين متتبعي أخبار رفعت والذين يراهنوا عما إذا كان سيعود أو لن يعود في واد رفعت في واد آخر.

لأن رفعت أسد قادر على أن يستمر في تمثيلية إبعاده وفصولها بنجاح عظيم. فمنذ أربع سنوات وإقامة رفعت أسد في الخارج تدور حولها الشكوك والتقارير السرية، ومرة نسمع أنه في الخارج ليكون أداة رصد لشقيقه حافظ، وأن بعض رجال الأعمال السوريين الذين كانوا هاربين في أوروبا من سوريا قد استطاع رفعت جمعهم وإنشاء شركات مساهمة معهم. وفي نفس الوقت فإن هؤلاء قد وثقوا به وينقلون إليه أخبار أطراف المعارضة السورية في الخارج. وقد أعد رفعت ملفات عن هؤلاء ويقدمها دورياً لشقيقه حافظ ليثبت له أنه أفضل من كل الأجهزة الاستخبارية الأسدية...

في نفس الوقت فإن رفعت أسد ينكب على مضاعفة أرباحه الخيالية من أمواله التي كان قد أودعها في البنوك السويسرية وغيرها والتي تقدر فوائدها السنوية بمائة مليون دولار... فقط...!

فمثلاً يجرى رفعت أسد مفاوضات مع شركة «إسترا» للاقمار الصناعية والتي مقرها في لوكسمبورج لشراء حصة من أسهمها، بعد أن عرف أن هذه الشركة ستطلق قمراً صناعياً في كانون الأول من عام ١٩٨٨ للبث التلفزيوني من أوروبا إلى العالم العربي.

ولم يكتف رفعت بذلك فقط، فقد قرر زيادة «الإعلام الأسدى» في أوروبا ليضيف إلى «الفرسان» التي تستمر في عدم ذكر سوريا النظام والشعب من قريب أو بعيد، ومجلة «شذى» المخصصة للمرأة، ومجلة مال الشرق الأوسط «ميمو» وكأن هناك مال قد بقى ولم يلتهمه رفعت أسد بجشعه القاتل. أما الرابعة التي تتحدث الأوساط الصحفية عنها الآن في باريس فهي مجلة «شمال وجنوب» التي تصدر بالفرنسية بعد أن إشتراها عمران أدهم من بلجيكا.

وعلى ذكر عمران أدهم السوري الجنسية فإن قصته هي قصة الطفيليات التي ظهرت في ضل حكم آل أسد..

تقرير الخارجية الأميركية عن نظام أسد

بين الفترة والأخرى تضطر الإدارة الأميركية مرغمة على اطلاع الكونجرس على عمليات الإرهاب السورية. وقد حصلنا على وثيقة رسمية أميركية عن الأعمال الإرهابية التي ارتكبتها نظام أسد وهي فيض من فيض. ولكن إدارة ريجان شاءت أن تطلع الكونجرس عليها وعددها ٤٥ عملية إرهابية. ولم يكن هدف الإدارة الأميركية نشرها لأنها تريد أن تثير هذه الأمور مع نظام أسد في إطار المقايضات والمساومات.

لكن المحصلة النهائية لأرهاب أسد أن أفراد الشعب السوري البريء يصبح موضع الشك والتفتيش ومنع تأشيرات الدخول عنه من الدول الغربية. فالآن مثلاً يحتاج المواطن السوري عدة أشهر حتى يحصل على تأشيرة دخول لفرنسا. إذن نجح أسد في تحويل سورية إلى معتقل ضخّم لأبناء الشعب العربي السوري. ومن هذه الأعمال الإرهابية التي جاءت في الوثيقة الأميركية ما يجب نشره لأنه من المحرمات.

واشنطن في ١٧ تشرين الثاني / نوفمبر - أصدرت وزارة الخارجية في ١٤ تشرين الثاني / نوفمبر «مسلسل أعمال إرهابية بارزة نفذتها مجموعات مدعومة من سوريا: ١٩٨٣-١٩٨٦». ولا يقصد أن تكون جامعة شاملة، ولكنها تشير إلى ضلوع سوريا في الإرهاب ودعمها لمنظمات إرهابية. والمنظمات المذكورة هنا على علاقة بسوريا.

١٩٨٦

٦ تشرين الثاني / نوفمبر - تركيا: أصدرت السلطات القضائية التركية قراراً اتهامياً بحق ستة فلسطينيين يعملون لمصلحة منظمة أبو نضال اتهمتهم فيه بقتل دبلوماسي إراني في تموز / يوليو ١٩٨٥. ووجد القرار أيضاً صلة بهؤلاء الرجال بأربعة حوادث أخرى في استنبول وقتل فيه ٢١ شخصاً، ومحاولة وضع قنبلة على متن طائرة تابعة لشركة ايطاليا في

١٩٨٢ ، ومحاولة نسف سيارة عائدة لنادى الضباط الاميركيين فى ازمير فى ١٩٨٣ ، وقتل طالب فلسطينى فى انقرة فى ١٩٨٢ .

١٧ نيسان/ إبريل - لندن: اكشف رجال الأمن فى شركة الخطوط الجوية الإسرائيلية العال قبله سورية الصنع فى حقيبة امرأة ايرلندية وهى تحاول ركوب الطائرة إلى تل ابيب. وأدانت محكمة بريطانية صديقها نزار هندوى بجرم محاولة تفجير الطائرة، كما أعلنت الحكومة البريطانية أن لديها أدلة قاطعة على وجود تورط سورى رسمى بالعمل الأرهابى.

٢٩ آذار/ مارس - برلين الغربية: قام ثلاثة فلسطينين بنسف مقر جمعية الصداقة العربية/ الالمانية بمتفجرة، وما زال هؤلاء ينظرون المحاكمة، وتشير التقارير إلى أن السفارة السورية فى برلين الشرقية هى التى امنت المتفجرة. وقد أصيب فى الحادث أحد عشر شخصاً.

٢ آذار/ مارس - الضفة الغربية: قام مسلحان باغتيال رئيس بلدية نابلس، ظافر المصرى، وهو فلسطينى عينته فى منصبه السلطات الإسرائيلية. وأعلنت كل من مجموعة ابو نضال والجهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن عمل الاغتيال.

١٩٨٥،

٢٧ كانون الأول/ ديسمبر - روما وفيينا: هاجم أرهاييون تابعون لمجموعة أبو نضال شباكى تذاكر شركة العال فى مطارى روما وفيينا فى وقت وأحد فقتلوا ما يزيد على ٢٠ شخصاً بما فى ذلك خمسة أميركيين وجرحوا ١٢٠ شخصاً آخرين (رغم أن هذه الهجمات نفذت برعاية ليبيا، فإن تقارير التحقيق الإيطالى تشير إلى أن مجموعة روما تلقت التدريب فى مناطق لبنانية خاضعة لسيطرة سوريا وأنها مرت عبر دمشق فى طريقها إلى

روما) .

٢٥ ايلول/ سبتمبر- ايطاليا: انفجرت قنبلة في مكتب لشركة الخطوط الجوية البريطانية في روما فأصاب ١٥ شخصاً بجروح. والقى الشرطة القبض على حسان عتاب وهو يحاول الفرار من مكان الحادث. وادعى عتاب أنه عضو في المنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين، وهو اسم يستعمله أبو نضال «للتمويه»، وتعرف عليه في وقت لاحق شهود قالوا أنه نفس الشخص الذي القى قنبلة يدوية على مكتب شركة الخطوط الجوية الأردنية في أثينا في آذار/ مارس.

١٨ ايلول/ سبتمبر- اليونان اغتيل في أثينا ميشيل النمرى، وهو صاحب مجلة أردنية يقال أنه كان صديقاً لياسر عوفات، وفي اليوم التالى أعلنت منظمة ايلول الأسود، وهو اسم تستعمله مجموعة أبو نضال، مسؤوليتها عن العمل.

١٦ ايلول/ سبتمبر- ايطاليا: القيت قنبلة على مقهى رصيف في روما فجرحت ٣٨ سائحاً بينهم تسعة أميركيين. والقى الشرطة القبض على فلسطينى على علاقة بالهجوم. وفي ١٩ ايلول/ سبتمبر أعلنت المنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين، وهى مجموعة أخرى تدعمها سورية، مسؤوليتها عن العمل.

٣ ايلول/ سبتمبر- اليونان غ القى أرهايون قنابل يدوية جرح ١٩ سائحاً بريطانيا في فندق غليفادا في أثينا. وادعت منظمة ايلول الأسود أن الهجوم استهدف الضغط على السلطات اليونانية لاطلاق سراح رجل كانت قد القى القبض عليه قرب السفارة الأردنية في ٢١ آب/أغسطس.

٣١ آب/أغسطس- اليونان: القى الشرطة القبض على رجل مدجج بالسلاح قرب السفارة الأردنية في أثينا واعترف الرجل، واسمه سمير سلامة، بأنه ينتمى إلى منظمة ايلول

الأسود وادعى أنه كان يخطط لاغتيال السفير الأردني.

٨ آب / أغسطس - اليونان: انفجرت قنبلة في مطبخ فندق «لندن» في أثينا فتسببت في جرح ١٣ شخصاً - تسعة منهم مواطنون بريطانيون. وأعلنت المنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين مسؤوليتها عن العمل، قائلة أن الفندق هو مخبأ للجواسيس البريطانيين.

٢٤ تموز / يوليو - تركيا: اغتيل السكرتير الأول في السفارة الأردنية في انقرة على يد مسلح وحيد، وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

١١ تموز / يوليو - الكويت: وقع انفجارات في غضون دقائق بين الواحد والآخر فقتلا ثمانية اشخاص وجرحا ٨٩ آخرين في مقهيين يبعد أحدهما عن الآخر مسافة حوالي ١٠ كيلو مترات. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

١ تموز / يوليو - أسبانيا: وقع انفجار في مكتب الحجز والتذاكر العائد للخطوط الجوية البريطانية في مدريد، وحطم الانفجار أيضاً مكتب شركة طيران عبر العالم لخشتم في الواقع في الطابق العلوي. وأصيب مكتب شركة طيران الخطوط الجوية الأردنية عالية المجاور بنيران أسلحة رشاش والقيت عليه قنبلتان لم تنفجرا. وقتل في الحادث شخص واحد وجرح ٢٧ آخرون. وادعت كل من منظمة المحرومين والمنظمة الثورية للمسلمين الاشتراكيين ومنظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٤ نيسان / إبريل - اليونان: اطلق صاروخ على طائرة تابعة للخطوط الجوية الأردنية فيما كانت تهم بالاقلاع من مطار أثينا. وقد أصاب الصاروخ الطائرة ولكنه لم ينفجر، وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٣ نيسان / إبريل - إيطاليا: أخطأ صاروخ مكاتب السفارة الأردنية الواقعة في الطابق

الخامس من أحد المباني التجارية في روما. ولم تفد التقارير عن وقوع ضحايا. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢١ آذار/ مارس - إيطاليا: القى ثلاثة رجال مجهولي الهوية قنابل يدوية على مكاتب شركة الطيران الأردنية في روما، فأصيب شخصان. وأعلنت ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢١ آذار/ مارس - اليونان غ القى رجل مجهول الهوية قنبلة يدوية على مكتب شركة الطيران الأردنية في أثينا فجرح ثلاثة اشخاص وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢١ آذار/ مارس - قبرص: القى رجل مجهول الهوية قنبلتين يدويتين على مكتب شركة الطيران الأردنية في نيقوسيا. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٩ آذار/ مارس - الإمارات العربية المتحدة: عشر على قنبلة في طائرة تابعة لشركة الطيران الأردنية، وادعى الشاب الفلسطيني الذي كان يحمل القنبلة على متن الطائرة التي كانت متوجهة من كراتشي إلى عمان أنه كان يظن أنه ينقل مخدرات لدعم عمليات أبو نضال الأرهابية.

٢٢ شباط/ فبراير - الأردن: زرع حزب الشعب الثوري الأردني متفجرة في المركز الأميركي للبحوث الشرقية في عمان. وقد عشر على المتفجرة وتم تعطيلها.

١٠ كانون الثاني/ يناير - الأردن: تم تعطيل متفجرة زرعها حزب الشعب الثوري الأردني قرب مقر سكن موظف في الوكالة الأميركية للتنمية الدولية. ولم تكن المتفجرة مزودة بصاعق ولا بجهاز توقيت.

٢٩ كانون الأول/ديسمبر- الأردن: اغتال مسلحان مجهولا الهوية فهد القواسمة، عضو اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيس بلدية مدينة الخليل سابقاً، وذلك خارج منزله في عمان. وجرح في الحادث شاهدان اصيبا بالرصاص وهما يحاولان سد الطريق أمام سيارة المسلحين. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

١٤ كانون الأول/ديسمبر- إيطاليا: قتل إسماعيل درويش، أحد القادة العسكريين البارزين في حركة فتح، في أحد شوارع روما على يد رجل مجهول الهوية تمكن من الفرار بواسطة دراجة نارية كانت بانتظاره. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

٤ كانون الأول/ديسمبر- رومانيا: قتل نائب رئيس البعثة الدبلوماسية الأردنية وهم يهم بركوب سيارته في بوخارست. وأعلنت منظمة ايلول الأسود مسؤوليتها عن العمل.

٢ كانون الأول/ديسمبر- الأردن: اكتشف حارس قبيلة مخبأة في حقيبة يد داخل بناء شركة «أميركان لايف انشورنس» و «سيتي بنك» فرع عمان. ز وعطل خبزاء المتفجرات تلك المتفجرة التي كانت تحتوى على ١٨ كتله من مادة ال- تي إن تي وجهاز توقيت. وتبين لاحقاً أن حزب الشعب الثوري الأردني هو المسؤول عن العمل.

١٢ آب/أغسطس- الأردن: عطلت الشرطة الأردنية متفجرة تحتوى على مئات الغرامات من المتفجرات السوفياتية الصنع بالقرب من منزل أحد مسؤولي السفارة الأميركية. وتبين لاحقاً أن حزب الشعب الثوري الأردني هو المسؤول عن العمل.

١١ آب/أغسطس- الأردن: حاول أعضاء في حزب الثوري الأردني تفجير قبيلة خارج دار الإذاعة والتلفزيون الأردنيين. وقد اكتشفت القبيلة وتم تعطيلها.

٣ آب / أغسطس- الأردن: انفجرت قبيلة تحت سيارة صهريج ماء متوقفة قرب

مخزن تابع للسفارة الأميركية في عمان، ولم تقع اصابات نتيجية الانفجار الذي تسبب بأضرار طفيفة. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

٢٩ أيار / مايو - قبرص: اغتيل في ليماسول عبد الله أحمد سليمان السعدى وهو ضابط سابق في منظمة الصاعقة تركها ليلتمى إلى جناح عرفات. والقى القبض على أربعة رجال وأمرأتين من السوريين بتهمة الاغتيال ثم طردوا في وقت لاحق من قبرص.

٢ أيار / مايو - قبرص: قتل رجل مجهول الهوية الناشر الفلسطينى حنا مقبل وجرح سكرتيه فى نيقوسيا. ويقال أن مقبل كان من أعضاء مجموعة أبو نضال ثم انتقل إلى معسكر عرفات.

٢٤ آذار / مارس - الأردن: تم تعطيل قبلة خارج القنصلية البريطانية فى عمان. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

٢٤ آذار / مارس - الأردن غ تم اكتشاف وتعطيل قبلة خارج المركز الثقافى البريطانى. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

٢٤ آذار / مارس - الأردن: انفجرت قبلة فى موقف للسيارات فى فندق انتركونتيننتال الذى يقع مقابل السفارة الأميركية، فادى ذلك إلى تحطيم سيارتين واصابة أحد موظفى الوكالة الأميركية للتنمية الدولية وابنته بجروح طفيفة. وأكتشفت قبلة ثانية فى المكان نفسه وتم تعطيلها. وأعلنت منظمة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

١٩٨٢

٢٩ كانون الأول / ديسمبر - اسبانيا غ: هوجم موظفان فى السفارة الأردنية من قبل رجل وحيد وهما يغادران مبنى السفارة. فقتل وليد جمال بلقيس على الفور واصيب إبراهيم سامى محمد بجروح خطيرة. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن

العمل.

١٩ كانون الأول / ديسمبر - تركيا: تم اكتشاف سيارة مستأجرة مفخخة مهجورة متوقفة بين البيت الثقافي الفرنسية وفندق كورديون الذي يستخدمه أفراد القوات المسلحة الأميركية في أزمير. ويبدو أن جهاز توقيت المتفجرة تعطل عن العمل. وربطت الشرطة التركية الحادثة بمجموعة أبو نضال وعملاء سوريين.

٧ تشرين الثاني / نوفمبر - اليونان: جرح أثنان من حراس السفارة الأردنية في احد شوارع أثينا المزدحمة. وتوفي احد الحارسين متأثراً بجراحه. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن الحادث.

٢٦ تشرين الأول / أكتوبر - إيطاليا: جرح السفير الأردني لدى الفاتيكان وسائقه في محاولة اغتيال في روما، وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

٢٥ تشرين الأول / أكتوبر - الهند: جرح السفير الأردني على يد مسلح مجهول الوية في نيودلهي. وأعلنت منظمة الالوية الثورية العربية مسؤوليتها عن العمل.

١٣ تشرين الأول / أكتوبر - الأردن: القيت قنبلتان يدويتان على إحدى ثكنات الشرطة في عمان. واعترف أحد أفراد الشرطة بارتكابه العمل مدفوعاً من قبل منظمة الصاعقة. واشتبعت السلطات المحلية في أن يكون أفراد من منظمة أبو نضال متورطين في الحادث أيضاً.

٢١ آب / أغسطس - اليونان: قتل أحد كبار المسؤولين في منظمة التحرير الفلسطينية، مأمون مريش، على يد رجلين مجهولي الهوية كانا يركبان دراجة نارية، وجرح في الحادث ابن القتيل وسائقه، وأعلنت حركة إعادة بناء فتح مسؤوليتها عن العمل.

١٠ نيسان / إبريل - البرتغال: قتل عصام السرطاوي، الذي كان يشارك في مؤتمر

دولى للاشتراكين كعضو مراقب ممثل لمنظمة التحرير الفلسطينية، فى بهو أحد الفنادق. وأصيب سكرتير السرطاوى بجروح طفيفة فى الهجوم. وأعلنت مجموعة أبو نضال مسؤوليتها عن العمل.

أربعة أسعار للدولار بمقاييس أسد الاقتصادية،

الاقتصادى الأسد وبما هو أفضل صفة يمكن أن تطلق على الاقتصاد السورى. وهل يمكن أن يكون للدولار أربعة أسعار فى بلد واحد. فقد خفض النظام السورى قيمة الليرة السورية تجاه الدولار الأمريكى مؤخراً.. وكان السعر الرسمى للدولار منذ عام ١٩٧٦ حتى منتصف عام ١٩٧٨ محدداً بـ ٣,٩٢ ليرة. أما الآن فقد أصبح هناك أربعة أسعار صرف رسمية للدولار:

السعر الأول: يعتمد فى المعاملات الحكومية والحكومية وللاستيراد والتصدير للمؤسسات العامة وهذا السعر يساوى ١١,٢٠ ليرة لكل دولار أمريكى.

السعر الثانى: وهو للسائح الأجانب والقطاع السياحى ويساوى للدولار الواحد ١٦,٢٥ ليرة سورية.

السعر الثالث: وهو مخصص لتحويلات السوريين العاملين فى الخارج ولعمليات الاستيراد من القطاع الخاص وسعر الدولار يساوى ٢٧ ليرة سورية للشراء و٢.٩ ليرة سورية للبيع.

السعر الرابع: سعر أسد وعائلته وهذا يتم حسب الأوامر التى تثقل الاقتصاد السورى بكامله.

وفوجئ كل رجال الاقتصاد من هذا القرار لأن الدولار الأميركي يشهد عملية انخفاض هائلة في كل أنحاء العالم حتى في لبنان واقتصاده التي تفتك به الحرب الأهلية. ولا يمكن تحديد سعر صرف الدولار من قبل الحكومة في أى بلد من العالم بل أن الذى يحدد السعر هو عملية العرض والطلب والمؤشرات الاقتصادية من تجارة خارجية وموازنة ودخل قومى.

ولكن الديون التي كبل بها حافظ الأسد وزبائنه وصفت سورية في حاجة ملحة إلى العملات الأجنبية لتسديد هذه الديون المتراكمة.

وقد لا يصدق أى إنسان أن سعر النفط في سورية قد ارتفع مؤخراً وأصبح سعر صفيحة البنزين ٢٠ لیتراً ٢٠٠ ليرة سورية بينما في جميع أنحاء العالم فإن التخمة النفطية أدت إلى انخفاض أسعار البنزين.

هذه الأرقام لا تحتاج إلى اقتصادى للتعليق عليها بل تحتاج إلى مواطن سوري يعرف بها ويلم بها حتى يعرف ويدرك أن اقتصاد الأسد قاد البلاد إلى الهاوية. ولكن هل هذه الأرقام معروفة لدى المواطن العربي السوري.

وإذا عرفت أن انخفاض المساحات المزروعة بالقمح والقطن حقق انخفاضاً قياسيًّا وحسب الإحصائيات الصادرة عن مجلس رئاسة الوزراء نجد أن مساحة ٦١٦٩ كيلو متر مربع من الأراضي الصالحة للزراعة يمثل القمح ٢٢ ٪ منها، وبلغ إنتاج القمح في عام ١٩٨٦ حوالي ١,٧٥ مليون طن بينما تجاوز الاستهلاك ٢,٤ مليون طن. أى أن سوريا استوردت حوالي ٦٥٠ ألف طن من القمح لسد احتياجاتها. وكان النظام السوري قد استورد في عام ١٩٨٥ مليون طن من القمح و ٤٠٠ ألف طن من السكر و ٢٥٠ ألف

طن من الشعير و٢٠ ألف طن من اللبن المجفف و٢٥ ألف طن من الزبد و٢٠٠ ألف طن من الدقيق.

أما إنتاج القطن الذى يعمل فى زراعته مليون نسمة فإن إنتاج الهيكتر الواحد فى عام ١٩٧٧ كان ٣١١٧ كيلو جرام من القطن.

وأصبح فى عام ١٩٨٧، ٢٥٠٦ كيلو جرام أى عوضاً عن زيادة الإنتاج أى أن هناك تراجع مع أن الزراعة تعتبر قطاعاً اقتصادياً مهماً ولم تجلب الدولة سوى مليار دولار بين أعوام ١٩٨٢ و١٩٨٥.

وهذا إذا عرفنا أن ثلث الشعب السورى يعمل فى الزراعة. فأى حياة لهؤلاء المزارعين فى ظل نظام أسد...؟

تم بحمد الله

الصفحة

الفصل الأول:

٨ ملفات المعارضة السورية.

الفصل الثاني:

١٧ إغتيال البيطار.

الفصل الثالث:

٣١ أسرار الصراع.

الفصل الرابع:

٥١ لا خلافات بين الشقيقين.

الفصل الخامس:

٧٥ التسلل إلى المعارضة.

الفصل السادس:

١٤٧ التفاوض مع النظام.

الفصل السابع:

١٥٩ رئيس الجمهورية الأسبق.

الصفحة

الفصل الثامن:

١٩٥

الوحدة والانفصال.

الفصل التاسع:

٢٢١

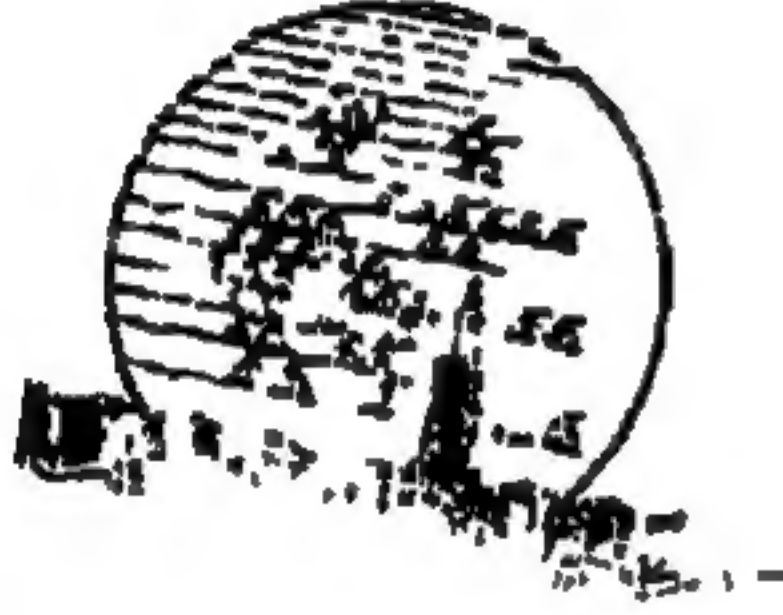
تغيير النظام السوري.

الفصل العاشر:

٢٤٣

أنشقاق الإخوان المسلمين.

الفصل الحادى عشر:



٢٧١

الأمانة العامة للتحالف.

الفصل الثانى عشر:

٢٩٥

أسرار وحقائق الطائفة العلوية.

الفصل الثالث عشر:

٣٦١

ردرد على المعارضة السورية.

الفصل الرابع عشر:

٣٧٣

شهادات أميركية.

رقم الإيداع ٧٧٦٢ لسنة ١٩٩٤
الترقيم الدولي

I.S.B.N
977 — 208 — 133 — 4



٩٣٢٧٠٦ : ن

ملفات المعارضة السورية

أكثرية الناس في سوريا ضد النظام من مختلف الطوائف بها في ذلك العلوية ، ولم يكن من السهل بروز معارضة من الداخل . ورغم القتل والبطش والتنكيل والارهاب الشديد المفروض على الناس ، فقد قامت سنة ١٩٨١ نقابات الأطباء والمحامين والمهندسين بحركة احتجاج عنيفة ، ونفذ اضراب ومقاطعة ، وقدمت مطالب مهنية وسياسية بينها المطالبة بالديمقراطية ، ورد النظام بحل النقابات واعتقال أعضائها ، وعدد كبير منهم لا يزال معتقلاً إلى اليوم . المعارضة في الداخل ليست بالمسألة السهلة ، ومن يريد أن يعارض يجب أن يعرف أن الموت هو الثمن الطبيعي للمعارضة وطوال عهد حافظ الأسد ، وقبله صلاح جديد ، كان الضغط منصباً على المعارضة العلمانية من البعث والناصرين والاشتراكيين العرب منذ عام ١٩٦٦ وإلى عام ١٩٧٩ على الأقل ، والتيار الإسلامي في تلك الفترة لم يتعرض للإرهاب والضغط ، وكان أمامه مجال التحرك مفتوحاً . وفي أواخر السبعينات ؛ ولأن التيار الإسلامي هو جزء من مشاعر الشعب السوري نشأت حركة داخل تنظيم الإخوان المسلمين أتت بقيادة جديدة غير القيادة التاريخية وغير قيادة عصام العطار الذي لا تزال شقيقته وزيرة في حكومة حافظ الأسد .

MADBOULI BOOKSHOP

مكتبة مذبولي

6 Talat Harb SQ. Tel. : 5756421

٦ ميدان طلعت حرب - القاهرة - ت : ٥٧٥٦٤٢١